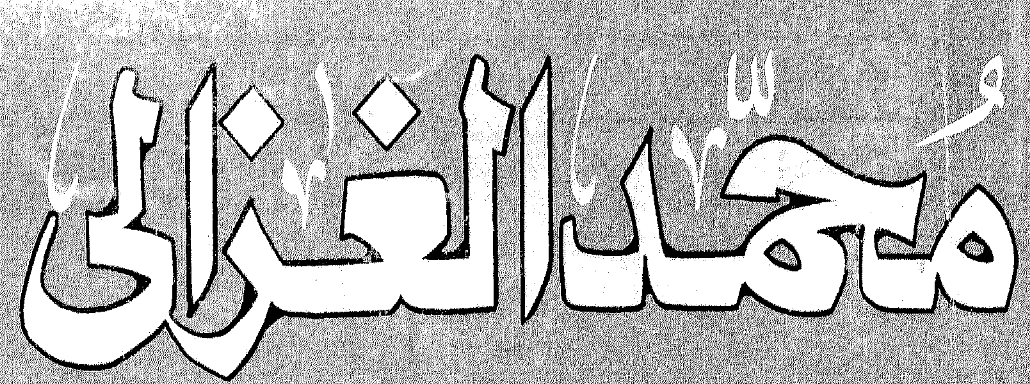
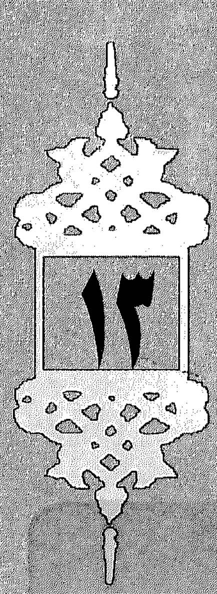
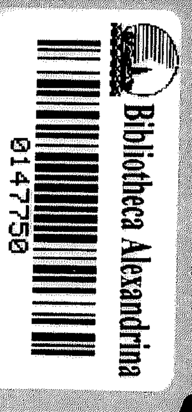


محمد الغزالي





١٣



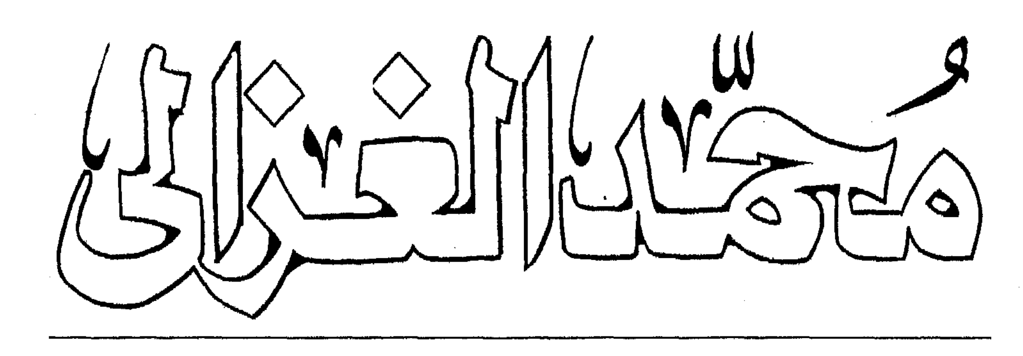
الحق المر

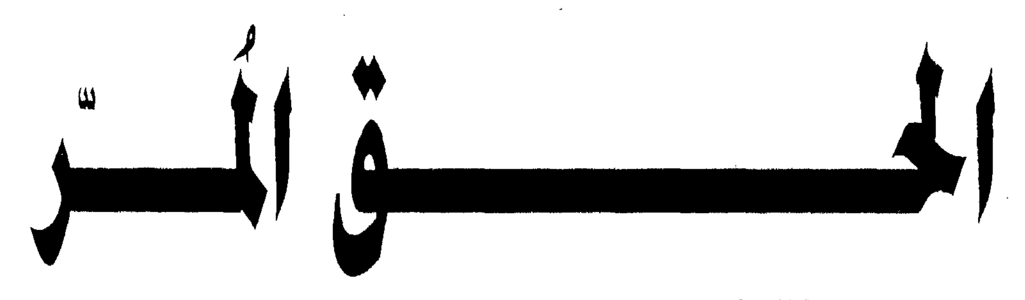
الجزء الثالث

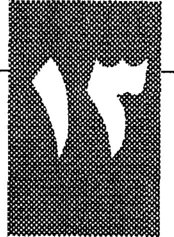


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع









الجزء الثالث



اسم الكتاب: الحق المر الجزء الثالث
اسم المؤلف: الشيخ محمد الغزالى
تاريخ النشر: طبعة أولى ديسمبر ١٩٩٦.

رقم الإيداع: ٢٩٠١٠/ ١٩٩٦
الترقيم الدولى: I . S . B . N 977 - 14 - 483 - 0
تصميم الغلاف: م / محمد العشرى

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ /٠١١.
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ /٠١١.
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ /٠٢.
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ /٠٢.
ص.ب: ٩٦ الفجالة
إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ /٠٢.
فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ /٠٢.
ص.ب: ٢٠ امبابة

مقدمـــة

ربما اعتمدتْ وسائل الإعلام الحديث على الصورة الساخرة ، أو الخبر الموجَّه ، أو التعليق السريع . . فإن القارىء المعاصر يشغله عن الإسهاب ما هجمت به الحياة على الناس من تعقيدات وهموم . .

ولما كنت واحدا من الذين يحملون أعلام الدعوة ويرابطون على ثغور الإسلام فإنى أخذت أرمق كل حركة مريبة تصدر عن خصومنا ـ وما أنشطهم فى هذه الأيام ـ لأنبه خطوط الدفاع المترامية ، وأدفعها إلى اتخاذ الأهبة ولزوم اليقظة . .

وأعـداؤنا لهم باع طويل فى المكر السيء ، والإساءة إلى الرسالة الخاتمة ، وتاريخهم امتداد لماض مليىء بالغارات ، وهم فى هذه الأيام يضمّون إلى الحروب الساخنة غزوا ثقافيا كثير الشُعب ، مخوف العواقب !

ومن هنا كانت كلماتنا ذات موضوعات شتى ، تستمد سطورها من الواقع ، وتعتمد على إثارة الوعى الكامن فى أفئدة المؤمنين ، وحسبها أن تكون كضوء البرق الذى يكشف الظلام ، ويوضح الطريق . .

إنها كلمات قصار لكنها فواتح لمعان جمّة عند أولى الغيرة على دينهم وأمتهم ، أحيانا تتناول العقيدة ، والأخلاق ، والتاريخ ، والفقه وأحيانا تغوص فى واقعنا الحىّ لتشدّ أزر المجاهدين فى سبيل الله ، وتحق الحق وتبطل الباطل .

وجماهير المسلمين ـ فى يومهم الحاضر ـ بحاجة إلى هذه اللفتات ، فإن مناسباتها إن مضت تكررت على مر الأيام ، حتى لتحسب أن مايتمخض عنه الغد صورة لما كان بالأمس ، وتدبر قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١)

وستظل كلماتنا ـ بتوفيق الله ـ وميضا يبرُق بالإيمان ، ويحامى عن الحق .

محمد الغزالى

---

(١) البقرة : ١١٨ .

نظرة ذكية فى أحاديث الفتن...

فى حديث لأبى ذر أن الفتن سوف تنتشر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتهيج الغرائز القديمة نحو القتال ، وهى غرائز كامنة فى البشر عامة والعرب خاصة ! ولا بد أن تستفز النفوس بحجة المحافظةعلى المبادىء !

قال أبو ذر : يا رسول الله أفلا آخذ سيفى وأضعه على عاتقى ؟

قال رسول الله له : شاركت القوم إذن !

قلت : فما تأمرنى ؟

قال : تلزم بيتك !

قال : فإن دخل علىّ بيتى ؟

قال : إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك على وجهك ، يبوء بإثمك وإثمه ! وفى رواية « **فإن دُخل على أحد منكم فليكن كخيرا بنى آدم** » أى ليكن القتيل ولايكن القاتل !

جلست مع صديق لى نتذاكر هذا الحديث ونتعرف مغزاه ! كان أول ما خطر بالبال كيف نقبل العدوان ؟ من اقتحم بيتى يريد قتلى قتلته ولا كرامة . والآية تقول : « وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ »[1] وفى الحديث الآخر «من قتل دون نفسه فهو شهيد »[2] لابد من مقاومة مستميتة لجالبى الشر ومهدّدى الحرمات ! ! لا هدنة هنا !

قال لى الصديق : هنا معنى آخر يتراءى لى من بعد وَوَددْتُ لو تدارسناه ! إن القصاص لايحل المشكلات الداخلية ، والقطيعة بين ذوى الأرحام تنمو على العقاب وتضمر مع العفو ، وعندما تتعقد الأمور بدوافع سياسية فمفتاحها الحل السياسى لا سفك دماء الأفراد . .

---

(١) سورة الشورى: ٣٩ .

(٢) انظر باب بيان الشهداء – فى صحيح مسلم – بشرح النووى . وما أخرجه أبو داود ، والترمذى عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . . « . . من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد .» . . حديث حسن صحيح .

قلت لصاحبى : لا أفهم ما تعنى !

قال : عندما يجد الأب أن الشجار بين الإخوة أودى بحياة أحدهم فإنه لا يصيح بطلب القصاص فقد ينتهى ذلك بفناء الأسرة كلها ، إنه سيحاول تهدئة الأمور ثم يبدأ النظر فى إصلاح ما وقع . .

الحل السياسى هو وحده الذى يمكن اللجوء إليه ولعل ذلك هو ما عناه النبىُّ عليه الصلاة والسلام عندما أوصى بموقف سلبىّ فى مقابلة الفتن إلى أن يَفُضَّ أولو النهى المعركة بردم منبع الشرِّ .

قلت : كأنك تذكر قول الشاعر فى وقف الحروب بين الأهل والأقربين :

كفى حزنا أن لا أزال أرى القنا

تَمُجُّ نجيعا من ذراعى ومن عضدى

وإنى وإن عاديتهم وجفوتهم

لتألم مما عض أكبادهم كبدى !

فإن أبى عن الحفاظ أبوهم

وخالهم خالى وجدهم جدِّى !

قال : كأن الوصية النبوية تؤكد هذا المعنى ، وتكفكف النار المستعرة عندما تقول عن الفتنة « القاعد فيها خير من القائم ، والماشى فيها خير من الساعى » .

وعندما أتأمل فيما بين المسلمين اليوم من محن أقول : ما أحوج الأمة إلى رجال لهم حلم وأناة ، لهم إخلاص وتجرد يبتعدون عن أسباب النزاع ويرفضون صيحات الجاهلية ويتحرون وحدة الكلمة ، ويشدون الفرقاء المتخاصمين إلى الخلف ريثما يتم إصلاح ذات البين بحلٍّ تتغلب فيه المصلحة العامة ويبتلع البعض غيظه لوجه الله ووحدة الكلمة .

* * *

غمط متعمد.. وراءه سر!!

لماذا تحسب تضحياتنا صغيرة مهما كبرت ، وتحسب تضحيات غيرنا كبيرة ويزاد فيها كما وكيفا ؟ !

لقد عدت بذاكرتى إلى المغارم التى يتحملها شعب فلسطين خلال نصف القرن الأخير فوجدت صفحة مجللة بالسواد ، مفعمة بالمآسى . .

عند محاولة الاستعمار البريطانى إقامة إسرائيل وبعد نجاح هذه المحاولة كانت أرواح العرب تزهق بالآلاف ، وأرضهم تغصب ، وبيوتهم تنسف ، والهوان البشرى يلاحقهم فى المدن والقرى ! ومع ذلك كله لم ييأسوا من روح الله ولم تضعف مقاومتهم للغزاة . ولكن أمواجا من النسيان تذهب بجهادهم وتسدل عليه أستارا من الغمط والجحود . .!!

وعلى عكس ما وقع ويقع على أرض فلسطين . . رأيت اليهود فى ألمانيا النازية ينزل بهم ضيم أقل مما نزل بالعرب ، ويحبسهم « هتلر » فى المعتقلات ويعدهم مسئولين عن هزيمة قومه فى الحرب العالمية الأولى . . .

وينهزم الألمان فى الحرب العالمية الثانية ، فإذا طبول الدعاية تدق بصوت مزعج ، تروى للناس أن عدة ملايين من اليهود أحرقوا فى الأفران وأن ملايين أخرى فرت مذعورة إلى الشرق والغرب لا تجد مأمنا ولا مأوى !

وما ننكر نحن أن اليهود عذّبَهم الألمان ، ولكننا ننكر المبالغات الهائلة التى لجأ إليها بنو إسرائيل فى تصوير نكبتهم ، كى يستدروا العطف العالمى ، وتترك لهم فلسطين ، ويقصى عنها أهلها . .

واليوم يلقى عرب فلسطين من الحكم اليهودى شرا مما لقيه اليهود فى ألمانيا النازية !

لماذا ؟ وبأى شريعة ؟ ! !

قرأت أن المجاهدين العرب يوضعون فى علب حديدية قاعدتها نصف متر مربع ، وفوق رءوسهم أكياس من الرمل يزن الكيس ٢٠ كيلوجرام لمدة ساعات طويلة ، وأنهم يغطسون فى حمام من الماء المثلج ، وأنهم يجبرون على شرب بولهم ، ويضربون على خصيهم ، وأن اليهود يبصقون فى أفواههم ويجبرونهم على الإنحناء لجنودهم ومناداتهم بأنتم سادتنا . . ! !

إن اليهود لم يلقوا فى ألمانيا النازية هذا العذاب ! وقد أثبت البحث العلمى إن حرق ملايين اليهود هناك أسطورة لا أساس لها ، ولو فرضنا أنهم نزل بهم أشد العذاب ، فما ذنب العرب ؟ ولم يقتص منهم ؟ ! !

الحق أن للعرب ذنبا آخر قد يكون أشد من كل الذنوب !

لقد وهت علاقتهم بالله ، وتقطع ما بينهم من أخوة ، بل إن بعض العرب حاصر مخيمات اللاجئين قبل أن تحاصرها شراذم اليهود ! وظل هذا الحصار بضع سنين حافلا بالمآسى حتى ألفت طبيبة انجليزية كتابا عن آلام أطفال الحصار ! فلنلم أنفسنا قبل أن نلوم غيرنا .

* * *

أيّنا الإرهابي ؟!

في أقطار كثيرة تهدد حقوق المسلمين وترخص دماؤهم ، فإذا أبدوا مقاومة واهنة ضد المغيرين عليهم ودفعوا بالراح أفتك أنواع السلاح ، ارتفعت صيحات معروفة : المسلمون معتدون !

المسلمون إرهابيون !

المسلمون يعودون إلى همجيتهم الأولى . . !

وأعطيت الإشارة للدبابات أن تصب حممها على الصبية الذين يقذفون المغيرين بالحجارة !

ويبدو أن حبل هذا الإفك لاينقطع . . ! ، وقد وزعت أدوار هذه الأكذوبة الكبرى على أطراف شتى تجمع بين مبشرين ، وصحافيين ، وممثلين ، وتجار كتب وتجار سلاح ، وباعة «كاسيتات» وأشرطة «فيديو» ، وساسة خبثاء ، وأتباع حمقى . . .

والإصرار على اتهام الإسلام بأنه دين إرهابي هو - كما يقول علماء النفس - نوع من الإسقاط الذي يدفع المرء إلى اتهام غيره بما في نفسه هو من شر ، وبما كسبت يداه من إثم . . !

وأكتفي بتسجيل عبارات رواها « لوقا » في إنجيله عن المسيح - عليه السلام - وهي عبارات يدور عليها التاريخ الصليبي كله ، ومع أننا نحن المسلمين نستبعد صدورها عن عيسى بن مريم إلا أن القوم صدقوها ونفذوها وعاشوا ومايزالون في جوها .

يقول إنجيل « لوقا » على لسان المسيح[1] : « **ولقد جئت لألقي على الأرض نارا! فماذا أريد إلا أن تكون قد اضطرمت ؟ ولي معمودية لأصطبغ بها ، وما أشد**

(١) لوقا « ١٢ : ٤٩ - ٥٣ » .

ما أعانى حتى تتم ! أتظنون أنى جئت لألقى على الأرض سلاما ؟ أقول لكم : كلا(!) بل انقساما . . . فإنه منذ الآن سيكون خمسة فى بيت واحد منقسمين ، ثلاثة ضد اثنين ، واثنان ضد ثلاثة ، فيعادى الأب ابنه والأبن أباه ! وتعادى الأم ابنتها والابنة أمها ، والحماة زوجة ابنها ، وزوجة الإبن حماتها » .

ولم ينفرد لوقا بهذا المعنى ، بل أيده متى[1] ويوحنا[2] .

وإذا كان الانقسام فى بيت واحد غاية دينية فكيف إذا تعلقت الرغبة السيئة بمستقبل قطر كبير ؟

لقد كان الشام قطرا واحدا فإذا هو الآن أربع دول ، سوريا ولبنان والأردن وفلسطين ، والخطة مطردة لجعل فلسطين دولتين وجعل لبنان دولتين ! إن الانقسام والتقسيم مشيئة إلهية كما ترى الصليبية . . .

ووسيلة ذلك القتل والختل واتهام الإسلام بأنه دين إرهاب ! واتهام المسلمين المقيمين فى أرجاء الأرض بأنهم ضد السلام ، وأنهم مشعلوا الحرب !!

❊ ❊ ❊

١) متى « ١٠ - ٣٥ » .
٢) يوحنا « ٧ : ٤٣ ، ٩ - ١٦ ، ١٠ ، ١٩ » .

قانونىٌّ جاهل يفترى على الإسلام...

هذا مقال مشحون بالأخطاء الجريئة ، بعضها من صنع الكاتب لم يسبقه إليها أحد ! وبعضها مشى الكاتب فيه وراء غيره مقتنعا بشبهات ليس لها من وزن !

ونبدأ بالرد على السيء ، ثم نثنى بالأسوأ لحكمة رأيناها . .

يقول المستشار محمد سعيد العشماوى : « قياس تحريم المخدرات على الخمر قياس فاسد ، لأن الخمر فى القرآن مأمور باجتنابها وليست محرمة ، فالمحرم على سبيل القطع من الأطعمة والأشربة ورد فى الآية الكريمة ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[1] والإجتناب فى رأى بعض الفقهاء أشد من التحريم ، ولكنه فى الحقيقة أمر يتصل بالشخص المخاطب . .» .

نقول : والآية التى ذكرها الكاتب إحدى آيات أربع ، نزلت اثنتان منهن بمكة ، والأخريان بالمدينة ، وهن جميعا فى المحرم من الأنعام ، ولا صلة لهذه الآيات بالخمر من قريب ولا من بعيد .

ويظهر أن الكاتب لايدرى معنى كلمة طاعم ، فقد حسبها تتناول المشروبات إلى جانب المأكولات . . . ولم يقل ذلك عالم باللغة ولا بالتفسير . .

وربما وردت كلمة طعم بمعنى تذوّق ، وتستعمل عندئذ فى الروائح والسوائل ، ومن ذلك قول شوقى :

وما ضرّ الورود وما عليها
إذا المزكوم لم يطعم شذاها !

ومنه ما جاء بالقرآن الكريم « وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ »[2] أى الماء .

---

(١) سورة الأنعام : ١٤٥ . (٢) سورة البقرة : ٢٤٩ .

والزعم بأن آية الأنعـــام تبيح شرب الخمـــر لم يخطر ببـــال مسلم فى الأولين والآخـــرين !، ولو صح فهم المستشار العشماوى لها لوجبت إباحة المخدرات فهى نباتات وأزهار تطعم - بالتعبير اللغوى - ولا بأس على المدمنين ولا على السكارى من اتباع مذهب المستشار المجتهد ، وهنيئا للسكارى والحشاشين !

أما كلمة «اجتنبوه» فقد استعملها القرآن فى تحريم الاشراك والتزوير قال تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾[1] وقال فى وصف المؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾[2] فهل الكلمة التى استخدمت لتحريم جرائم الشرك والزور وشتى الآثام والمناكر تترك للشخص المخاطب بترك الخمر كى يكون له الخيار فى السُّكرِ أو الصحو ؟ !

ولماذا يكون التخيير فى تناول الخمر وحدها ؟ ! لماذا لايكون فى سائر الجرائم الأخرى . . ؟ ! !

إن تحريم الخمر قد انعقد عليه إجماع المسلمين من سلف وخلف إلى يوم الناس هذا . . ولا أشك فى أن المستشار محمد سعيد العشماوى لم يكون فى وعيه عندما قال : إن الخمر ليست محرمة فى القرآن !

ولكن هذا الخطأ على فداحته أهون من الخطيئة التى بنى عليها مقاله ، وهى أن سلطة الله فى التشريع قد انتهت بوفاة الرسول الكريم ، وانتقلت إلى الشعب ! فلنتابع هذا المستشار فى هجسه لنعرف ماذا يعنى ؟ ! ومن وراءه ؟

يقول المستشار عشماوى : « بعد وفاة النبى ﷺ انتهى التنزيل ووقف الحديث الصحيح وسكتت بذلك السلطة التشريعية التى آمن بها المؤمنون وكانت أساس خضوعهم لأحكامها ، وكان يجب على الخلفاء والفقهاء إدراك أن الشريعة انتقلت إلى الأمة أى الجماعة الإسلامية ، فأصبحت الأمة أساس الشرعية فى الخلافة والوزارة والتشريع والأوامر والأحكام . . »

ويشرح المستشار ما يريد فيقول : « إنه مع إنعدام الوحى ، وبعد فترة النبوة لايكون الحديث عن عمل الله وأمر الله وخلافة الله إلا ضربا من التعابث والتخابث والتحايل . . الخ . » .

---

(١) سورة الحج : ٣٠ . (٢) سورة الشورى : ٣٧ .

ونتساءل : ما معنى إنعدام الوحى وقد نزل منه مصحف كامل ؟ ! وما معنى توقف الحديث وقد ضبطت الأمة آلاف السنن الصحيحة ؟

يرى فقيه مجلس الدولة أن السلطة الجديدة للشعب أمسى لها حق النظر الحر فى هذه المخلفات التى تركتها السلطة السابقة ، فما قبلته بقى ، وما رأت أنه يخالف المصلحة ألغته ولا كرامة . . !!

ولكى يصل إلى غايته من ترك الكتاب والسنة أرسل هذه الكلمة العوراء « القرآن ليس كتاب تشريع ولكنه فى الأساس كتاب دين و إيمان وهو فى ذلك عكس التوراة » ! !

التوراة كتاب تشريع أما القرآن الذى قال منزله : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] والذى قال ـ بعد ذكره التوراة والانجيل ـ ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾[2] هذا الكتاب ليس كتاب تشريع بل هو دون التوراة عند المستشار عشماوى . . ! !

ومضى الرجل التائه المسكين يحاول إثبات أن عمر ألغى أحكاما قرآنية بوصفه ممثل الشعب ، والشعب هو السلطة الجديدة الحاكمة بأمرها عند هذا المفكر المخبول . .

وعمر ما كان له . . بل يستحيل عليه أن يعترض نصا قرآنيا ، لقد أبطل تطبيقا خطأ لمبدأ صحيح ثابت إلى آخر الدهر . . فقد ضبط بدويا يأخذ صدقة من سهم المؤلفة قلوبهم ، وذلك بعد ما انتصر الإسلام على الروم والفرس وعجب عمر أن يتصور هذا الأحمق أن الإسلام لايزال يتألفه كما كان أيام ضعفه القديم فحجب عنه الصدقة وطرده ! هل هذا إلغاء للنص ؟ ! أم منْع لخطاف يريد الاختباء خلفه ؟ !

وقد تعرضنا لهذه الشبهات فى مكان آخر ، لكن المستشار العشماوى يريد إلغاء الكتاب والسُّنَّة بأسلوب يجعل الجامعة العبرية ترشحه لجائزة نوبل . . ما أيسر ذلك !

ونعود للمقال الذى نشرته له مجلة أكتوبر عن انتهاء سلطة الكتاب والسُّنَّة وبدء سلطة الشعب ! لنقول : إن هذه الكلمة مظلومة !

إن الشعب مسلم وفىٌ لدينه مخلص لكتاب ربه وسنَّة نبيه ، والقصة كلها محاولة

---

(١) سورة النحل : ٨٩ . (٢) سورة المائدة : ٤٨ .

طائشة لحفنة من سماسرة الغزو الثقافى تؤدى بين ظهرانينا دور المستشرقين والمبشرين ، وسنكون لهم كالشرطة مع اللصوص .

يظهر أن الإلحاد أخصر طريق للشهرة ، فإن وغدا مغموصا كسلمان رشدى أمسى بين عشية وضحاها من ألمع الأسماء لأنه ولغ فى سيرة أشرف الرسل ! ، ولكن ما قيمة الشهرة ؟ ! !

إن إبليس هو أشهر مخلوق ! ولعل أشرف منه وأسعد عصفورة ولدت فى خفاء وماتت فى عماء لم يشك من شرها أحد . !

والطاعنون فى الإسلام من العرب المعاصرين يجدون مع الشهرة حظوة لدى إحدى الجبهتين المغيرتين على تراثنا ، وتكبر هذه الحظوة بقدر ما يثيرون من شكوك ويوقظون من شهوات .

من أجل ذلكم أشعر بأن جرائم هؤلاء المهاجمين الخبثاء على الإسلام تدخل فى دائرة الخيانة العظمى !

ومن أيام نشرت مجلة ماجنة مقالا مسموما تحت عنوان : الإسلام ليس دولة ! فقلت : قديمة ! ونكتة سخيفة ، والواقع أن الكاتب ما يرى الإسلام دينا ولا دولة ، ولكن المطلوب إثارة اللغط حول الإسلام حتى يفقد ما بقى له من مكانة !

وأوصيت من حولى أن يدفنوا الموضوع مكانه فذاك أفضل . .

من هذا القبيل قول المستشار العشماوى كان بعض الفقهاء يجاهر بوضع الأحاديث ، ويتفاخر بهذا الوضع ويقول : نحن نكذب للنبى لا عليه .

وهذا الكلام لون من الإفك ، فلم يضع فقيه حديثا ، ربما ضبط بعض الأغرار يضع حديثا فى فضائل القرآن لإغراء الناس بقراءته ، وما وقع هذا السفه من فقيه ، وقد كشف المجرم وأحيط به .

ولكن المستشار يريد تلويث سمعة الفقهاء فيهرف بما لايعرف ، وهو لاقدم له فى فقه أو حديث .

ومن جراءته البالغة زعمه أن آيات التشريع فى القرآن الكريم تبلغ مائتين ، ألغى منها بالنسخ ١٢٠ آية أى ثلاثة أخماس الآيات التشريعية ولم تبق إلا ثمانون آية .

وظاهر أن العشماوى لا قراءة له فى هذه القضايا ، ولو تناول كتابا كالتشريع الإسلامى للخضرى[1] لعلم أنه لم تلغ آية واحدة ، وأن الكلام يدور بين الإجمال والتفصيل والعموم والخصوص والتقييد والإطلاق والرخصة والعزيمة والتدرج فى التشريع ، وأن ما مِنْ آية قيل بنسخها إلا وقيل بإحكامها !

ولكنه مسكين يجهل الحقائق ويتكبر على السؤال وطلب المعرفة !

لا بل هو يسعى إلى شىء آخر ! يريد أن يقول : إذا كان أغلب آيات التشريع ألغى فى ربع قرن ـ مدة نزول الوحى ـ فلماذا لايلغى الباقى على امتداد القرن واختلاف المصالح ؟ ! !

وبذلك يستطيع الشعب ـ وهو السلطة التى خلفت الله فى الحكم ـ أن يحل ما يشاء وأن يحكم ما يريد ، بل هذا المستشار يرى واضعى الحديث أخطئوا الطريق ، كان عليهم بدل الوضع أن يتصلوا بالشعب ، وعن طريق الدستورية يضعون ما يشاءون من أحكام لها سندها ووجاهتها . .

إن الإنجليز أباحوا اللواط بحكم من مجلس العموم ! والشعوب تملك ماتريد وعند فقيه مجلس الدولة ـ بعد ما أباح الخمر ـ بلاء كثير .

* * *

(١) الشيخ / محمد الخضرى . . تاريخ التشريع الإسلامى .

محاباة جديرة بالدراسة..

يظهر أنه مطلوب من المسلمين أن يساءوا فلا يتألموا ، وأن يضاموا فلا يتظلموا ! بل مطلوب منهم ما هو أشد وأنكى ، أن يلتمسوا لضاربهم العذر ، وأن يبحثوا عن حل إذا تعقدت المشكلات أمام من يجور عليهم ويجتاح حقوقهم !

أقول هذا وأنا أقرأ مطالبة الفاتيكان لمسلمى العالم أن يجتهدوا فى إقرار السلام بلبنان ، كأن المسلمين هم صانعوا المأساة التى أشعلت الحرب بضعة عشر عاما فى هذه البلاد المسكينة !

إن قلة من سكان لبنان تريد فرض سيطرتها المادية والروحية والسياسية على الكثرة المستميتة فى رفض هذا البغى ، فلمن تكون المناشدة بالإعتدال واحترام العدالة ؟ لماذا تطارد الطائفية فى بقاع كثيرة وتصان وتحمى فى لبنان وحده ؟ ! !

إن بعض رجال الدين من الموارنة وقف موقفا سيئا فى الصراع العربى اليهودى ، وطلب من الرعية أن تنحاز إلى إسرائيل !

فعل ذلك المطران مبارك لولا أن الشيخ بشارة الخورى - وهو رجل مدنى - استغاث بالبابا الأسبق فاستدعى المطران الشاذ ، واستبقاه فى روما حتى هدأ الموقف ، وقد شكرنا لرجل الفاتيكان الواعى ما فعله ، وكان حريا بالبابا الحالى أن يحذو حذو سلفه ، ويترك لبنان عربيا وفيا لجيرانه ، محترما مشاعر أربعة أخماس سكانه !

لكن الزمام تُرك للحاقدين على العروبة والإسلام ، فوقعت ولاتزال تقع أمور لايجوز السكوت عليها ! كيف نشأ جيش لبنان الجنوبى ليحرس ظهر إسرائيل ، ويضرب المجاهدين على أرض لبنان نفسه ؟ ! !

لماذا تنامت الأحقاد فى قلوب بعض الموارنة المتفرنسين ، فدخلوا مخيمات صبرا وشاتيلا بإيعاز من بنى إسرائيل فأهلكوا الحرث والنسل ، وارتكبوا مجازر تقشعر منها الأبدان ؟ !

إن اللغة العربية تختفى من بيوت كثيرة لتحل محلها اللغة الفرنسية ، والخطة موضوعة لمحو العروبة والإسلام فى بلاد يسكنها ثمانون فى المائة من العرب المسلمين .

وقد ذكرت فى بعض كتبى أن الهوس بلغ ببعض الرؤساء الدينيين أن يتحدى فى تصريح طائش الفهم الإسلامى للعقائد ، وكأنه يقول : هل من مبارز ؟ !

إن علاج الأوضاع فى لبنان لن يتم أبدا فى ظل النفاق والجبن ، ولن يتم أبدا وفق مبدأ هضم الكثرة المسحوقة ونسيان حقها فى الحكم والسيادة والعيش بدينها ولسانها وتراثها وتاريخها .

إن الجامعة العربية تتلطف فى حل «معضلات» من صنع الدول الكبرى ، وتحاور وتداور كى تصل بشعب لبنان إلى موقف وسط يأخذ فيه المظلوم جزءاً أو جزيئا من حقه ، ويترك النصيب الأكبر للظالم الذى وضع يده على الكثير !!

ومع ذلك فإن القلة المتفرنسة فى لبنان تأبى بكبر أن تتنازل عن شىء ! ثم نسمع وسط هذا الإصرار نداء يناشد فيه الفاتيكان المسلمين فى العالم أن يبذلوا جهودهم لإقرار السلام . . !!

لعل الحل الأمثل أن يترك السنيون والشيعة والدروز والروم الأرثوذكس والأرمن الأرض كلها لدولة تكمل أطماع إسرائيل فى محو التراث والدين والدنيا عن هذه البقعة الغالية التى ورثتها أمتنا المحروبة المنكوبة . . . . ! !

* * *

من تمام التوبة النصوح...!

من فضل الله علينا وعلى الدكتور مصطفى محمود أنه أصبح من معالم الفكر المؤمن ، وأنه ببصيرته الثاقبة يعرض من آيات الله فى الأنفس والآفاق ما يدعم الحق وما يدفع الباطل . .

لقد أمحى ماضيه الذى كان مشوبا بالشك ، وحل مكانه حاضر مديد ملىء باليقين !

لماذا قلت هذا الكلام ؟ لأنى قرأت فى صحيفة الأخبار هذا العنوان السار : «نجيب محفوظ : بعد فترة شك قاسية ورحلة عقلية شاقة يفخر بإيمانه وإنتمائه إلى الإسلام » لقد دعوت للرجل ، وقلت : زاده الله هدى .

ولنسمع إليه يحكى طرفا من سيرته : يقول : « لقد أخذت الإسلام أولا من البيئة التى نشأت فيها ، كان إسلاما مختلطا بكثير من الخرافات والسلبيات ، وعندما شببت عن الطوق ، وعرضت ما تلقيته على عقلى ، كان لابد أن أرفضه ، بيد أنى وقعت فى خطأ عقلى كبير ، إذ ظننت أن الخرافات التى أنكرتها جزء من الدين ، وأنى بالابتعاد عنها أبتعد عن صميم الدين . .

ثم استبانت لى الأمور ، فعرفت ما هو من حقائق الوحى الإلهى ، وما هو من إضافات الوهم البشرى ! . . »

ثم يقول : « أنا الآن فخور بإيمانى وانتسابى للإسلام ، لقد دخلته بعد مرحلة شك ، وتعرفت عليه بإقتناع ، وبعد دراسة واسعة لمختلف المذاهب والأفكار والعقائد . . »

ويؤكد الكاتب الكبير أن الإسلام فيه كل المقومات التى تنجح بها النهضات وتعلو الأمم ، إنه دين العمل والأمانة والطهارة وباعث الحريات التى تعترض الطغاة والمنافقين والمفسدين .

ويأسف أخيرا للتدين المهتم بالشكليات ، الغافل عن اللباب ، بل يرى أن المتدينين من هذا الصنف لايقلون خطرا عمن يدعون إلى ترك الدين . .

إننى طبت نفسا بهذا البيان ، ودعوت للكاتب الآيب ، ولكن لى تعليقا أذكره بعد سوق هذه الحكاية السريعة . .

عرفت الشيخ عبد **الرازق** فى أواخر أيامه ، كان يصلى الجمعة معى فى الأزهر الشريف ، ويبكر لسماع الخطبة ، ويعاتبنى أحيانا عندما أطيل ـ لمرض أصابه ـ ونشأ بيننا ما يشبه الود !

كنت أكرهه أولا لكتابه : « الإسلام وأصول الحكم » فقد خلط فيه خلطا منكورا بين آيات نشر الدعوة وآيات إقامة الدولة ، ووقع هذا الخلط فى حين أسود ، سقطت فيه دولة الخلافة وأطبق الاستعمار العالمى علينا من كل جانب ، فكان الكتاب خطأ عقليا وخطيئة خلقية . .

وهاهو ذا الرجل قد رجع إلى الله ، وعرفت أنه أبى إعادة طبع الكتاب ! وأهال التراب على هذه الذكرى . .

إنها توبة سلبية ! كان الأستاذ **خالد محمد خالد** أشجع منه وأتقى لله عندما وقع فى مثل خطئه ثم ألف كتابا آخر أثبت فيه أن الإسلام دولة ودين !

ونتج عن سلبية الشيخ عبد الرازق أن الكتاب الذى رجع عنه ينشره الآن نفر من أعداء الإسلام وكارهى دولته . .

من أجل ذلك أتوجه ـ مع جمهور المؤمنين ـ بهذا الرجاء إلى كاتبنا الكبير نجيب محفوظ أن يضيف إلى كل طبعة جديدة من كتبه التى تحتاج إلى استدراك صفحة واحدة يؤكد فيها أن العلم والإيمان قرينان ، بل شىء واحد فى الحقيقة ! وأنه ليس هناك يقين دينى يناقض يقينا علميا ، وأن كلمات الله فى وحيه ترديد لكلماته فى صحائف الكون والحياة ، وفى قيام السماوات والأرض .

* * *

أهؤلاء على دين ؟؟

أكره أصحاب الغلظة والشراسة ، لو كان أحدهم تاجرا واحتجت إلى سلعة عنده ما ذهبت إلى دكانه ولو كان موظفا ولى عنده مصلحة ما ذهبت إلى ديوانه ، لكن البلية العظمى أن يكون إمام صلاة أو خطيب جمعة أو مشتغلا بالدعوة ، إنه يكون فتنة متحركة متجددة يصعب فيها العزاء .

إذا لم يكن الدين خلقا دمثا ووجها طليقا وروحا سمحة وجوارا رحبا وسيرة جذابة فما يكون ؟ !

وقبل ذلك ، إذا لم يكن الدين افتقارا إلى الله ، وانكسارا فى حضوره الدائم ، ورجاء فى رحمته الواسعة ، وتطلعا إلى أن يعم خيره البلاد والعباد فما يكون ؟ !

بعض المصلين تحركه لينتظم فى الصف فكأنما تحرك جبلا ! وبعض الوعاظ يتكلم فكأنه وحده المعصوم والناس من دونه هم الخطاءون ! وهذا شاب حدث يحسب نفسه مبعوث العناية الإلهية لإصلاح البشرية فهو ينظر إلى الكبار والصغار نظرة مقتحمة جريئة . .

إن القلب القاسى والغرور الغالب هما أدل شىء على غضب الله ، والبعد عن صراطه المستقيم . . . ومن السهل أن يرتدى الإنسان لباس الطاعات الظاهرة على كيان ملوث وباطن معيب .

لو أن إنسانا عرف معايبى فسترها عن الناس وقصد إلىّ ليكشف لى أخطائى ، ويرجع بى إلى ربى لشكرته ودعوت له !

أنه أسدى إلىّ جميلا ، ورحم الله امرءا أهدى إلىّ عيوبى . .

إننى أخاف على نفسى وعلى الناس صياحا فضّاحا سفّاحا يرتقب الغلطة ليثب على صاحبها وثبة الذئب على الشاه ، فهو فى ظاهره غيور على الحق وفى باطنه وحش لم تقلم التقوى أظافره ، ولم يغسل الإيمان عاره ولا أوضاه .

قديما كان الخوارج يسلكون هذه المسالك : قال التاريخ : غزا « عمارة بن قرض » غزوة مكث فيها ما شاء الله ، ثم رجع حتى إذا كان قريبا من الأهواز - فى فارس - سمع الأذان ، فحنّ إلى إقامة الصلاة مع الجماعة ، واتجه ناحية الصوت ، فإذا هو بالإزارقة ، وهم فرقة من الخوارج ترى الأمويين كفارا ومن يجاهد مع الكفار فى ظل دولتهم فهو منهم ! ، فلما رأوا القائد الكبير مقبلا عليهم قالوا : ما جاء بك ياعدوا الله ؟

فقال : ما أنتم بإخوانى ؟

قالوا : أنت أخ الشيطان ، لنقتلك !

قال لهم : أما ترضون منى بما رضى به رسول الله ؟

قالوا : أى شىء رضى به منك ؟

قال : أتيته وأنا كافر ، فشهدت أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، فخلى عنى . . ! !

ولكن الخوارج أخذوه وقتلوه . . !

إنه تحت شعار الإسلام يوجد ناس ليس لهم فقه وليست لديهم تربية ، يغترون بقراءات وشقشقات واعتراضات على بعض الأوضاع ، ويرون أن الدين كله لديهم وأن الكفر كله عند معارضيهم ، فيستبيحون دماءهم وأموالهم وكراماتهم .

ما هذا بإسلام وما يخدم بهذا الإسلوب دين من الأديان .

* * *

بديع السموات والأرض...!!

كانت الطائرة تنطلق بى من الجزائر إلى القاهرة ، كنا نطير فوق السحب المبعثرة فى الآفاق ! ومررنا بمنطقة كثيفة السحاب ، ورمقت عن بعد قمة سحابة شامخة الذروة ، استوقفنى منظرها فثبت بصرى عليها وشرعت أتساءل : ترى من أين تكونت هذه السحابة ؟ هل تجمعت أبخرتها من البحر المتوسط تحتنا ؟ أم من المحيط الأطلسى إلى جوارنا ؟ لا أدرى ، الذى يعلم هذا مرسل الرياح تلتقط الأبخرة من فوق الأمواج ، ثم تصعد بها إلى أعلى ، ثم تنبسط فى السماء كيف شاء الله ، ثم تسير مسخرة إلى حيث يريد !

ونبت فى ذهنى سؤال آخر : هذا الجبل المائى الذى يسير الهوينى لابد له من مستقر ! ترى أين يهبط ؟ هل سيسير أنهارا على سطح الأرض ؟ أم عيونا سائلة ، أم آبارا يستقى منها بالدلاء ، أم نشربه من الصنابير التى أعددناها لاستقباله ؟

أم لعله يتحول إلى حبوب وفواكه وموالح فأشرب من هذه السحابة كأسا من عصير البرتقال ؟

قلت : الله وحده يعلم أين ستهمى هذه الدِّيم ، وماذا سيفعل عباده بها ؟

لكن ذهنى كان ملحاحا فى أسئلته ، فهو يقول : هل هذه هى المرة الأولى لحركة السحاب المتراكم الذى تراه ، فهو لأول مرة يستثار ، ولأول مرة يشرب ؟ وكان الجواب : ما أظن ، إن قطرات ملأت بطونا وبطونا ، وارتوى منها ألوف وألوف ، ثم عادت الفضلات إلى البحر لتثار مرة أخرى سحبا تتهادى فى الآفاق ، ويرتقبها الناس بالشوق والأمل .

لعل الجبل المائى الذى أراه الآن يكرر رحلته المليون أو المليار التى وصفها القرآن

الكريم : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾[1]

إن عصورا متطاولة تمر على هذه الرحلات المتتابعة ، ونحن البشر فى دائرة حاجاتنا المتجددة نشرب ونروى أرضنا ، ونحسب بالساعات المحدودة حاجتنا إلى الشراب ، ونحسب بالأيام المعدودة حاجة أراضينا إلى الرى والمشرف الأعلى على السحاب المسخر بين السماء والأرض يرسل الغيث ويهيىء دوراته وفق ما قال لـ « يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ »[2] !

ومع ذلك فإن الحضارة الحديثة كوَّنَتْ إنسانا غريب الأطوار ، يرتوى ويتجشأ ولايدرى من أطعمه ولا من سقاه قد يقول : لا إله والحياة مادة ! وقد يقول : أسرة الآلهة غادرت جبل الأولمب إلى مسكن آخر يجرى البحث عنه ! ! « إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً »[3]

إن يكون هؤلاء ملومين فأحقُّ باللوم من أوتى القرآن ثم نام فى ضحاه فهو لايدرى إيمانا من إلحاد ، ولا صلاحا من فساد .

* * *

(١) سورة الروم : ٤٨ ، ٤٩ .
(٢) سورة الرحمن : ٢٩ .
(٣) سورة الفرقان : ٤٤ .

العلم يهدى إلى الله...

عندما أتتبع آيات الله فى الأنفس والآفاق أرتبط بالواقع وأنأى عن الخيال ، وفى هذا الارتباط يستوى عندى الضخم والضئيل ! فللكبير جدا عظمته ، وللصغير جدا دقته !

الواحد الذى على يمينه عشرون صفرا يمثل عددا هائلا فى الضخامة فإذا كان هذا الواحد ذو الأصفار العشرين يمثل كسرا عشريا أو كسرا اعتياديا كما يقال فى علم الحساب فالأمر بالغ الضآلة . .

ومن هنا فأنا أتعرف على آيات الله فى عالم الكواكب ، كما أتعرف عليها فى عالم الجراثيم ، وهذه ترى بمنظار مكبر وتلك ترى بمنظار مقرب . .

وربما تخيلت ما أراه من آيات بعد مرورى بها ، كنت فى الجزائر فشاهدت جبلا يشبه حرف الألف ، كان صخرة شاهقة يرتد الطرف عن قمتها ، وتوهمت كأنه يريد أن ينقض ! !

وبعد ساعة من البعد عنه عادت صورته إلى خيالى فقلت : أما يزال يريد أن ينقض ؟ لا ، سيبقى كذلك حتى يأذن الله ، ويتحقق قوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾[1]

وكما سبح بى الخيال هنا يسبح بى الخيال وأنا أتصور الألوف المؤلفة من الشموس والنجوم الدوارة فى الفضاء البعيد ، إنها كشمسنا المألوفة تشرق وتغرب ونحن أيقاظ أو رقود ، قد تبلغ مليارات من الكواكب تجرى غير متوقفة ، ولا متعثرة ، هى كما وصفها الله : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾[2] .

إنها مسخرة بأمر ربها ، دوّارة بإذنه وحده ، ويوشك أن يأذن لها بالتوقف والانطفاء ، متى ؟ ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾[3] .

---

(١) سورة طه : ١٠٥ : ١٠٧ . (٢) سورة النازعات : ١ : ٥ . (٣) سورة النازعات : ٦ : ٧ .

إن أمجاد الألوهية تذهل العقل ، ويزداد الذهول عندما أعلم أن المشرف على هذه السماوات الوسيعة مشرف فى الوقت نفسه على حيوانات جرثومية تجتمع الملايارات منها فى سنتيمتر ، ومشرف على مليارات الخلايا فى مخ واحد ، بين خمسة مليارات مخ بشرى تسكن الأرض !

ذلك عدا كائنات أخرى يقول فيها جل شأنه : ﴿ وَمَا من دَابَّة في الأَرْض وَلا طَائر يَطير بجَنَاحَيْه إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا في الْكِتَاب من شَيْءٍ ثُمَّ إلَىٰ رَبّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[1]

إن القوانين التى تنتظم الكون من الذرة إلى المجرة واحدة .

فى النهر الذى أتخيله من الشرايين الممتدة ، فى كل جسم بشرى لاتند قطرة واحدة من الدم السارى فى العروق ، لاتند عن علم الخالق ومشيئته وقدرته وحكمته .

فإذا تركت المادة إلى الفكر ، تكررت العبرة نفسها .

إن تيار الشعور الذى يهتز فى بدنى إدراكا ووجدانا ونزوعا ـ كما يعبر علم النفس ـ ليس حكرا علىّ وحدى ، إنه ينتظم الخلائق طرا . . فكل خاطر يساور نفس بشر ، وكل علم يحصله ، كتبه أو قرأه ، سجله أو لم يسجله ، ذكره أو نسيه ، كل ذلك ينتظم صفحة واحدة أمام رب العالمين ، جامعا بين شتى اللغات وشتى الأزمنة « وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ »[2] ستحيل أن يغيب عنه ، أو يتم بعيدا عن سمعه وبصره واحاطته ! !

أريد أن أقول للمسلمين : إن قرآنكم هو المصدر الأول للاعتقاد الحق ، وإن علوم الكون والحياة هى الشارح الجديد بالتأمل والمتابعة . . و إن العظمة الإلهية تزداد تألقا فى عصر العلم و إن التقدم العلمى صديق للإيمان ، وخصم للإلحاد . .

وأريد أن أحذر المسلمين من منتسبين إلى العلم لا قدم لهم فيه ، فليس « فرويد » أو « دوركايم » من العلماء ، إنهم مفكرون مرضى ضلوا السبيل ، وليس « ماركس » وأتباعه علماء ، إنهم كُهّان جدد ، استبدت بهم علل نفسية ، وما كانوا يستطيعون السير لولا الفراغ الذى أتيح لهم من قصور المتدينين ، وتفريطهم فى جنب الله .

(١) سورة الأنعام : ٣٨ .

(٢) سورة القمر : ٥٣ .

هل يفهم العرب ؟

أريد أن أهمس فى آذان العرب بشىء ! لقد قال اليهود وكرروا القول : إن فلسطين لن يعيش فيها إلا شعب واحد ! نحن أو أنتم أيها العرب ، أحد الجنسين يجب أن يختفى من على وجه الأرض ، وقد قررنا البقاء ، فاستعدوا أنتم للموت ! !

ولست أقول لأى عربى أذهب واشتر أكفانك واستعد للموت الذى سينزل بك ليلا أو نهارا . . إننى أذكره بقولة أبى الطيب العامرة بالحكمة :

وإذا لـم يكـن مـن المـوت بـد * فـمن العـجـز أن تكون جـبـانا

مادام لابد من الجلاء أو الفناء فلا يسوغ أن أترك عدوىّ دون صراع يمرغه فى العار قبل أن يقذف فى النار ! لايسوغ أن أدع له الأرض غنيمة باردة بل يجب أن تكون مقبرة لى وله وليرث الأرض بعد ذلك من يرثها ، وفق سنن الله فى هذه الحياة . . .

أريد أن أهمس فى آذان السادسة العرب ! لماذا لايكون ولاؤكم للإسلام صريحا فصيحا ، وانتماؤكم إليه باديا غاليا إذا كان بنو إسرائيل يقدسون السبت ويرفعون التلمود ويشقون حناجرهم بمواريث التوراة ، وبناء دولة دينية من الفرات إلى النيل ، وبناء هيكل الرب على أنقاض المسجد الأقصى لتعود مملكة سليمان فى هذا العصر الأسود تحكم المشارق والمغارب .

إن بعضكم أيها الساسة الأكابر يعتنق العلمانية أو القومية أو أى شىء تستخفى فيه معالم الإسلام ، فلا تظهر فيه عقيدة ولا شريعة ، ولا تلمح فيه أخوة الإيمان ولا مواريث حضارة قامت باسم الله بضعة عشر قرنا . !

إن أوروبا التى قلدتموها أخذت تتوحد وفق مواريثها وتوشك أن تقوم فيها دولة كبرى تذوب فيها اللغات والجنسيات ، وتسودها منافع مادية وأدبية مشتركة ! ولست أدرى : لماذا يرتبط الناس بأديانهم ؟ وتزهدون أنتم فى دينكم ؟!أليس فيكم رجل رشيد ؟

أريد أن أقول للعرب : إذا كان عدوكم يتدرع بالدين وهو يعتدى ! ! فلماذا لاتتدرعون بالدين وأنتم تدافعون ؟ !

إننى أسمع القائد الزنجى «جارانج» يصرح بأنه إذا دخل السودان فيجب أن يخرج الإسلام ، تتبعه العروبة مقهورة مدحورة !

وأسمع الرئيس اليهودى « شامير » يقول للعالمين : ليست للعرب ذرة من حق فى فلسطين ! لا مكان لهم على شبر من الأرض ! هذا ميراثنا كما سجلته التوراة لنا وحدنا ! !

أما الرؤساء العرب ، فلا تجرى على ألسنتهم كلمة القرآن ، ويظهر أنهم لايدرون شيئا عن رسالته ولا حضارته ، بل يظهر أنهم لايعرفون حقيقة مايجرى حولهم فى دهاليز السياسة العالمية ومبلغ تأثير هذه السياسة بالصهيونية والاستعمار .. ! !

إن فى أمريكا رجالا يؤخرون مصلحتها ويقدمون عليها مصلحة إسرائيل ، وقد ذهب خطيب أمريكى إلى إسرائيل ليقول لليهود لاتختلفوا على قضية «أرض مقابل السلام»! إن العهد القديم فصل فى هذه القضية وجعل الأرض كلها لكم !

يبدو أن ساستنا فى واد ، والدين والدنيا فى واد آخر ! .

* * *

ذكر أم أنثى..؟؟

أثبت علماء الأجنة أن السائل المنوى يحمل حيوانات مذكرة وأخرى مؤنثة ، وأن أى هذه الحيوانات سبق إلى اختراق جدار البويضة حدد نوع المولود ذكرا كان أو أنثى !

وتتفق هذه الحقيقة العلمية مع ظاهر القرآن الكريم فى سورتى النجم والقيامة ، ففى الأولى يقول سبحانه : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾(1) وفى الثانية يقول سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾(2) .

وقد كنت وقفت عند هذه المقولة المؤيدة بالكشوف العلمية وتجاوزت المرويات الأخرى ، ثم زاد اطلاعى على شروح علماء الأجنة لتخلق الإنسان فوجدت ما يستدعى إعادة النظر وزيادة البيان !

يقول هؤلاء العلماء : إن للرحم إفرازات تتدخل فى مسار الحيوانات المنوية ، وقد تعرقل نشاط الحيوانات المذكرة وتقف تقدمها فتتيح الفرصة للحيوانات المؤنثة أن تسبق إلى اختراق جدار البويضة ، ومن ثم يجيىء المولود أنثى !

وقد تقل هذه الإفرازات ، ولايجد الحيوان المذكر ما يغلب نشاطه فيجيىء المولود ذكرا . . !

هل أحد الزوجين مسئول عن هذه الإفرازات القليلة أو الكثيرة ؟ كلا ! المسئول عنها هو القائل ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾(3) .

والحيوان المنوى لايجرى على خشب أو حجر ، إنه يسبح فى الماء ، ولا علاقة لهذا الماء بحقيبة الوراثة التى يحملها فى كيانه الدقيق ، مادية كانت أو أدبية ، جسمية أو عقلية ، وكذلك الأمر مع بويضة الأنثى التى تحمل نفس الخصائص .

(1) سورة النجم : ٤٥ : ٤٦ . (2) سورة القيامة : ٣٧ : ٣٩ . (3) سورة الشورى : ٤٩ .

ويسمى العلماء هذه وتلك «بالكروزومات» فهى حاملة الصفات الوراثية التى يكمن بعضها ويبرز بعضها فى الأولاد والأحفاد وفق مشيئة من قال : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1] .

وقد جاء فى الحديث « أن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها » .

وأرى أن التعبير كما يقول علماء البلاغة من قبيل المجاز المرسل علاقته الحالّية والمحلّية ! فمصدر الوراثة الحيوان المنوى نفسه عند الرجل ، والبويضة وحدها عند المرأة وما الماء إلا حامل وحسب للمصدرين العتيدين !

وعناصر الوراثة معقدة ، فقد يحمل المرء خلقة أمه وخلق أبيه ، أو جده وجدته وقد ينزعه عرق إلى أبعد من ذلك : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2] .

إننى بهذه الكلمات أحاول التوفيق بين حقائق علمية وأخرى دينية ، ولست أدرى حظى من التوفيق ، وأيا ما كان الأمر فأنا متشبث بحبل الله المتين ، فلا أعدل بالقرآن الكريم شيئا ، مع رغبة صادقة فى ربط شتى الأحاديث به ما استطعت ، ويسرنى أن أسمع من عنده مزيد من العلم .

* * *

(١) سورة آل عمران : ٦ . (٢) سورة القصص : ٦٨ .

من حقوق العقيدة..!

الذى يعرف ربه ويخلص له يستحيل أن يمنح مودته لملحد ينكر الألوهية وينشر الجحود .

والذى يتبع تقاليد الشرق ويلتزم بمبادىء الطهارة والتقوى يستحيل أن يختار أصدقاءه من الشطار[1] والعهار .

ولذلك جاء فى السُّنَّة أن الحب فى الله والبغض فى الله من الإيمان ! فلا يجوز أن نصافى جائرا ، كما لايجوز أن نخاصم طيبا ! ! حق الطيب أن نقترب منه ونشعره بحبنا ، وحق الخبيث أن نبتعد عنه ونشعره ببغضنا . .

وقد عُرفت هذه المعانى فى ديننا «**بالولاء والبراء**» وليس هناك خلاف عليها ، ألا أنه عند التطبيق تقع أمور جديرة بالنظر أقرت فى كتاب الله وسنة رسوله ، نومىء إليها بإيجاز ، فإن المقاتل قد يتقهقر ليتقدم ! وقد يدور حول عقبة كأداء حتى لايفقد قوته فى تحطيمها وهو ماض إلى غرضه ! وقد يقسم الحق إلى أجزاء ليحصله جزءا جزءا بدل أن يفقده كله ، وقد ينزل على أوضاع ألفها ذوو المروءات فيقرها وينتفع بها ، وما ينسيه ذلك دينه وهدفه .

ويشرح الأخ الدكتور **عبد الله عزام** ذلك على ضوء تجاربه الهائلة فى ميدان الجهاد الأفغانى فيقول :

وأما **البراء والولاء** فليت شعرى هل فهمَ الإخوةُ التطبيق العملى لهذه العقيدة ؟ كأنهم يجهلون أو يتناسون أن رسول الله ﷺ أرسل أصحابه إلى الحبشة معللاً ذلك أن فيها ملكا نصرانيا لايظلم الناس عنده ، وقد ثبت فى الحديث الحسن أن النجاشى قد خرج عليه رجل آخر يقاتله فقام المسلمون يدعون للنجاشى بالنصر ، وأرسلوا الزبير ليرى نتيجة المعركة فرجع يلوح بثوبه مؤذنا بانتصار النجاشى .

ولعل هؤلاء الشباب - الذين لايشك فى إخلاص الكثيرين منهم - يجهلون أن كثيرا من الصحابة دخلوا فى جوار الكفار فى مكة ، فدخل **عثمان بن مظعون** فى

(١) « الشاطر » الذى أعيا أهله خبثا « مختار الصحاح » .

جوار الوليد بن المغيرة ، وأبو بكر فى جوار ابن الدغنة ، ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم فى جوار المطعم بن عدى لدى عودته من الطائف إلى مكة .

وأوى فى الطائف إلى بستان لشيبة وعتبة ابنى ربيعة هاربا من السفهاء والغلمان الذين يتابعونه بالحجارة ، وكذلك فإنهم يجهلون أن قبيلة خزاعة كانت عيبة (خزانة) نُصْح لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم .

أما بالنسبة لأخذ المساعدات فقد اتفق الفقهاء الأربعة على جواز أخذ المساعدة عند الضرورة من الكفار على أن لا يكون هنالك شروط ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن رجل جائع امتنع عن أكل ميتة حتى مات فقال أحمد : إنه مات آثما .

هناك قضايا لم يساوم عليها الأفغان خاصة الأصوليين الملتزمين بالكتاب والسنة ، وهى أن اللافتة يجب أن تكون إسلامية ! يجب أن تكون واضحة ! الهدف محدد لاتقاعس عنه ، وهو لتكون «كلمة الله هى العليا» ، الحكومة يجب أن تكون إسلامية ليست ائتلافية ولا محايدة ولن يدخلها الشيوعيون .

قال الدكتور عبد الله عزام : إن المجاهدين رفضوا قبول المساعدات من أمريكا وقالوا معتذرين نحن نقبل مساعدات من باكستان والسعودية والشعوب الإسلامية أما أمريكا فلا ـ حتى لاتملى علينا إرادتها ـ أما بالنسبة للشباب فنقول لهم : إنما دواء العى السؤال : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون » إنما الأمر كما قال سيدنا على ـ رضى الله عنه : « قصم ظهرى رجلان : عالم فاجر وعابد جاهل » فكثير من هؤلاء الشباب عابد جاهل .

وإنما أفسد الدين أنصاف المتعلمين فلا هم جهلة حتى يسألوا ، ولا هم علماء حتى يفقهوا ويدركوا .

ولذا لايسأل عن القضايا الإسلامية من لم يسبر غورها ، ومن لم يخض غمارها ، ومن لم يدرك أسرارها ، ولايسأل القاعدون الذين لايدركون طبيعة هذا الدين ، لأنهم لايتحركون من أجل إقراره فى الأرض ولايضحون لنصرته فى الحياة .

وليت شعرى كيف ينصر دين الله شاب لايستطيع أن يواصل مع المجاهدين عاما ! فأين الصلابة التى تجرى فى عروقك حتى تنقلها إلى الآخرين ؟

وأين هو من القاعدة الصلبة حتى يبنى بنفسه القاعدة الصلبة ؟

الدكتور عبد الله عزام سدد الله خطاه ، وآتاه تقواه ، يتكلم عن إيمان وتجربة . ونحن فى ميدان الدعوة الرحب ـ لانعانى من علل المرضى قدر مانعانى من أدعياء الطب ، وأدويتهم المغشوشة ومن الدهماء المخدوعين بهم . . !!

سياسات خسيسة لدول كبيرة ..

الجريمة فى الميدان الدولى كالجرائم التى تقع بين الأفراد ، قد تكون زلَّة قدم أو كبوة جواد ، وقد تكون عن خطة مدروسة ونية مُبَيَّتَة !

وما يقع بين الدول يغلب أن يكون من الصنف الأخير ، ومن ثَم فإن الإقلاع عنه يكون صعبا أو متراخيا .

وقد توقعت أن انجلترا وأمريكا بعد ما مهَّدَتا لإقامة إسرائيل وسرقة فلسطين من أهلها أن تتوبا من خطيئتهما وتستشعرا الخزى على ما اقترفتا من إثم ، وتقف كلتاهما ممن جنت عليهّم موقفا رقيقا ! .

لكن القوم على ما يبدو مات ضميرهم السياسى والخلقى ، وظلوا على عدائهم التقليدى لشعب فلسطين البائس الشريد . .

إن هذا الشعب الذى يقاوم الغزاه منذ وطئوا أرضه بكل مايملك ، انتفض منذ عشرين شهراً انتفاضة واسعة . خسر فيها أكثر من ألفى قتيل و٣٠٠٠ جريح ، وآلافا من المسجونين والمطرودين ، ودمارا شديدا فى أرجاء حياته كلها . .

إنه شعب بلا أرض يملكها ، وبلا دولة تحميه ، الأرض تدّعيها إسرائيل ، والدولة بين يديها . . هذا الشعب اضطر بعد عشرات السنين من الكفاح البائس أن يقبل قسمة الأرض بين صاحبها الأصيل والمغير عليها ، وأن ينزل على المثل السائر « بعض الشر أهون من بعض » ، وأن يقبل وجود إسرائيل على ترابه القديم ، فى مقابل أن يكون له وجود رسمى إلى جوارها !!

فماذا صنعت انجلترا وأمريكا ؟ قالتا : هذه خطورة متواضعة ! هذا إقرار غامض ! إنكم أيها العرب لم تنبذوا الإرهاب الذى تمارسونه ! إنكم لم تعترفوا صراحة بحق إسرائيل فى الوطن الآمن المستقل !!

لقد رضى القتيل ولم يرض القاتل ! لقد سكت المغصوب وظل الغاصب يتبجَّح ! إن الانجليز فى محنتهم أثناء الحرب العالمية الأولى باعوا فلسطين مرتين ، باعوها لليهود عندما أصدروا وعد بلفور المشئوم ، وباعوها للشريف حسين عندما ناشدوه أن ينضم العرب إليهم فى محاربة دولة الخلافة ! !

والقانون العادى يحاكم من يبيع مسكنا لرجلين فى وقت واحد ، ويعدُّه لصا ، ويحاكم من تتزوج اثنين فى وقت واحد ، ويعدها بَغِيًّا .

ولكن القانون الدولى لم يرتق إلى هذه المنزلة من العدالة والشرف ، ومن هنا مرت انجلترا بجريمتها السياسية دون عقاب !

وكل ما فعله العرب أهل البلاغة أنهم قالوا : إن من لايملك أعطى من لا يستحق ! كفى ! !

فلا عجب إذا وقفت انجلترا فى هيئة الأمم المتحدة مظاهرة لأمريكا ومؤيدة لليهود على نحو يتسم بالدهاء ، ولكنه ـ عند أولى الألباب ـ لايثير إلا الازدراء !

ومرة أخرى لا ألوم العدو الموغل فى عدوانه ، وإنما ألوم العرب الذين تقطعت حبالهم مع الله ، وآثروا الهوى على الهدى ! إنهم سيبيدون إذا لم تتوحد كلمتهم . .

* * *

لاتكذبوا عليّ...!

عندما جودلت فى كتابى الأخير[1] لم أغضب لقلة الدراية أو لنقصان المعرفة ، وإنما غضبت من تلمّس العيوب للبراء ، والإنتشاء من تهم ليس لها أساس .

فى المقدمة قلت : سنحشوا بالتراب أفواه من يتغنى بالإثم والمجون ، ومع ذلك قيل عنى : إننى أدعو إلى الغناء ، هكذا بإطلاق ! أهذا صدق ؟ !

وكتبت أن شوارع باريس أنظف من شوارع القاهرة ، بل قلت : إن العامل الأوروبى ينتج أضعاف ما ينتجه العامل العربى ! فإذا جرىء يصفنى بأننى أدافع عن الإستعمار العالمى ، وأثنى على الحضارة الحديثة ! !

أنا الذى كتبت «قذائف الحق» و «ظلام من الغرب» ، و «الاستعمار أحقاد وأطماع» وعلّمت هؤلاء الهاجمين مالم يعْلموا من أحقاد الصليبية الحديثة !

أهذا صدق ؟

ورددت رواية نافع عن عبد الله بن عمر فى جواز إتيان المرأة من الخلف ، وأنصفت الكتاب والسُنّة ، وقد قُدّم رجل للقضاة فى مصر ، ووصلت قضيته محكمة النقض والإبرام ، الزوجة تشكو ما نزل بها ، ومحامى الزوج يتشبث بكلام نافع ويطلب البراءة ! فهل نترك الإسلام لهذا الخلط ؟ وهل أُتهم بالهجوم على التابعين ! لأنى قلت : إن نافعا تائه ؟ !

لقد تُرِكَتْ الكلمة التى قالها سالم بن عبد الله بن عمر عندما سمع اتهام أبيه ! قال : كذب العبد ! إنما أراد عبد الله الإتيان من حيث أمر الله .

ومع ذلك فقد استمرأ البعض عرضى وزعم أنى أنال من الصحابة والتابعين !

أهذا صدق ؟

---

(١) السُنّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث .

وفى هذه الأيام التى صفرت فيها أيدى المسلمين من سلاح يدفعون به عن حماهم وحرياتهم ، يحلو لبعض الذاهلين أن يصوِّر الإسلام دين غارات تأخذ الناس على غرة ، فإذا جئت تشرح كيف قام الإسلام على الإقناع ، وكيف رفض الإكراه ، وأنه لايضع السنان مكان البرهان ، قيل لك : هذا رجل منهزم أثَّرت فيه مقالات المستشرقين ، وهو لذلك ينكر قيام الإسلام على السيف ! !

أهذا صدق ؟

إن الخلاف فى الفروع الفقهية لايغالى به ولايضخم شأنه إلا صغار العقول والهمم ! إذا هذا مُصَلٍّ يضع يده على بطنه ، أو على صدره ، أو تحت عنقه فهل نذهب بالخلاف إلى محكمة العدل الدولية لتبتّ فيه ؟ ! .

وإذا كان جمهور الفقهاء يرى أن الوجه ليس بعورة ، ويرى غيرهم أنه عورة فهل نذهب بالقضية إلى مجلس الأمن خوفا على السلام العالمى ؟ ! .. لم هذا الضجيج الهائل وهذا الغضب الجارف ؟ ؟ .

القصة فيما أرى ليست تفاوت معرفة ، أو اختلاف وجهات نظر ! إن شيئا فى القلوب يجب تصحيحه ، إن خللا فى المسالك ينبغى أن يزول !

فى خلق صاحب الرسالة الخاتمة - وهو سيد الناس كافة - أنه كان يأسى لخطأ الخاطئين لطول ما يودّ هدايتهم ، حتى لَيُبَرِّح الحزن به وينال منه ، إن الوالد يكره رسوب أولاده ويفرح أشد منهم لنجاحهم .

وأنا اليوم أتفرّس فى وجوه من يجادلوننى فأرى من يحاول بناء نفسه على هدمى ، ومن يختبىء وراء عنوان السلف فيرسل القول شرودا حقودا ، لا هو سلف ولا هو خلف ! .

ماذا لو طلبنا الحق لوجه الله ؟ واعتمدنا على الإنصاف والتلطف ؟ إننى أفتح قلبى وفكرى لهؤلاء .

* * *

اتهام باطل..!

كانت الجزائر مشرفة على الغرق بعد وفاة رئيسها «هوارى بومدين» فقد أدت الثورة الزراعية التى نقلها عن روسيا إلى بوار المحاصيل وفقر الأمة كلها لا الفلاحين وحدهم !

كما أدى إلغاء التعليم الدينى إلى فوضى ثقافية واجتماعية واسعة ، ونشأة جيل مزعزع لايعتمد على قاعدة ولا يرتبط بقيم ، وخلو البلاد من فقهاء ودعاة ، بل إن التراث الأدبى بدأ يذوى مع التراث الدينى الذائب ، وكاد يخلو الميدان للغة الفرنسية ، وما يقترن بها من أخلاق ومسالك وفلسفات . .

ولما جاء « الشاذلى بن جديد » شرع يعالج التركة المثقلة بما جُبل عليه من إيمان وتؤدة ! ولا علاقة لى بما فعل فى ميدان السياسة والاقتصاد ، إن الذى أثبته فى هذه العجلة ما فعله فى ميدان التعليم ، كان الرجل يتابع ملتقيات الفكر الإسلامى ، ويستمع إلى كلمات المتحدثين ، وعرّفه الشيخ « عبد الرحمن الشيبان » وزير الشئون الدينية يومئذ بأسماء لفيف منا يمكن التعويل عليهم . .

وشاء الله أن ألقى الرجل المؤمن وأن أستمع إلى رغبته فى إنشاء جامعة إسلامية بالجزائر تشبه الأزهر الشريف فى رعاية علوم الدين واللغة .

وهو بعد أن اطلع على جهودى فى القاهرة ومكة وقطر يختارنى للإسهام فى حمل هذا العبء مع علماء الجزائر ، وكان الحديث مباغتا لى ، وشعرت بأن التكليف شاق ، ولم أدْر بماذا أجيب ؟ لكنى طويت ترددى عندما سمعته يقول : قد نؤخر إنشاء الجامعة إذا لم تشارك معنا . .

اعتمدت على الله ، وتركت عملى فى قطر إلى العمل فى «قسنطينة» حيث انشئت جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، وكأنما كان بى مسٌ من النشاط الدءوب ، والنجاح فى مقاومة اللغوب ووصل الليل بالنهار لتنمية الجامعة الوليدة و إشعال

العاطفة الإسلامية فى أفئدة الطلاب ودفع الأساتذة إلى البذل والتحمُّل ، وإطفاء المؤامرات التى لاحصر لها لتعكير الصفو وإظلام المستقبل .

وضممتُ إلى ذلك نشاطا إعلاميا فى التلفاز ، وتنقلا بين ولايات الجزائر الكثيرة وبعد سنين خرجت الجامعة أول أفواجها من شتى المعاهد التى قامت فيها ، وسقطت أنا بين براثن مرض كاد يقضى علىّ ، مازالت أقاومه ويعاودنى . .

إن الجزائر حكومة وشعبا أخجلتنى من كثرة ما كرمتنى وقدرتنى .

ولذلك عرانى ذهول عندما قرأت أن وزير الداخلية فى القاهرة يتهمنى بأنى أخذت أموالا كثيرة من إحدى الدول العربية الكبيرة ! لقد عملت فى الجزائر خمس سنين أخذت فيها المرتبات التى يأخذها أمثالى من الأساتذة ، فما الذى يعيبه علىّ وزير داخليتنا ! .

وقرأت أنه عُرِض علىّ مثل ما أخذ من الخارج حتى لا أذهب ! وهذا أيضا خبر مدهش ، فإن أحداً لايملك منعى من أداء واجبى ، ولحساب مَنْ يحال بينى وبين الإسهام فى إنشاء جامعة إسلامية ؟ ! .

وأعترف بأن أحدا من الناس لم يحاول منعى من الذهاب إلى الجزائر . .

إن ما نشرته مجلة « الحقيقة » من إتهامات وزير الداخلية لى أمر مؤسف ، أنا لا أحب أن أحمد بما لم أفْعل ، ولا أن أذم بما لم أفعل ، إن مرضى يمنعنى من أغلب الأنشطة التى كنت أقوم بها فى خدمة دينى ، وأريد أن أذكر بحديث شريف جاء فيه أن أبغض الناس إلى رسول الله الذين يتلمسون للبراء العيب ، فلا تتهمونى يا عباد الله بما أنا منه برىء ، ودعونى وشأنى . .

* * *

تصرف مرفوض فى ميدان التعليم

كنت مع مسئول عن التعليم فى أحد الأقطار العربية ، فقال لى : إننى نويت أن أجعل المدرسة الثانوية مختلطة فى بلدنا !

فقلت له : لاتفعل ! هذا مسلك وخيم العاقبة ! إن جمع الفتيان والفتيات فى هذه السنّ يقدح الشرر ، بل يوقد الشر .

قال : حسبتك توافقنى وقد بلغنى أنك قبلت اختلاط البنين والبنات فى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية !

فأجبته : فى هذه الجامعة كان نحو ثلث الطلاب من البنات المحتشمات ، لم أر فيهن طالبة غير محجبة ، إلاّ اثنتين أصرتا على وضع النقاب ، وقد جعلنا للمدرج بابا خاصا بهن يدخلن منه ويخرجن ، وقسمنا المدرج نفسه قسمين أحدهما تجلس فيه البنات والآخر يجلس فيه البنون ، فلا يقع تجاور ولا التصاق .

فإذا سمع أذان الظهر أو العصر كان الجميع فى المسجد الذكور فى الصفوف المقدمة والإناث فى الصفوف المؤخرة ، وكان الطابع الدينى يسود أرجاء الجامعة ويملؤها بالخشية والأدب والحياء .

أما ما تقترحه فى المدرسة الثانوية فشأن آخر ، لقد رأيت ثلاثة أرباع الطالبات كأنهن فى معرض أزياء ، وربما رأيت من تلبس السروال الأمريكى «جينز» بضيقه الفاضح ، أو من تلبس فستانا قصيرا ، قد يغطى الركبتين فى القيام ، وتنحسر عنهما فى القعود !.

وسوف تكون الطالبة بين طالبين أو الفتى بين فتاتين ، ولابد من ذكر طبيعة هذه السن فى الشباب الباكر ، وخفّة الأحلام ، وطيش الخيالات ، إن وازع الدين والخلق سوف يخفت فى هذه الأحوال ، وأعتقد أن الدراسة نفسها ستكون فاشلة . .

فردّ على المدير المسئول عن التعليم قائلا : إننى أريد إزالة الوحشة أو ردم الفجوة القائمة بين الجنسين فى بلادنا ، وربما كانت هناك ضحايا أول التجربة ، لكن المستقبل الاجتماعى خير لأمتنا .

قلت له اسمع ما يقوله علماء الصحة النفسية والجنسية عن الشباب بين الثالثة عشر والسابعة عشر إنهم يتطلعون إلى الأخريات برغبة متفاوتة القوة ، ويحاولون إشباع ميولهم بأساليب شتى . .

تقول منظمة الصحة العالمية : « . . يشكل هذا ورطة كبيرة لدى المجتمعات المعاصرة ، تتجلى فى صعوبة الضبط والتحكم فى تصرفات المراهقين الذين يبحثون عن إرواء رغباتهم الجنسية ، تلك الرغبات التى تتأثر - إلى حد كبير - بالتغيرات الهرمونية والتشريحية المرافقة لمراحل النضج الجسمانى وتشتد هذه الرغبات ، وتزداد ثورتها تحت وطأة العوامل المحيطة » .

أفيجوز مع تأجّج هذه المشاعر إذكاؤها بحشر الأجساد ، وتقريب الأنفاس وإهاجة الكوامن ؟ !

قال : إن أوروبا تفعل ذلك !

قلت : ولذلك اختفت البكارة عند الفتيات قبل انتهاء مرحلة المراهقة ! أفلا نقلد أوروبا إلا فى مباذلها ؟ !

إن التشبث بتعاليم الإسلام ضمان للنجاة وعصمة من الآثام .

وودت لو توحد زى الطالبات فى جميع مراحل التعليم ، وفرضت كل وسائل التصوّن وحوربت كل أسباب التبذل .

* * *

بين العروبة والاسلام
(١)

إخواننا من النصارى العرب كثيرون فى مصر والشام ، وتبلغ نسبتهم إلى جماهير المسلمين العرب حوالى ٧٪ ولكن ظروفا سياسية وثقافية تجعل آثارهم أكبر من أعدادهم .

ونشاطهم فى ميدان العروبة واسع ينضم إليهم فيه الشيوعيون والعلمانيون والبعثيون ، ومرتدون عن الإسلام يخفون ردتهم لأسباب شتى .

والقاعدة التى أنطلق منها فى أسئلتى : هل هؤلاء وأولئك عرب يخدمون جنسهم ولسانهم ؟

من السهل أن ترى أغلب قادة العروبة يجيدون اللغات الأجنبية أكثر مما يجيدون لغتهم العربية ! !

لماذا لاتدرسون قواعد اللغة وآدابها وأنتم تتحدثون وتخطبون ؟

لماذا لم تعملوا على تعريب العلوم الكثيرة من طب وصيدلة وهندسة وكيمياء . . الخ . . بدل أن تدربوا أولادكم على تعلم اللغات الأخرى ، كى يلحقوا بموكب الحضارة ؟ ! ما الذى استفدناه من تعريب « شرلوك هولمز » ، « واسكندر ديماس » وغيرهما . . ؟ ! !

لماذا لم تصوغوا كلمات عربية لما استجد من مخترعات فى ميادين الحياة كلها ، ولديكم وسائل الاشتقاق والنحت ، بدل أن تجعلوا الألفاظ الأجنبية تحتل العقول والألسنة ؟ !

إن الأحياء الوطنية فى كثير من العواصم العربية كادت تغلب عليها الكلمات والمصطلحات المستوردة ؛ وذلك كله فى ظل العروبة الجديدة ! !

هل درستم التراث العربى فى العلوم والآداب لتبنوا عليه الطريق الذى تنشدونه ؟ إن الأوروبيين يتعصبون لتراث يونان ورومان ، وهم مانهضوا إلا بعد ما تركوه ! فلماذا انفلتّم وراءهم من التراث العربى ، واحتفلتم بفلسفة اليونان وقوانين الرومان ؟

هل أنتم عرب حقا ؟ هل فتحتم مدرسة عربية للمهاجرين العرب فى أوروبا وأمريكا ؟ أو هل فتحتم مدرسة عربية لمن شاء من الأعاجم أن يدرس لغتنا وتراثنا ؟

إن هناك روابط دولية لمن يتكلمون الإنجليزية ، ولمن يتكلمون الفرنسية ، فهل فكرتم فى مثل هذه الرابطة لتضم العرب والمستعربين ؟ !

سئلت يوما عن هويتى؟ فقلت : مصرى عربنى الإسلام ! إن الدائرة الوطنية ضمن الدائرة العربية ، وكلتاهما ضمن الدائرة الإسلامية ، لاتناقض هنالك ولاتزاحم !

ولاشك أن الإسلام ولىّ نعمة العرب فقد أحيا مواتهم ، والحضارة التى تريد الإسلام أن تهبَّ ريحها رخاء على العالم كله ، وتقيم دولة تحسن فهم الإسلام والدعوة إليه ، أساسها البَيِّن هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا .. ﴾[1] .

إن التعارف ينشأ من اللطف لا من العنف ، ومن الإقناع لا من الإرهاب ، ومن إثارة الإعجاب لا من إثارة التوجس ، ولايعنى هذا أبدا انتفاء القصاص والعقوبات ، وقمع العدوان ، ورد الفوضى . .

المهم توزيع النصوص على محالّها وعدم تحريف الكلم عن مواضعه ! فهل يعى ذلك إسلاميون يضعون السيف موضع الندى ، والندى موضع السيف ، ولايحسنون الفهم ولا التطبيق ؟

هذه أسئلة توجهت إلى الإسلاميين لا للتعجيز ولكن ليتعرفوا مواضع الأقدام وأبعاد الآمال ! !

فما هى الأسئلة التى نوجهها بدورنا إلى العروبيين ؟ ؟

نسردها ونحن نشرح الأمر الثانى ، وهى أسئلة لاتقل صراحة وقسوة . .

* * *

(١) سورة الحجرات:١٣ .



بين العروبة والإسلام
(٢)

فى ندوة العروبيين والإسلاميين تكشف لى أمران يحتاجان إلى الإيضاح ! .

الأمر الأول : أن الإسلاميين متهمون بغموض الفكرة ، والعجز عن تقديم مناهج جامعة مانعة للقيم التى يدافعون عنها ، وعن تقديم حلول كافية شافية للمشكلات العالمية والمحلية التى يشكو الناس منها . .

وهذا سر الأسئلة التى وجهها « يوسف خليل » للإسلاميين عندما يعرضون دينهم ، إنه يقول لهم : « هل سيكون الإسلام عامل أصالة وتقدم ـ كما يريد أهله ـ أم سيكون عامل إغتراب وجمود ؟ هل سيكون عامل توحيد أم عامل تجزئة ؟ هل سيكون عامل انفتاح على متغيرات الدنيا أم عامل انغلاق على الدنيا الماضوية ؟ هل سيكون عامل حرية وتحرير أم عامل تقييد وعبودية ؟ هل سيكون عامل إسهام فى الحضارة الإنسانية أم عامل تقوقع واستيحاش ؟ هل سيكون إسهامه وقفا على بعض الناس دون سواهم أم سيتناول باسعاده الناس كلهم ؟ ليبددنّ من آفاقهم الكآبة والحرمان ؟ هل ما يريده الإسلام وما يستطيعه هو السعى إلى خلاص قسم من البشر هم أتباعه وحدهم ؟ أم هو يسعى إلى خلاص البشرية جمعاء » .

قال لى بعض من سمع هذه الأسئلة : ماذا يعنى ؟ قلت : أشرح لكم المراد !

الشورى ركيزة الحكم الصالح ، والمسلمون أحوج أهل الأرض إلى أن يعيشوا فى ظلها ، فهل وضعتم القواعد التى تكفلها وتحميها من طغيان النظام الفردىّ ؟ أم سيظل اللغو الذى يقول : إن الشورى معلمة لاملزمة ، ومن حق الحاكم أن يتجاوز أهل الحل والعقد ؟

فلماذا سمُّو أهل الحل والعقد إذا كان وجودهم نافلة ! وزينة مجالس ؟

والعدالة الاجتماعية إطار لإنتاج غزير وتوزيع منصف ، فكيف تسدون الطريق أمام الاشتراكية التى تَعدُ الجماهير بالمنّ والسّلوى ، وتحشد كل القوى لتكثير الخير ؟

إن الجوع الكافر والكسل الشائن سوف يقضيان على الدين إذا لم يسارع الدين إلى القضاء عليهما ، فهل وفرتم من الدين ضمانات هذه العدالة ؟

قصة النقاب والجلباب والقبقاب ! أما زلتم تفكرون فيها ، بعدما غزت المرأة الفضاء وصارت ملكة ورئيسة جمهورية ورئيسة وزراء . . الخ ؟

إن تصوُّركم الفردىَ للعبادات أنساكم أن الإسلام حضارة عامة ، وارتقاء إنسانى بالرجال والنساء على سواء ! وجعلنى أنا المصرى البعيد عنهم أتعصب للغة الوحى الأعلى .

وبذلك أنداحت دائرة العروبة وتجدد دمها ، وتحت راية الإسلام ازدهرت العلوم الدينية والإنسانية ، وأسهم فى دعم بنيانها أناس من كل جنس ، بعد أن ذابوا فى بوتقة العروبة ـ لأن العروبة لسانٌ لا دمٌ ـ فأصبح المسلمون العرب ـ بلغتهم لا بنسبهم ـ هم دماغ الإسلام وقلبه ، وفكره وعاطفته . .

الذى ظهر لى أن الذين رفعوا راية العروبة المجردة ، لاهم عرب ولاهم عجم ! ! إنهم جنس مُهجَّن التفكير والشعور ، من ترك منهم الإسلام ووالى خصومه فهو ناكص على عقبه ، زائغ عن غايته ، خائن لرايته . .

أما إخواننا من النصارى العرب فنحن نذكّرهم بالمواطنة المشتركة ، والعهود القديمة ، والمصالح الجامعة ، فإن الاستعمار الغربى والشرقى سواء فى الغدر والعدوان ، وأولو الألباب لاينخدعون به ، ولا يغترّون بهبوب الريح معه .

* * *

ما الكبت المرفوض؟!

(١)

فى غياب الوحى ، ومع رغبة البعض عنه ، يأخذ الفكر خطاً مائلا يجعل المرء أدنى إلى الحيوان منه إلى الإنسان !

فإذا كان صاحب هذا الفكر بارزا فى ناحية ما من المعرفة كانت فتنته أشد ! قال لى بعض الناس : إن فرويد ألمع رجل فى ميدان التحليل النفسى ، قلت لفورى : ولكنه أوضع رجل فى ميدان الإغراء الجنسى ! إننى لا أخشى فلتات الألسن ، وكبوات الطباع ، فما أيسر علاج هذه وتلك .

هناك السُنّةُ الحسنة والسُنَّة السيئة ، هناك الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة هناك النهج الذى يمهد للآخرين فيسيرون فيه وهم لايدرون ! بماذا تصف هذه الجملة المحقورة «لفرويد» : إن الإنسان لايحقق ذاته بغير الإشباع الجنسى ، وكل قيد من دين أو أخلاق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمر لطاقة الإنسان ، وهو كبت غير مشروع . . ! !

هذا فكر مسعور ، وهو من وراء حريق الفضائل الذى شب فى أرجاء أوروبا ولم ينطفىء إلى اليوم ، بل أخذ شرره يتطاير إلى بلادنا . .

لو كان الرجل يحارب الرهبنة المطلقة لقلنا : نعم فالفطرة البشرية تأبى حياة الرهبانية ، وجمهرة المرسلين عاشت بعيدا عنها : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[1] .

والمرء السوىّ يهش للمرأة ، ويسعد بالزواج منها والالتقاء باسم الله معها ، وما أحسب الرجل الذى يكره النساء سليم المواهب والغرائز . . وفى الحديث الشريف «حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

(١) سورة الرعد ٣٨ .

أما أن يقال لا مكان للكبت فى السلوك البشرى ، وهو تصرف غير مشروع فهذا هو المجون والفوضى . .

والواقع أن كل إنسان محتاج إلى الكبت منذ يعقل إلى أن يموت ، فتطلع النفس إلى ما ليس من حقها المادى أو الأدبى لاينتهى ، والنفس أمارة بالسوء ، ولو أننا نفذنا كل ما تشتهيه لأختفت الحدود والمعالم وأمست الدنيا غابة ملأى بالوحوش . .

إن هناك أمورا يجب أن نصوم عنها إلى آخر الدهور ، وهناك محرمات يجب أن يداس تحت الأقدام كل جنوح إليها أو اشتهاء لها وفى هنا يقول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[1] .

ربما كان فرويد رجلا ذكيا ، ولكنى تأملت فى كلماته وفى العلة التى أصيب بها آخر حياته ، فخيل إلىّ أن هذا الشخص مات « بالإيدز » ! وليس يستبعد على من يرفض كبت أى نزوة تعرض له أن ينتهى بهذا المصير الكالح . .

إننا نحذر الفتيان والفتيات من سماع هذا اللغو ، وخير لهم أن ينتصحوا بهدايات الله وحكم المرسلين .

* * *

(١) سورة النازعات : ٣٧ : ٤١ .

ما الكبت المرفوض؟
(٢)

إن وسطية الإسلام تبدو جلية فى موقفه من الغريزة الجنسية ، فقد كره تسيُّبها الأعمى واضطرابها هنا وهناك كما كره قتلها واعتبارها رجسا من عمل الشيطان . . .

للإنسان أن يتملك ما يشاء ، لكن بغير طريق السرقة والإكراه والغش ! والمعضلة التى واجهت الغرب وأثرت فى عقول مفكريه نظرة النصارى إلى الرهبانية على أنها النموذج الأعلى للإنسان الراقى ، وأنه يبلغ من الروحانية والتسامى بقدر ما يبتعد عن المرأة ويميت كل ميل إليها . .

وهذا تدين باطل ! وقد صحبه إحساس دائم بأن المرء لن يخرج من سجن الإثم أبدا مادام هذا الميل يتحرك فى دمه ، وإنتزاع هذا الميل من الطبع البشرى مستحيل ، وإلا لانمحت الحياة الإنسانية على الأرض . .

وقد نشأ عن هذا العوج الفكرى يأس من التسامى ، ثم انطلاق مع الدنايا على أنها ضرورة ماسة أو قدر غالب !

ولعل ذلك ما يقصده «فرويد» عندما قال : « إن الكبت ليس هو الإمتناع عن العمل الغريزى ، فذلك مجرد تعليق للعمل أو إرجاء موقوت ، لكن الكبت هو استقذار الدافع الغريزى والشعور بأنه دنس لاينبغى للإنسان أن يفكر فيه ، فيكبته فى عقله الباطن وهذا الكبت ـ بمعنى الاستقذار ـ يظل دائما فى النفس ولو أتى المرء الفعل الغريزى فى اليوم عشرين مرة ، فلا علاقة له بالممارسة ، إنما علاقته بالشعور » .

تقول منظمة الصحة العالمية ـ شرق البحر المتوسط ـ أما الإسلام فيقول خلافا لفرويد : إن الدافع الجنسى لايستقذر لذاته ! إنه يستقذر إذا كان وراء إنحراف أو

عدوان ، ولنتدبر الحديث الشريف : « فى بضع أحدكم صدقة ! ! » أو « إن فى بضع أحدكم لأجرا !! قالوا : يا رسول الله : إن أحدنا ليأتى شهوته ثم يكون له عليها أجر ؟ ! قال : أرأيتم إن وضعها فى حرام أليس عليها فيها وزر ؟ فإذا وضعها فى حلال فله عليها أجرا » ! !

ثم تقول المنظمة : إنه فى الإسلام يمارس الجنس باسم الله ، خير الأسماء ويكون مع هذا الاتصال دعاء الله بالإنجاب الصالح . .

والزواج فى الإسلام نصف الدين وليس التفكير فيه جريمة ولاشبه جريمة ! وصدق الله : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[1] .

بيد أن الأمة الإسلامية لم ترتفع إلى مستوى دينها لافقهاً ولاتطبيقاً ولا دعوة ، فكان أن ظهر دجالون كثيرون يعملون باسم العلم فى مجالات لايعرف العلم الحق طريقا إليها . . .

* * *

(١) سورة الروم : ٣٠ .

ضوء على فتوى...

أصحاب الأحوال المتوسطة عندنا يعجزون عن تثمير أموالهم إذا كانت لديهم مدخرات قليلة أو كثيرة ، كان أحدهم ـ قديما ـ يستطيع بناء بيت يسكن بعضه ويؤجر بعضه ، أو يشترى أرضا يستأجرها منه بعض الفلاحين ، يرجون جميعا فضل الله مع الحصاد المرتقب . . لكن القوانين التى صدرت «لتنظيم» العلاقة بين المالك والمستأجر جعلت ذلك صعبا أو مستحيلا !

وصدرت فى ميدان التجارة قوانين للتصدير والاستيراد وللتجارة الداخلية والخارجية وللقطاع العام والقطاع الخاص أحسّ الكثيرون معها أنهم لا أمل لهم فى هذا الميدان ، فابتعدوا عنه . .

وعرف هذه الأوضاع رجال لهم خبرات ومواهب فأقاموا شركات توظيف الأموال التى وجدت إقبالا شديدا من الناس ، لأنها تعتمد فى تعاملها على الكسب الحلال ـ أى على رفض الربا ـ ولأنها وفرت لمن أسهم فيها نسبة رفيعة من الربح الطيب . .

وقد عرفت أنه منذ عامين كان ما بين مليونين أو ثلاثة ملايين من الجنيهات تصب فى الشارع المصرى كل صباح وتجعل الجمهور فى يسر وسعة .

ولكن قرارا سياسيا صدر ـ أحسب أن وراءه صندوق النقد الدولى ـ اختصر المساحة الرحبة التى كانت تعمل فيها هذه الشركات ، ووضع أمامها عراقيل شديدة ، وما أدرى بعد ذلك كله كيف ستستطيع الحياة ؟

ومن الحظوظ السيئة أن يصحب ذلك فشل محزن للمصرف الإسلامى الدولى أساسه فيما بلغنى الفوضى الإدارية والخلقية بين مسئولية الكبار ، مما كان سببا فى ابتعاد هذا المصرف عن الأسس التى قام عليها .

وحاول الزبانية أن ينالوا من بنك فيصل الإسلامى ، ولكن البنك كان أمنع .وأعز .

فى هذا الأفق الملبد بالغيوم ، ومع حاجة أصحاب الدخول الضيقة إلى مصادر لحياة معقولة ، وبعدا عما تكتنفه الريبة من وسائل الارتزاق ، أبحنا أرباح صندوق التوفير وشهادات الاستثمار على أنها عطاء من الدولة لمن يدعمون بأموالهم جهود التنمية ، ولا صلة لهذه الأرباح بأعمال البنوك ، واقترحت مع غيرى تسمية المصرف منحة !

إن الملابسات الاجتماعية هى التى جعلتنى أرجع إلى قانون الضرورة ، ولو أن الحرية الاقتصادية توفرت لجمعيات توظيف الأموال ولغيرها من المؤسسات لكان لنا رأى آخر ، وهذا هو السبب فى أن فتواى كانت غامضة نوعا ما ! !

لقد علمت أن بنك فيصل يستطيع زراعة ألف ألف فدان فى الصحراء ، وأن « الشريف » يستطيع بناء مصانع لإطارات السيارات وللأسمنت ، وأن « الريان » كان يستطيع عمل الخوارق ، ولكن الإسلام ثقيل الظل عند صندوق النقد الدولى .

أرجو أن أضع هذا بين يدى الأخ الأستاذ « وحيد غازى » ، إجابة للفتته الذكية فى جريدة الأحرار .

* * *

قروض العالم الثالث...

العالم الثالث يترنح تحت وطأة الديون التي يسأل عن سدادها ، ونصف هذه الديون أو أكثر ناشىء من الربا المضاعف الذى فرضته الدول الغنية . ومع مرور الزمن ودوام العجز فإن المشكلة تزداد تعقيداً ، والمستقبل يزداد سواداً .

وقد اقترح أمير الكويت حلا عادلا رحيما لهذه المحنة عندما طلب من الدول الغنية أن تسقط الربا الذى فرضته ، وأن تنظر إلى المدين المعسر نظرة عطف فتتصدق عليه ببعض ما أعطت . .

وقد لقى هذا الاقتراح وجوما وصدا لا يستغربان ممن نبتت لحومهم على السحت ونمت على الابتزاز والاحتيال .

إن الاستعمار العالمى بنى عواصمه الكبرى من نهب الأقطار المتخلفة فى أفريقيا وآسيا ، وكلف العراة من سكان القارتين أن يقدموا الفراء الثمين لسكان الشمال المحظوظ .

وهو الآن يغير وسائله فى النهب مع بقاء عوامل الجشع والبغى تطلب وقودها الدائم من عرق الفقراء والمنكوبين !

إن الارتقاء الحقيقى ليس فى إخفاء المخالب وراء قفازات من حرير ، بل الإرتقاء أن يقمع المرء جشعه ، وأن يخجل من البغى والأثرة . . ويبدو أن حضارة الغرب لاتؤمن بهذا . .!

إن الربا مرفوض بين الأفراد والدول ، وقد يخالف بعض الفقهاء فى وصف بعض العقود بأنها ربوية أو غير ربوية ولكن أحدا منهم لايخالف أبدا فى أن ماتصنعه الهيئات الدولية الآن هو عين الربا ، وأن استغلال الضوائق فيه ظاهر ، وأن أحط الغرائز الحيوانية تكمن وراءه . . .

وقد آخذ القرآن الكريم أهل الكتاب ـ خصوصا اليهود ـ باستباحتهم الربا وخلط

معاملاتهم المالية به ، قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ . . . ﴾[1] .

وكنت أتوقع من المؤسسات الدينية ومن شتى المذاهب المسيحية أن تظاهر أمير الكويت فى صيحته العادلة ، بيد أنها مشغولة بأمور أخرى لانتحدث عنها الآن . .

فى الجاهلية الأولى سمع واحد من الرجال المنصفين بعض آيات القرآن التى توصى بالمكارم والمروءات فقال : والله لو لم يكن هذا دينا لكان فى خلق الناس حسنا ! !

ونحن نسائل أتباع الأديان جميعا : ماذا لو اتفقت الكلمة على محاربة الرذائل والمظالم . . والوقوف فى جبهة واحدة ضد البغى والطغيان . .

إن هذا المسلك يوجه قوى كثيرة لحماية الإنسانية ، وصيانة يومها وغدها ، وأعتقد أنه مع شيوع الأمان سيشرق المستقبل أمام الإيمان ، وتقل الفرص أمام الإلحاد .

* * *

(١) سورة النساء : ١٦٠ : ١٦١ .

يهود متحدون وعرب متخلفون...

قال مستر « شامير »[1] فى صلف : إن الفلسطينيين الذين يرشقوننا بالحجارة لن يرسموا سياستنا ، وردّ بهذا القول على اقتراح بأن يناقش «الكنيست» الإنتفاضة الفلسطينية التى طال أمدها . . .

وبديهة أن تكون الحجارة سلاحا مغلولا فى مقاومة الدبابات والبنادق ! وسيبقى رماة الحجارة مستباحين« فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنقَذُونَ »[2] .

أليست لدى العرب والمسلمين أسلحة أخرى يدفعون بها الأذى ، ويصدون العدوان ؟ بلى ولكن هذه الأسلحة لها وظيفة لم يعرف العالم لها شبيها فى الخسة والبوار ! . . إنهم يقتلون بها أنفسهم !

هناك هذه المجزرة بين العراق وإيران التى أربى القتلى فيها على المليون ، واستخدمت فيها كل الأسلحة ، وسعرتها ولاتزال تسعرها مشاعر وحشية ، أدهشت العالم بحدتها وشدتها .

إن عشر معشار ما أنفق فى هذه الحرب كان يستطيع تحرير المعذبين فى فلسطين ! لكن الأمر كما قيل قديما :

سريع إلى ابن العم يلطم خده
وليس إلى داعى الندى بسريع !

لعنة الله على من أشعل هذه الفتنة ، ولايزال يمدها بالوقود ، ويضاعف الضحايا والخسائر .

ويرمق أهل فلسطين جماهير المسلمين بين الأطلسى والهندى فيرونهم مشغولين بحرب الأحقاد عن إسعاف إخوان العقيدة ، واستنقاذ حقوق الإنسان أياً كان لونه أو دينه . .

(١) رئيس وزراء إسرائيل وقتئذ .

(٢) سورة يس : ٤٣ .

بين المغاربة والصحراويين حرب لامعنى لها . . وبين ليبيا وتشاد ! ، والسودان مشغول برد الشيوعيين الهاجمين عليه من الجنوب ، ومخيمات اللاجئين فى لبنان تعانى من حصار وضيع .

والباكستان تحمل أعباء اللاجئين من أفغانستان ، والبنغال يقاتل شعبها حاكمها . .

وفى كل بلد مسلم ـ إلا ما عصم الله ـ تجد فتنا مائجة ، وشعوبا نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، ووسط هذا الشتات السياسى والعسكرى يرسخ اليهود أقدامهم فى الأرض التى أغاروا عليها وهم آمنون مطمئنون . .

وتتحرك ضمائر أناس لهم غيرة على كرامة الإنسان وحقه الطبيعى ويصيحون بضرورة وقف المأساة التى تدور رحاها فى فلسطين ، بيد أن الولايات المتحدة ـ وهى الدولة الأولى فى العالم ـ تعترض الصائحين ، وتخرس ألسنتهم ، وتشد أزر إسرائيل فى عدوانها ، وما كان ينتظر غير ذلك من ولية نعمة إسرائيل والقيم المحامى عن مطامعها فى تراثنا كله .

من ألوم ؟ ما ألوم إلا المسلمين كافة والعرب خاصة ! فحرب الحزازات أزهقت روح الأخوة واستدبار الإسلام حرمهم تأييد الله ! وكأننا لم نسمع قول الله : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[1] .

لقد اجتمعوا على باطلهم فلماذا نتفرق على حقنا ؟ ! إنهم رفضوا كل يد تمتد إليهم بصلح أو هدنة ! فماذا نرجو ؟

* * *

(١) سورة محمد : ٧ .

تديّن غبى ....!!

فى مدينة كبيرة من قطر إسلامى رأى شباب مسلمون يمشون حفاة إلى المسجد ! فلما سألهم أحد المراقبين عما يفعلون قال قائلهم : إن النبى ﷺ وأصحابه كانوا يمشون إلى المسجد منتعلين أحيانا وحفاة أحيانا فأحببنا أن نحيى سنتهم ونقتدى بهم !

وبلغنى الخبر مع طلب الفتوى ! فقلت للسائل : ربما استطعت الإجابة عن أشياء يفكر الناس فيها بأدمغتهم ! أما ما يفكرون فيه بأرجلهم فلا أستطيع أجابة عنه . . . !

* * *

وسمعت من إذاعة لندن هجوم بعض الشباب على مسجد للإخوان تصنع فيه حقائب صغيرة فيها هدايا للفتيان الذين يحضرون مصلى العيد ، وتتضمن الحقيبة كتاب المأثورات وبعض التمور والحلوى ، قال المهاجمون : هذه بدعة لم تعرف على عهد السلف ! وكان الهجوم بقضبان وسلاسل حديدية ، وانتهى ببضعة عشر جريحا نقلوا إلى المستشفى ، وعدد من المتهمين نقلوا إلى السجن !

وقد استقصيت النبأ ووجدته صحيحا ، ودعوت لأولى الألباب الذين تدخلوا على عجل لمنع الفتنة ومحاصرة المعركة !

لقد شاهدت بنين وبنات فى أيديهم الهدايا المقدمة وكانوا فرحين بها ، وسألت المشرفين على المصلى : ما هذه الهدايا ؟ قالوا : أحببنا أن نجتذب قلوب الصغار ، وأن نفهم رجال الأمن أننا لانفكر فى خصام ، ولذلك أهديناهم منها ، وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام : « تهادوا تحابوا . . »[1] .

---

(١) فى مسند أبى يعلى . . حديث حسن .

لكن فرحة العيد حوّلها المتقعرون إلى مأساة ! هذا هو إجتهاد الأئمة الجدد الذين لايعجبهم فقه الأئمة الأربعة ! !

* * *

وجاءنى رجل غاضب يقول : هل «صدق الله العظيم» حرام ؟ ! ! لابد أن أفعل كذا وكذا . . .

وأدركت أننا على أبواب معركة أخرى ، وقررت إطفاء الفتنة قبل أن تقع . .

قلت : يا عباد الله ، إن الله صادق فيمايقول لايمارى فى ذلك ذو عقل «ومن أصدق من الله حديثا » ؟ فإذا قال الكلمة قارىء أو سامع يحكى بها ما فى نفسه من تصديق ومحبة للوحى فلا حرج عليه ، وقد كان تصديق الله سبحانه فيما يلقاه الناس من خوف أو أمان شيمة أهل الإيمان « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » [1] .

وقد أمر الله بتصديقه عندما يتجلى الحق فى شئون الحلال والحرام « قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا » [2] .

فإذا كان قارىء القرآن أو سامعه يعبر عن هذه المشاعر عندما يقول صدق الله فلا حرج عليه ، وما زعم أحد أنها فريضة لازمة ، ولا نوجّه لوماً لساكت عنها . .

أين البدعة التى تريدون سفك الدم لإطفائها ؟ ! ! كفاكم فضائح للإسلام .

* * *

(١) سورة الأحزاب :٢٢ . (٢) سورة آل عمران : ٩٥ .

تساؤل عن جريمة غامضة..!

تملكتنى حيرة شديدة عندما قرأت خبر قتيل حى «الظاهر» الذى ظل يعذب أربعة أيام نقل بعدها إلى المستشفى القبطى ، ودلت التقارير الأولى على أن هناك اشتباها فى ارتجاج بالمخ ، وكسر بالجمجمة ، وآخر بالرسغ الأيسر ، وآخر بالضلوع والقفص الصدرى ونزيف دموى حاد ! !

وقالت جريدة الشعب : إن ضباط المباحث بشرطة قسم الظاهر : نكلوا به ، وتم تهشيم جمجمته وفقء عينه وبتر جهازه التناسلى كله . . الخ . .

خامرنى الشك لهول ما قرأت ، وقلت : لابد أن يظهر توضيح لما حدث ولاسيما الجريدة تقول : إن رئيس المباحث عندما علم بوفاة هذا البائس أمر الأطباء بكتابة تقرير يفيد أن الوفاة كانت إثر هبوط حاد فى الدورة الدموية ! وأن المريض كان فى غيبوبة عند نقله إلى المستشفى ! وتم إخفاء جميع صور الأشعة التى تثبت الحقيقة !

أى أن الجريمة ارتكبت ، واتخذت بعد ذلك كل الوسائل التى تضلل القضاء وتنقذ المجرمين ، وتهيل التراب على المأساة المرعبة ! .

قلت لنفسى مرة أخرى : أيمكن أن يقع هذا ؟ ! فلأنتظر بيانا يلقى الضوء على القضية كلها ، ومرت بضعة أيام ولم يتكلم أحد ! ما هذا الصمت ؟ ! أيختطف شاب غير متهم بشىء خفى أو ظاهر ، ثم يتعرض لأهوال تزهق فيها روحه ويشوه فيها جسده ، حتى إذا هلك تحت وطأة العذاب الأليم تَمَّ إبعاد المعتدين عن أى إتهام ، وزورت تقارير طبية كى يمرح الجناة على ظهر الأرض دون قلق ، أو لعلهم يكلفون باقتراف جريمة مشابهة وهم آمنون ؟ ؟

كيف يقع هذا كله ؟ ! !

وعدت أقرأ القصة الكئيبة ، إن القتيل حاول أن يثنى رجال المباحث عن اعتقال جار له مع والدته دون أسباب ظاهرة لاعتقالهما ! !

أى أنه ذهب ضحية شهامته ، ولو جبن وخرس وترك الاعتقال يقع دون تدخل منه لنجا بنفسه ! ! وما دق له أحد عظما ولاقطع له عضوا . .

أهكذا نبنى الرجال على الكرامة والإباء وننشىء أجيالا عالية الرأس موفورة العزة ؟ !

وتقول القصة : إن أهل القتيل بحثوا عنه فى قسم الشرطة وفى المستشفى الذى نقل إليه ، ولكنهم تاهوا ! و إن الشهود على الواقعة المحزنة يهددون حتى لايذكروا الحقيقة . . . و إن المحامى «صفى الدين سالم» تقدم ببلاغ إلى النيابة لحماية العدالة ، وإن الأسرة أرسلت أربعة بلاغات إلى النائب العام تناشده التحقيق فى الأمر .

ذلك ، وقد كلفت المنظمة العربية لحقوق الانسان خمسة من كبار المحامين لتولى هذه القضية على نفقتها . .

لقد تساءلت : ما معنى هذا كله وما دلالته ؟ ؟ !

من يدرى عدد الضحايا الذين قتلوا مظلومين ، وأُبرزوا للناس على أنهم قتلة ظالمون ؟

كان يجب أن يصدر بلاغ رسمى بما حدث ! قال النبى عليه الصلاة والسلام : **« لايقفن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلما ، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه» . . وروى فى حديث آخر : «من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام[1]»** .

إن هذه الحوادث تفضح أمتنا وتسقط رايتنا بل لاتجعلنا أهلا لحرية أو أهلا للتمتع بحقوق الإنسان .

* * *

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن أوس بن شر حبيل .

مسلمو بريطانيا وغضبهم على كاتب مرتد..

يعيش فى الجزر البريطانية نحو ثلاثة ملايين مسلم هاجروا إليها من آسيا وإفريقيا لظروف إقتصادية وإجتماعية كثيرة ، وفيهم إنجليز اعتنقوا الإسلام بعد دراسة متعمقة وتصديق جازم . . !

والمسلمون المهاجرون بعضهم يعمل فى شركات كبرى ، وبعضهم يرتزق من حرف صغيرة ، ومع أن مستواهم الحضارى والمالى دون مستوى اليهود إلا أنهم معروفون بدماثة الأخلاق وشرف السيرة ، وجمهرتهم لاتعرف الخمر ولا القمار ولا الدنايا الجنسية الشائعة بين غيرهم .

وقد تعرض مسلمو إنجلترا هؤلاء لمحنة كبيرة فى الأيام الأخيرة ، فإن شخصا من مواليد الهند ـ يحمل اسما إسلاميا للأسف ـ ألف كتاب جرح فيه مشاعر المسلمين جميعا ، ووجه إليهم أقبح السب .

ومانشك فى أنه موعز إليه ما كتب ، وأن ناسا من العاملين فى الظلام الحاقدين على نبى الإسلام هم الذين وسوسوا للكاتب باقتراف ما اقترف . . ومحور الكتاب أن بغيا افتتحت محلا للدعارة جعلت اللافتة الدالة عليه كلمة « الحجاب » (!) .

هل كلمة « الحجاب » تصلح عنوانا لدار بغاء ؟ هكذا صنع المؤلف ! ثم استأجرت المرأة المتمرسة بالدعارة اثنتى عشرة امرأة من المومسات ، يعملن معها واختارت لهن أسماء زوجات النبى العربى المحمد (!) أطهر من مشى على الثرى وأندى عباد الله صوتا فى الدعوة إلى الشرف والسمو ! !

فهل هذا نهج فى عرض سير الأنبياء أو حتى سير الرجال الكبار ؟

وهاج المسلمون هياجا شديدا وطلبوا من أولى الأمر مصادرة الكتاب ، فكانت الإجابة : نحن لا نصادر حرية الفكر !

هل هذا النوع من الكتابات يدخل فى دائرة الفكر ؟ ! !

هل من حرية الفكر أن يؤلف رجل كتابا ينشره بين الأوروبيين يتهم فيه مريم بأنها مومس ، أو الإنسان الجليل عيسى بن مريم بأنه شاذ ؟ ؟

إن هذا المؤلف لو كان مسلما لاجتمع مؤتمر فى الأزهر وقرر أنه مرتد عن الإسلام ، ولما شغب على هذا القرار مسلم فى طول العالم الإسلامى وعرضه !

ولكن الغريب أن تؤلف قضية حول الإسلام وحرية الفكر لأن المسلمين أحرقوا كتاب «آيات شيطانية» الذى ألفه وغد اسمه سلمان رشدى ، يشتم فيه الإسلام ونبى الإسلام . . وظاهر أن هناك مؤامرة واسعة لاتخفى علينا القوى المشاركة فيها كى ينتشر الكتاب فى أوسع دائرة ممكنة تحت عنوان دفاع عن حرية الفكر . . ! وما قال عاقل : إن حرية الفكر تعنى السباب المقذع والإفتراء والإسفاف .

وقد سمعت رئيس جماعة إسلامية فى انجلترا يشكو من أن القانون هناك لايعاقب على سب الإسلام والتهجم على مقدساته ! وهذا أمر يشين الإنجليز ولايشيننا ، وهو باب إذا انفتح لن يؤذى محمدا وحده ، ولكنه سوف يؤذى كل نبى سبق وكل منتسب إلى السماء ! !

إننا ننصح إخواننا من رجال الأديان الأخرى فى إنجلترا وغيرها أن يتبصروا عواقب هذا النزق وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

* * *

حول التشريع الإسلامى الغائب...

عندما كنت طالبا صغيرا بمعهد الإسكندرية الدينى أَلِفْتُ رؤية أحد أقسام الشرطة مملوءا بالجنود الانجليز يغدون ويروحون فى هدوء ! وبعد كفاح طويل تم جلاء هؤلاء وغيرهم من الأرض المصرية !

ولكن الاستعمار العسكرى زال ، وبقى الاستعمار التشريعى والفكرى ينشر مباذله ومفاسده ، إن الإحتلال العسكرى يسكن الأرض إلى حين أما الاحتلال الثقافى والاجتماعى فيسكن النفوس ويستقر والجهاد الأكبر هو مطاردة هذا الغزو حتى يعود من حيث أتى . . .

إن التشريع فى أوروبا وأمريكا يعتمد على العرف الشائع والأهواء المتبعة ، ويعقد صلحا مشبعا بالعطف مع القتلة والزناه وناهبى المال ، ولم أشعر بأى غرابة عندما أباح الغربيون اللواط فعوقبوا بالإيدز ، وعندما ألغوا القصاص فكثر القاتلون والفوضويون .

المثير للغرابة حقا هو اقتفاء أثر القوم والسير بعمى وراء مجونهم وجنونهم ، يقول الأستاذ الجليل عبد الحليم الجندى : « إن الشريعة الإسلامية هى صميم الفكر الإسلامى ، وهى ملاك العلاقات بين الأفراد ، فإذا لم تطبق على هؤلاء الأفراد فى مجتمعهم ، فقد صار المجتمع بالضرورة غير إسلامى ، واصطبغت معاملاته بصبغة أجنبية ، وكلما اطرد تطبيق القانون الاستعمارى زادت مسافة البعد بين الناس ومجتمعهم الحقيقى المهزوم ، وما كفله من مزايا وفضائل . . ثم جرت البيوع والإجارات والقروض والإعارات على محاور غير إسلامية ، تتنكر لقواعد الفقه الإسلامى ، وهى قواعد قوامها العدل الإجتماعى ومصالح الأفراد .

ولقد أثبت تطبيق القانون الجنائى الأوروبى زيادة كبيرة فى الجرائم ، وترتب عليه إنشاء نظام ضخم للسجون ، وقضاء ضخم مثله للجنح والجنايات ، وفحشت نسبة جرائم الأخذ بالثأر ، كما كثرت جرائم الاغتصاب والاعتداء على الآمنين . . » . .

إن العقوبات المرصدة للسطو على الأعراض كأنما وضعها ديوث لايبالى بالحرمات وصيانتها ! والمرء يعجب للعطف الشديد الذى تبديه القوانين الوضعية على أصحاب الانحرافات الجنسية والأمزجة الدموية ! !

وقد طال عجبى وأنا أسمع رئيسا عربيا يعد بأنه سوف يلغى عقوبة « الإعدام » كأنه بهذا الإعلان يثبت رقيه الاجتماعى ، وما درى أنه يؤكد تخلفه الفكرى والخلقى ؟ !

إن فى حضارة الغرب « **شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه** » [1] وهذه الرذائل علل سوف تأتى عليها إن قريبا وإن بعيدا . .

وما يبقى هذه الحضارة إلا عدم وجود صالحين يرثون الأ[illegible] ون الخلق إلى الله ! ذلك أن حملة الإسلام غرباء عليه ولما يدخلوا بعد فيه . .

بل إن مسلمى اليوم ينقلون عن الغرب أخبث ما فيه ، ويزهدون فى العناصر التى سبقت به ، وبوأته المكانة المادية التى دفعت به إلى الأمام .

* * *

(١) نص من حديث نبوى : رواه الطبرانى فى الأوسط عن أنس .

حول وجه المرأة..

لقينى رجل فوق الأربعين يتحدث وكأنه يافع غِرٌ ! قال لى بصوت مهتاج : أنت الذى تفتى بأن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة ؟

قلت بهدوء : نعـم !

قال : أمـا تتقى الله ؟

قلت : أوصيك ونفسى بتقوى الله . .

قال : إنك مخطىء فيما تذكره للناس ويجب أن تتوب !

قلت له : لست وحدى الملوم ، فإن كبار المفسرين سبقونى إلى هذا الخطأ ، كما سبقنى إليه رواة عشرة من الأحاديث الصحاح ، وشاركنى فى خطئى أيضا أئمة المذاهب الأربعة ، وعدد من المذاهب الفقهية الأخرى .

أولئك جميعا هم الذين استقيت منهم قولى أو تابعتهم فى غلطهم ، ولا أشعر بغضاضة إذا كنا جميعا أصحاب تهمة واحدة . .

قال الرجل وهو دهش : ماذا تقول ، أهؤلاء جميعا يفتون بأن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة ؟

قلت : نعم ! ولكنكم تؤثرون التقاليد السائدة ، وتتشبثون بآراء مرجوحة . .

ولنفرض جدلا أن فى المسألة قولين اخترت أنا أحدهما فلم الغضب ولم التحامل والشتم ؟ ! ! هل سمعت حديث سلمان وأبى الدرداء ؟

قال : لا ! قلت له اسمع : (روى البخارى عن أبى جحيفة قال : آخى النبى ﷺ بين سلمان الفارسى ـ وأبى الدرداء . . فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذِّلة ـ عليها ثياب لاجمال فيها ـ فقال لها : ماشأنك ؟ ـ لماذا هذا المنظر ؟ ـ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى النساء (!) .

وجاء أبو الدرداء وصنع طعاما وقال لسلمان كل فإنى صائم فقال : ما أنا بآكل حتى

تأكل ! فأكل ـ أفطر لأداء حق الضيف ـ فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، فقال له نم فنام ! ثم ذهب يقوم فقال له نم فنام ، فلما كان آخر الليل قال سلمان : قم الآن ، فصليا جميعا .

وقال سلمان : إن لربك عليك حقا وإن لنفسك عليك حقا وإن لأهلك ـ زوجك ـ عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه .

فأتى ـ أبوُ الدرداء ـ النبىَ فذكر له ذلك ، فقال النبى ﷺ صدق سلمان » .

والذى يعنينى من سرد الحديث الحوار الذى جاء فى صدره ، فلو أن هذا الحوار وقع فى عصرنا لضُربَ الزائرُ ، وقُتلت المرأة ! !

ولقيل للرجل : ماذا يعنيك من النظر إلى ملابس الزوجة؟ ! ولماذا تتطفل بهذه الملاحظة ، ولقيل للزوجة : كيف تشكين زوجك وتكشفين للآخرين انصرافه عنك ؟ !

لكن سلامة الفطرة فى عصر الصحابة تنفى كل شبهة ولاتدع لظنون السوء مكانا ، فلما فسدت النفوس ، جاء قول الشاعر :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدق ما يعتاده من توهم

وعلى هذا الأساس وجدنا الطباع المريضة تصف كشف الوجه بأنه فجور ، وأنه حرام لأنه باب إلى الكبائر والعياذ بالله . .

* * *

العالم يدل على خالقه....

شرحت لأحد المبهورين بالمنطق المادى بعض مالا يعلم ! قلت له : أترى السلالم التى نستخدمها صاعدين هابطين ؟ إنها لاتعرف شيئا عن الأقدام التى تدوسها ، لقد صنع المهندس درجها لتسلم كل درجة إلى زميلتها ، وأقامها بفنه على هذا النحو ، وهى لاتدرى من فعل بها ذلك ولماذا ؟

أتعرف العنصرين المكونين للماء فى كوب أمامك أو فى البحار الفيح ؟ ! إنهما منفعلان لا فاعلان وما يدرى أحد العنصرين ما هو أولا ، وما هو بعد أن امتزج بصاحبه ، ثم سالا أنهارا وبحارا .

أتحسب الأرض تحت قدميك هى الخالق للزروع والحبوب ؟ فأسرع يجيب : نعم هى الخالق !

قلت ضاحكا : لعل التراب صنع الشعر الأبيض فى لوزة القطن ، والماء هو الذى صنع البذور الحافلة بالزيت ، والشعاع هو الذى صنع أعواد الحطب . .

إن الخلق - أيها المسكين - وظيفة لاتستطيعها ذرات التراب أو الماء أو الضوء ! إن هذه الذرات لخشب السلالم التى تصعد فيها ، إنها لاتعى لنفسها وجودا فكيف تهب الوجود لغيرها ؟ ! !

إن ما نراه من فوق ومن تحت وعن يمين وشمال غطاء لقطرة عليا يتحرك بها الكون ظاهرا وباطنا ، قد تغلى بالحركة ، وقد تهمد بالموت ، وهى على الحالين منفعلة لا فاعلة « وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (١) .

اقرأ هذه الأمثلة ثم سل نفسك : من الفاعل ؟

خذ هذا المثال :

---

(١) سورة البقرة : ١١٥ .

تصفى الكليتان فى الإنسان البالغ نصف متر مكعب من الدم يوميا ! وتحتوى الكليتان على تمديدات من القنوات الدقيقة يقدر عددها بمائتى مليون تقريبا ، وطول كل منها نحو خمسة سنتيمترا ، فيما يشكل طولها نحو عشرة آلاف كيلو مترا !

وهذا المثال :

يبلغ عدد الحويصلات الهوائية فى رئتى الإنسان البالغ أكثر من ٣٧٥ مليون حويصلة ! وخلال ساعات اليوم الواحد يسحب الإنسان البالغ نحو ١٨٠ مترا مكعبا من الهواء فى عمليات التنفس ! ويتولد عن ذلك طاقة تكفى فى مجموعها لرفع قاطرة سكة حديدية إلى علو مترين !

وهذا المثال :

قلب الإنسان كمثرى الشكل ، فى حجم قبضة اليد . يزن ما بين ٢٢٥ إلى ٣٤٠ جراما . وينبض معدل ٧٠ مرة فى الدقيقة أى ٤٢٠٠ مرة فى الساعة . أى ١٠٠٨٠٠ مرة فى اليوم ، أى ٣٦٧٩٢٠٠٠ مرة فى السنة ، فإذا كان متوسط عمر الإنسان ٦٠ سنة فإن هذا يعنى أن هذا القلب العجيب يكون قد نبض ٢٢٠٧٥٢٠٠٠٠ مرة « أى مليارين ومائتين وسبعة ملايين وخمسمائة وعشرين ألف نبضة » دون توقف !

من الفاعل ؟

من ؟ إلا الله . . !

* * *

هل القومية العربية بديل عن الإسلام ؟

بعيدا عن الخيالات والأحلام نقرر أن القومية عند أكثر العرب بديل جديد عن الدين ! والبعثيون والعلمانيون يصرحون بذلك دون مواربة ! . . أما القومية عند اليهود فهى مرادف للدين ، أو عنوان آخر لحقيقته عند بنى إسرائيل !

ليست اليهودية رسالة روحية عامة لأبناء آدم كلهم ، بل هى علم على التعاليم التى أوحى بها رب الجنود إلى شعب من الناس اختاره لينتمى إليه ويحكم الناس به . .!

وقد نشأ عن هذا الاختلاف بين مفهومى القومية عند العرب واليهود ـ فرق واسع من النواحى الاجتماعية والسياسية ، فقد ذابت الاختلافات العرقية والوطنية عند اليهود ، ولم شملهم المبعثر ! إحساس واحد وهدف واحد ، وتكاتف القادمون من روسيا ومن أمريكا على إقامة الدولة الدينية الحديثة .!

أما العرب فإن استبدالهم القومية بالدين أحيىٰ بينهم النزعات القبلية ، وأفقدهم الخصائص الروحية الإسلامية ، وأقام للأهواء الرخيصة سوقا رائجة ، وأعجزهم عن الإفادة الحقيقية من الحضارة الحديثة !

إن البيئات القومية ليست ساحة للعبادات ولا أرضا خصبة لنمو الفضائل والأخلاق .

وفى النزاع اليهودى العربى يقاتل اليهود بعقيدة دينية طاغية ، أما العرب فهم يتحركون عراة عن الإسلام ووصاياه .

ولنذكر أن اليهود النازحين إلى فلسطين طليعة لعالم كبير طويل عريض يعج بحاقدين على العرب ليس لحقدهم نهاية أذكر معه قول الشاعر :

من كان يسألنى عن أصل دينهم
فإن دينهم أن يقتل العرب !

إن للنزاع جذورا تاريخية عميقة ، جعلت وراء اليهود مستودعا من الرجال والأموال فى أوروبا وأمريكا يستندون إليه وهم يهاجمون .

أما البائسون من عرب فلسطين فماذا وراءهم وهم يدافعون عن أرضهم وعرضهم ؟ عرب متخاصمون ، أو مسلمون بأسهم بينهم شديد ، شغلتهم حزازاتهم عن نجدة إخوان العقيدة !

أى عقيدة ؟.الإسلام الذى أداروا له ظهورهم وأصموا عن ندائه آذانهم !

إن الانتفاضة التى تهز فلسطين اليوم هزا تقع فى أيام نحسات فاليهود أمرهم جميع ، وشعارهم واحد ، والشيوعية الرأسمالية تُظاهِرَانِهم ، والكنائس المسيحية تقول وهى تتحدث باسم السماء : إن اليهود والعرب ينبغى أن يقتسموا فلسطين قسمة عادلة ! يأخذ رب البيت غرفة أو غرفتين ويأخذ اللص الصهيونى سائر الحجرات والشرفات . . !

فى هذه الفوضى العمياء أقول للعرب التائهين عن شرفهم وعزهم : عودوا إلى دينكم ، تظفروا بالحياتين ! فإن أبيتم الا ما أنتم فيه فأمركم كما قال الله : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[1] .

* * *

(١) سورة محمد : ٣٨ .

الحروب الصليبية لاتزال دائرة..

عندما يواجه الإسلام تحديا علميا فى ساحة ما نطير خوفا إلى مواجهة التحدى ، وملء نفوسنا الثقة والاطمئنان ، فنحن أغنى أهل الأرض بالأدلة التى تدمغ الباطل وتدعم الحق . .

إن قوما لديهم القرآن لن يطيش لهم سهم ، و إن قوما يعرفون محمدا لن تضعف لهم حجة ، إن الإعجاز الأساسى للإسلام أنه جملة الحقائق التى قامت بها السماوات والأرض ، وتضافر الأنبياء على إبلاغها كابرا بعد كابر .

فكيف يوصف الإسلام بأنه يفر من معركة علمية ؟ ! أو تخف كفته فى أية موازنة بينه وبين غيره ؟ !

فى جو حُرِيَّة الفكر نحن ننتعش ونتحرك ، فأين هى حرية الفكر التى يتحدث عنها قادة الغرب ؟ !

هل الحكومات العلمانية محايدة فى أى نزاع بين الإسلام وغيره من الأديان ؟

هل الحكومات العلمانية محايدة فى أى عراك بين المسلمين ـ عربا كانوا أو عجما ـ وبين غيرهم من أهل الأرض ؟

حين خطب وزير داخلية انجلترا فى المسجد الكبير بأحد البلاد وقال للمسلمين يجب أن تخضعوا لقوانين الأمة التى تعيشون فيها . . ! وهذا كلام ظاهره حسن وباطنه دميم ! فالقانون الإنجليزى يعد سب النصرانية جريمة ، ويسكت عن سب الإسلام ، وهذا القانون يرى اللواط مباحا ، ويرى الحجاب منكرا ، أو يرى تعدد الزوجات محرما ، ويرى الزنا لاحرج فيه ! !

ليكن للقوم ما أرادوا لأنفسهم ، فالمسلم فى إنجلترا لا طاقة له على تغييره أوضاع ارتضاها أصحابها ونحن لانكره أحدا على ما نريد ، وكتاب ربنا يقول لنا : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[1] .

(١) سورة الكهف : ٢٩ .

فماذا على الكافر لو ترك المؤمنين على نهجهم ، وبقى هو على نهجه ؟ ماذا عليه لو سكت فلم يشتم محمدا ويتطاول على تراثه وأتباعه ؟ لماذا تمنح الجوائز لمن يهين الإسلام وتبسط عليه الحماية ؟ هل هذه هى الحرية التى يرفع شعارها ؟ !

لقد حاولت أن أجد قضية علمية واحدة فى الكتاب الذى وضعه سلمان رشدى فلما أجد أثارة من علم ! . الكتاب كله لون من الإسهال الفكرى خرج من دماغ عفن منتن ثم وضعت انجلترا عليه حمايتها ، وأعلنت عنه رضاها ! !

وبعد برهة وجيزة تحرك «السربطرس هاو» ناسك القرن العشرين فجعل بقية أوروبا وأمريكا الشمالية تشاركانه الرأى .

بل إن الحماس الصليبى اتسعت دائرته فرأى أن يضم روسيا الشيوعية إليه ! وإذا نجح فسيتجه إلى بقية العالم ليجعل الحملة على محمد ودينه تشمل أرجاء الدنيا . . !

إن بطرس الناسك عاد مرة أخرى ليحرق الأخضر واليابس !

ورمقت أمتنا المحروبة وأمضنى الألم ، إن مسلمين فى الهند وباكستان حصدهم الرصاص وهم يعلنون غضبهم على الكتاب النجس ! !

والأسوأ من هذه المصائب أن المعركة أخذت عنوانا مقلوبا ، فالغرب يقاتل عن حرية الرأى وحقوق الإنسان ، والمسلمون يقاتلون عن التعصب والرجعية ! !

أليس بديعا أن يقاتل إبليس عن كرامة البشر ، ويقاتل موسى وعيسى ومحمد لإذلال الإنسان وإظلام مستقبله ؟ !

ترى من وضع هذا العنوان ؟

* * *

سكرة الجدل تغطى العقل والدين...

دخلت مجلسا يحتدم فيه الجدل ، ورأيت شابا قد شمر عن ساعد الجد يستعد لخوض معركة شديدة تتمخض عن هزيمته أو انتصاره ، وكأن النصر والهزيمة فى هذا المجلس هما بالنسبة له الحياة أو الموت !

ورأى البعض أن يحتكموا إلىّ لأحسم الموقف ، ولكنى كنت زاهدا فى سماع الأطراف المتنازعة وكارها لتقرير الخطأ والصواب ، عند هذا أو ذاك !

كنت مقتنعا من المنظر الذى رأيته أن الغلبة الشخصية أغلى من معرفة الحق ، وأن إهانة المخطىء هدف مهم ، وأن شموخ المصيب غاية مطلوبة ، وأن الشيطان هو سيد الموقف !

وتذكرت ما رواه أبو سعيد الخدرى قال : كنا جلوسا عند باب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتذاكر ، ينزح هذا بآية ، وينزح هذا بآية ، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفقأ فى وجهه حب الرمان ـ أى يتلون وجهه بالبياض والحمرة من شدة غضبه لما سمع ـ فقال : « يا هؤلاء بهذا بعثتم ؟ ! أم بهذا أمرتم ؟ ! لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض[1]» .

إن معارك الجدل من أسوأ المعارك أثرا ، وأوخمها عقبى ، والفرار منها أشرف للعاقل وأصون للدين !

وتبعنى شاب يطالبنى بتحديد الحقيقة العلمية بعيدا عن جو الجدال ، فقلت له : إن بعض الناس يعرف جزءا من الحق ويجهل جزءا آخر ينطبق عليهم قول القائل :

فقل لمن يدعى فى العلم معرفة ... حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

وإنى أقدر على بسط الحقيقة كلها ، لكنى أريد تغيير المسلك الشائع ، وإشعار أولئك الشباب بأن الإسلام لايخدم بهذا الأسلوب ! لماذا يكون التدين كلاما كثيرا أو قليلا ؟ لماذا لا يتوجه المتدينون إلى التنقيب فى أرجاء المجتمع للبحث عن عوج

(١) صحيح : أخرجه البخارى ومسلم والإمام أحمد وغيرهم .

يقومونه ، أو ثغرة يسدونها أو عورة يسترونها أو رحم يصلونها أو علة يداوونها أو أزمة يفجرونها ؟ ؟

إننا ورثنا أمة حاقت بها هزائم شتى وسادت فيها تقاليد رديئة ، والإصلاح يحتاج إلى لباقة ومصابرة وإخلاص لا إلى ثرثرة وعناد .

والتدين السلبى بضاعة مزجاة فى هذا العصر ، ولن يلقى من الله إلا المقت ، ولكى يسدى المؤمنون خيرا لدينهم يجب أن يتجمعوا على دراسة البيئة التى يعيشون فيها ، والمسارعة بالنجدة إلى كل من يرتقبها من العاجزين والمنقطعين .

تَدَبَّرْ هذا الوصف لسلوك المؤمن ، قال رسول الله ﷺ : « على كل مسلم صدقة قيل : أرأيت إن لم يجدْ ؟ قال : يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق ! قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ! قيل : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال يأمر بالمعروف أو بالخير ! قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال يمسك عن الشر ، فإنها صدقة له[1] » . .

إن السلبية عجز بائن ، ربما كانت أقرب إلى النفاق منها إلى الإيمان .

* * *

(١) صحيح عن أبى موسى . . أخرجه البخارى ومسلم و الإمام أحمد وسنن النسائى .

سماسرة الغزو الثقافى..

فى مطلع عصر النهضة الأوروبية كان الأوروبيون عامتهم وخاصتهم يعلمون أن العرب أولياء نعمتهم ! وأن الثقافة الإسلامية من وراء عصر الإحياء الذى أيقظهم من سبات وأنقذهم من خبال !

ولم يزعم عاقل أن وسط أوروبا أو غربها له مدخل فى هذه الصحوة ، ولكن بعض المضللين زعم أن هجرة علماء القسطنطينية بعد سقوطها فى يد العثمانيين هى التى أنشأت عصر الإحياء ، بيد أن المنصفين كشفو القناع عن وجه الحقيقة عندما أكدوا أن شرق أوروبا كان أسوأ حالا من غربها ، وأن المسلمين وحدهم هم آباء النهضة العلمية الحديثة فى أوروبا ، وأن تحويل الأنظار عن هذه الحقيقة أحقاد صليبية وأكاذيب على التاريخ الإنسانى . .

ويقول الأستاذ **جلال مظهر** فى كتابه النفيس « الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمى الحديث » : إن حضارة العرب والإسلام تعرضت فى القرنين الماضيين إلى عملية من أبشع عمليات التضليل التاريخى . . وأنه قام بهذه الحركة المضللة نفر من علماء أوروبا لأغراض سياسية أو دينية . . وأنهم دسوا وروجوا آراء كان لها أثر كبير فى البلبلة الفكرية التى أصابت الشرق العربى والإسلامى ، هزت شخصيته وأعقبت النتائج التى نعانى منها الآن . . » .

وأقول : إن الإستعمار الثقافى سكت الآن ليتكلم بدلا عنه أناس من جلدتنا وينطقون بألسنتنا يحترمون كل تراث إلا التراث الإسلامى . ويؤثرون كل انتماء إلا الانتماء الإسلامى .

وقد طال لغطهم فى هذه الأيام ، وأعطتهم الصحافة مساحات واسعة استطاعوا فيها تحريف الكلم عن مواضعه ، وإهالة أكوام من التراب على أمجاد المسلمين والعرب متوسلين إلى ذلك بالكذبة الفاجرة ، والنكتة الباردة والجهالة الطامسة .

إن منطق التجربة والاستقراء عرفه العرب من المنهج القرآنى الذى يبنى الإيمان على دراسة الكون والحياة .

وممن طبقه فى ميدان النقد العلمى «الجاحظ» أديب العربية الكبير فى كتابه «الحيوان» حيث نقل مقررات أرسطو ثم وضعها على محك التجربة فتساقطت كلها ! وقد شرح ذلك الأخ الدكتور مصطفى **عبد الواحد** فى الملحق الثقافى لجريدة الندوة السعودية .

ومعروف أن الارتقاء العلمى فى الغرب تم بعد استبعاد منطق أرسطو على أساس أنه لايأتى بجديد ! إنه تحريك للمياه داخل صحن مسطح أو عميق ! لن تزيد ولن تنقص .

وقد كتب الفقيه الحاذق ابن تيمية سفرا ضخما عن وظيفة العقل الإنسانى ، تناول فيه منطق أرسطو بالميزان المنصف ، فوضعه فى مكانه الطبيعى !

ومع ذلك فإن بعض الدكاترة الذين ضُربت عقولهم عواصم الاستعمار ، وأشرف على توجيههم سماسرة الصليبية العالمية ، اختاروا هذه الأيام ليطعنوا فى أسلافنا ومواريثنا اعلاء لقدر الغرب وفلسفة يونان .

متى يحدث ذلك ؟ ! فى الوقت الذى تتحول فيه أساطير اليهود الدينية إلى دعائم هائلة لدولة جديدة على أنقاضنا !

إننا نرقب هؤلاء المرتدين ، وننذرهم إن لم يتوبوا بيوم رهيب .

* * *

قصور الفقه خطر على الإسلام...

كنت فى أحد كتبى قد ذكرت حديث البخارى الذى جاء فيه : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج . فقال : اصبروا ، فإنه لايأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم ! سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم . .

قلت : إن أنسا رضى الله عنه كان يعلق بما قال على الفتن السيئة التى بدأت بمعركتى الجمل وصفين وانتهت بالاعتداء على الكعبة واستباحة المدينة . .

إن الإسلام نهض بعد هذه المحنة وشرّق حتى دقّ أبواب الصين ، وغرّب حتى بلغ أواسط فرنسا وسويسرا . .

وقلت : إن الذين يرون أن الحديث حكم على مستقبل الإسلام كله مخطئون ويستحيل أن يخبر نبينا بأن رسالته تنحدر كل يوم ، وأنها تسير حثيثا إلى الهزيمة والتلاشى !

وقلت : إن هناك مرويات أخرى تؤكد أن الحكم الإسلامى سوف يبسط ظلاله على المشارق والمغارب ، وأنه بتعبير مسند أحمد بن حنبل سيبلغ ما بلغ الليل والنهار . .

وينبغى فهم ما رواه البخارى فى ضوء المرويات الأخرى ، وفى ضوء الواقع التاريخى الذى يشرح أن الأمم عامة والمسلمين خاصة عرضة للهزيمة والنصر والمد والجزر !

بل الدلائل عندنا تشير إلى أن الدين سيظهر على الدين كله ، وأن أمر محمد سيعلو حتما وإن كثرت أمامه العراقيل . . ! !

وفوجئت بعد نشر مقالى ـ وكنت يومئذ أدرّس بكلية الشريعة فى مكة المكرمة ـ بكتيب ينشر عنى يتهمنى بتكذيب السنة ، ويوصم فيه محمد الغزالى المصرى - بتعبير المؤلف ـ أنه يرد ما روى البخارى ، ويحارب التراث النبوى ! ! .

والواقع أن الأوساط العلمية رفضت الكراسة المنشورة ، وتجهمت لمؤلفها ، وإن كنت أنا قد ارتبت فى الغرض من وراء النشر ، واعتقدت أن ثَم قصدا غير شريف . .

وكنت أتساءل : ما الحكمة فى إثبات أن مستقبل الإسلام غائم ؟! وأن كل يوم يمر يدنيه من أجله ، وأنه لا أمل فى جهاد مع هذا القدر المكتوب !

إنه لايستفيد من هذا الشرح الجاهل إلا أعداء الحق والحاقدون على رسالته ، أعنى أعداءنا من اليهود والنصارى والوثنيين والشيوعيين !

على أن أمرا آخر شغلنى ومازال يشغلنى . . ما السر فى أن بعض الكاتبين فى الإسلام شديد الرغبة أن يتلمس للبراء العيب ؟ !

إذا كان قاصر الفقه فلماذا لايتفقه فى الدين ، ويزداد علما بالكتاب والسنة ؟ ! ولماذا ينحصر فى حظه التافه من المعرفة ويتحصن داخله لقذف المخالفين بالأحجار ؟ !

ثم لماذا لايحمل حال المسلمين على الصلاح ويدعو لهم بالخير إن أخطئوا وينتفع بما لديهم من فقه ؟ !

إننى متأكد أن سماسرة الاستعمار الثقافى تستغل فقر العلم والخلق عند بعض الناس وتطلقهم فى أرجاء العالم الإسلامى ليقطعوا أوصاله بالخلافات اليسيرة والشائعات الكذوب .

وهكذا تكثر العثرات والعوائق أمام دعاة الإصلاح ، وينبرى لهم داخل الأمة نفسها من يبطل سعيهم ، ويبعد هدفهم ! والله غالب على أمره و إليه المشتكى .

* * *

غيبوبة تعترى العقل الإسلامى..!

أيام نزول الوحى ، وعلى حياة الرسول الكريم ، وفى عهد الخلافة الراشدة ، كان العقل الإسلامى سليما معافى ، فالقرآن المتلو يوقظ الفكر الغافى ويقيمه على صراط مستقيم ، والرسول القائد يبنى باقتدار أمة صاحية هادية ، تعلم أن الله خلق لها ما فى الأرض جميعا ، وأنشأ لها السمع والأبصار والأفئدة ، فهى تتعامل مع الكون والحياة بخلائق السادة المالكين . .

ومع هيمنة المسلمين على الممالك الكبرى اتصلوا بأفكار وفلسفات أخرى كثيرة . . يقول بعض المؤرخين : لا حرج هذا لون من الانفتاح على مواريث الثقافة الإنسانية لا بأس به !

وأقول : إن الانفتاح سائغ يوم أحسن التعامل معه والأخذ والرد منه ، ولكن بعض المتعاملين مع الثقافة الوافدة لم يكن على المستوى المنشود فوقعت فتن كبيرة فى تاريخنا الثقافى لا أريد التعرض لها هنا .

وشاء الله أن تسقط الفلسفة الإغريقية مع عصر الإحياء الذى استيقظت به أوروبا من سباتها أو تحركت به بعد مماتها ، وأن تقوم فى غرب العالم حضارة تعتمد على توظيف العقل ، وتسخير الكون ، أى على مقررات تشبه الحركة الإسلامية على عهد النبوة والخلافة الراشدة . .

ويقع ذلك والعالم الإسلامى قد نسى خصائص رسالته السماوية ، والطبيعة الإنسانية لسلفه العظيم .

فإذا مفارقة رائعة تقع ، القوم يشتغلون بعالم الشهادة ، ونحن نشتغل بعالم الغيب ! !

الآخرون يسخرون لأنفسهم البر والبحر ، ونحن دون غيرنا من الخلق المسخرون فى البر والبحر ! .

الناس تخدم عقائدها ومبادئها بتفوق حضارى ساحق ، ونحن لانزال نعالج قضايا

من مخلفات الاختلاط الفوضوى بين الإسلام قديما وبين الأفكار الأرضية الأخرى . . .

إن الخلاف العتيق بين السلف والخلف يجب تجميده وأن ننفض اليدين من مباحثه فى الغيبيات والمتشابهات ، وأن نضعه فى «أرشيف» الذكريات المحزنة . .

وعلى العقل الإسلامى أن يرجع إلى توجيهات القرآن التى تبنى الإيمان على النظر فى الكون ، وتبنى نصرته على العمل فى هذا الكون وتطويعه لمثلنا الراشدة .

ألا يشعر المسلمون بالخجل عندما يقرءون قول الله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] فإذا غيرهم يزحم الأمواج بأساطيله ، بينما نحن ندرس فلسفات نظرية بائدة عن الذات الإلهية ، ولايزال من رجال الدين عندنا من ينكر غزو الفضاء ، بل من ينكر دوران الأرض ! !

إن الأوروبيين رجعوا إلى أصول الفكر البشرى كما رسمها القرآن الكريم وإن كانوا لايؤمنون بالقرآن ، ونحن محصورون داخل دائرة المتشابه من الآيات لاندرى ما وراءه ، ولانحس بمطارق الاستعمار تقرع الأبواب بعنف ، وتوشك أن تنسف المسجد الأقصى وسائر المقدسات !

يا قومنا ! أفيقوا من هذه الغيبوبة ، وعودوا إلى فهم الحياة الصحيحة من كتابكم وما أحكم الله فيه من توجيهات . . . عودوا قبل أن تستيقظوا من نومكم على دبابات العدو تزلزل الأرض أو صواريخه تنقض من السماء .

* * *

(١) سورة الجاثية : ١٢ .

صرخة من ميدان الجهاد فى أفغانستان[1]

سمعت شكاة مفعمة بالألم والوجل من إخواننا المجاهدين فى أفغانستان ! إنهم يستقبلون شتاءً مزعجا فى أرجاء تهبط فيها الحرارة دون درجة الصفر ، وهم فى مرابضهم أمام العدو يريدون الاحتفاظ بالأرض التى حرروها ، وكيف يستطيعون الثبات وهم محتاجون إلى الصوف والفراء وأسباب الدفء ؟

ولو تراجعوا إلى القرى وراءهم التماس النجاة من البرد تقدم الشيوعيون إلى الأماكن التى خلت منهم ، واستولوا عليها غنيمة باردة ، وهم ما كسبوها إلا بدماء أعز الشهداء !

ترى هل يمدهم المسلمون بالخيام والبطاطين والثياب الواقية ؟ !

وهم بحاجة ملحة إلى أسلحة وذخائر أخرى ، ففى هذا العام وصلتهم عدة مئات من الأطنان ، وذاك عشر ما وصلهم فى العام السابق أو أقل ، مع أن القتال الذى يخوضونه يتطلب أنواعا حديثة من الأسلحة تمكنهم من اقتحام الحصون و إحكام الحصار ومقاومة الطائرات والصواريخ . .

إنهم عاجزون عن دفع أجرة البغال والحمير التى تحمل إليهم أمتعتهم وأسلحتهم ! أما وراء الجبهة الشيوعية فإن الطائرات الروسية تقوم بآلاف الطلعات حاملة أنواع العتاد والمؤن لجيش الحكومة الحمراء .

الحق أن الجهاد الإسلامى فى أقطاره المترامية لايشتبك مع قوى متكافئة ، أو قوى ترجحه بنسبة معقولة ، كلا . . إن الشباب المؤمن المحتسب المتعشق للدار الآخرة يراد منه أن يصارع ببندقيته الدبابات من طراز ثقيل ، وأن يصيب بمدفعه اليدوى أعتى الطائرات ! !

---

(١) لقد جاب الشيخ الغزالى البلاد الإسلامية يدعو للجهاد بكل ما ملكت الدول من أموال لمساندة المجاهدين الأفغان وقابل قادتهم ولم يترك جهدا فى تحريض المسلمين على القتال إلا وبلله .

وحسب القاعدين فى دورهم الآمنة أن يعلقوا بالكلام الغث على التقدم والتقهقر والنصر والهزيمة !

هل فكر هؤلاء فى أن شباب الإنتفاضة يقاومون بالحجارة عدوا يملك أفتك الأدوات ، إن المستوطنين اليهود يتعاونون مع المستوطنين البيض فى جنوب إفريقيا على إنتاج أسلحة ذرية جديدة ، وعلى تجربة مدافع بعيدة المدى تعبر قذائفها الآف الأميال ! !

هل يترك هذا الشباب المؤمن يلقى مصارعه كل يوم فردا بعد فرد ، وثلة بعد ثلة . .

إننى أناشد المسلمين فى أقطار الأرض أن يعيدوا النظر فى أساليب حياتهم ، وطرائق تفكيرهم ، وأن يتأكدوا من أن الدائرة ستدور عليهم حتما إن هم ظلوا على هذا البرود . .

إن الروس مع أزماتهم المالية أنفقوا فى حرب أفغانستان ٧٠ بليون دولار ! ومع ما يعانون من زلازل فهم باقون فى المعركة . .

واليهود فى تصديهم للجهاد الفلسطينى ينفقون مايثقل كاهلهم ، ويتعرضون لأزمات شتى مع هذا وذاك ، فيجب على أمتنا أن تصابر الليالى ، وأن تساند الشباب الذى يتعرض للحتوف وهو يكافح عن دينه وأرضه وشرفه وحاضره ومستقبله .

لابد من إعادة النظر فى الطريقة التى يعيش بها المسلمون فى أنحاء الدنيا مادام عدوهم مصرا على إنزال رايتهم ، وإسقاط رسالتهم وميراث أرضهم ، ودحرجتهم إلى الفناء أو العيش بلا دين .

* * *

الإلحاد الشيوعي يترنح..

عندما احتفلت روسيا بالذكرى الثالثة والسبعين لقيام الحكومة الحمراء ، وميلاد النظام الشيوعى ، كانت الدولة تستعرض قواتها فى الميدان الكبير ، لكن بضعة الآف من الناس كانوا فى جانب قصى من العاصمة يصيحون : السلطة للشعب لا للحزب !

إن هذه الآلاف القليلة كانت الترجمة الشجاعة لما استكن فى نفوس الملايين من كره للاستبداد الفردى ، ورغبة فى سيادة الحريات واستعادة ما فقد الناس من كرامة خلال عشرات السنين . .

أكثر من سبعين سنة عجز فيها الحمر عن اقناع الجماهير بسلامة مبادئهم وقدرتهم على الإصلاح فمحو كل إشارة للديمقراطية .

إن الحكم القيصرى كان سيئا بالغ السوء ! والتمرد عليه كان غضبة صادقة عارمة ، ولكن الشعوب لاتريد استبدال قيصر أحمر بقيصر أبيض إنها تريد جوا صحوا يحسن الفرد فيه أن يقول ما يعتقد دون توجس ، وأن يحاسب الحاكم على ما يصدر منه دون تهيب . .

أما أن يرتكب «ستالين» باسم الشعب من المآسى ما كان يعجز القيصر عن ارتكاب عشر معشاره فهذا هو العجب العاجب . .

فى ظل بعض النظم تذهب الجماهير فى غيبوبة طويلة ، وتعرض لضميرها وتفكيرها إغماءة فاجعة محزنة تقع خلالها مآسى مخزية . . وقد كان ألوف الأحرار فى السجون يوم كان المغنى فى القاهرة يقول للرئيس عبد الناصر :

يا فاتح باب الحرية ياريس ياكبير القلب . .

كان الحاكم المسيطر يفرض نفسه على أنه الشعب نفسه . .

وهكذا فعل حكام روسيا الحمر حتى جاء الزعيم الأخير للشيوعية ، وبدأ حركة تراجع عن شتى المقررات التى كانت مقدسة . . ورأينا كيف طارت حصون من ورق ،

وكيف أن المبادىء الحاكمة أمست كأوراق النقد التى ليس لها غطاء ، فهى لاتصلح للتعامل ، ولاتساوى من قيمتها الإسمية شيئا . .

والغريب أن الذين بلوا بالشيوعية بدءوا يتخلون عنها إلا فى الشرق العربى ، فلايزال هناك من يقول : عنزة ولو طارت . .

وأنا ممن يؤمنون بالحرية ويقدسون حقوق الإنسان ، فهل الذين يريدون فرض الإلحاد على الناس بالسلاح ، وبالقوانين الاستثنائية ، يحق لهم أن يذكروا اسم الشعب على ألسنتهم ! !

إن الشعوب مؤمنة بربها وفيّة لدينها ، وهى تأبى أن تجعل زمامها إلا فى يد متوضئة ، ولدى عقل مؤمن وضمير يتقى الله ! فما معنى الصياح باسم الشعب حين يراد قهر الشعب و إذلاله ؟ !

أعلم أن بعض المتدينين ليس صورة حسنة لدينه ، لكن هؤلاء العجزة لن يساندهم أحد عندما ينكشف أمرهم ، وما ينكشف أمرهم إلا فى جو الحرية ، أما السياط فسترسخ مكانتهم وتجمع العامة عليهم !

إن التحرر من الاستبداد السياسى دعامة كل حضارة راشدة .

* * *

فظائع شنعاء فى إريتريا الإسلامية...

أكثر من ٨٥٪ من شعب إريتريا مسلم ، وقد خاض حربا قاسية ضد «هيلاسلاس» يوم كان يحكم الحبشة كى يسترد حقوقه الطبيعية ، وكنت أعرف هذه القيادات ، والتقيت ببعضها وهى تحمل أعباء الكفاح . . ثم وقع تحول غامض لايزال مبهما أمامى ، أمست به قيادة الثورة الإسلامية ، جبهة شعبية شيوعية ! ! وجاءتها الأسلحة والتوجيهات والمبادىء من الخارج ، فماذا حدث للشعب المسلم المعزول الضائع ؟

أنقل هذه الواقعة عن صحيفة القبس كما سجلها الأستاذ فيصل الزامل تحت عنوان الجبهة الشعبية :

خافت الأم الإريترية على ولدها خليفة ، عندما أحست بالسيارات تدخل القرية ، قالت :اجر يا خليفة . . اجر يابنى . . اهرب منهم . . سيأخذونك ويعلمونك كيف تقتل أخاك .

يقول خليفة : جريت وكنت ألهث من التعب ، وعندما اقتربت من مدينة « كسلا » ، قررت العودة لأرى أمى . . وصلت البيت . . ناديتها . . أمى . . أنا خليفة . . قومى افتحى . . لم ترد علىّ . . ذهبت إلى بيت خالتى . فنادانى زوج خالتى قائلا : تعال يا خليفة ، ربنا معاك . . لقد خطفوا أمك . . ! !

فى إريتريا تخطف النساء لتسعة أشهر . . فى خطة ، لتكوين جيل جديد يتم إنجابه سفاحا من المخطوفات ، وقد تم حتى الآن إنجاب ١٢٠٠ طفل وذلك بعد اختطاف ٦ آلاف فتاة إريترية مسلمة .

كشف الصحفى العربى شريف قنديل هذه الحقيقة المرة بعد أن تجول لسبعة أيام بين تلك القرى المنكوبة المحيطة بمدينة « كسلا » على الحدود مع إريترية .

فقد قررت الجبهة الشعبية هناك أن تشكل قوات « الكوكب الأحمر » . . وأنشأت لهذا الغرض معسكر « الورود الحمراء » ، حيث تجلب الأمهات والفتيات القادرات على الإنجاب لمجموعة من الجنود الذين وصفتهم إحدى العائدات من قرية . . وهى

ترتجف . . قائلة : هؤلاء يشربون الخمر ، وتخرج من أفواههم رغاوى تشبه ما يصدر عن الجمل ثم يهجمون على الفتيات المسلمات ، و . . . و . . . وبعد أن تحمل الفتاة وتنجب وهى تعرف مصير ما ستنتجه . . يتركونها ترضع المولود حوالى شهرين ثم يأخذونه إلى معسكر بذور الثورة حيث توجد مرضعات وخادمات ودادات ، وفى سن الرابعة يبدأ تعليمه كل شيء ليكون من أبناء الثورة .

لقد تابعت التحقيق الصحفى المنشور فى إحدى الصحف العربية بألم لما وصلت إليه أحوال الإنسان ، حيث انتشر خطف الأمهات بمعدل ٢٥ فتاة أو امرأة فى الشهر . . وقد تضمن التقرير أسماء فتيات التقى الصحفى العربى بأسرهن من قرية «عرا» وقرية «هبردا» وقرية «حبيب دامر» وقرية «رقة» وقرية «عد هارون» وقرية «دلك جنوب اغوردات» ولك أن تتخيل الدمار النفسى لأم تعود لأبنائها وزوجها بعد أن تترك مولود السفاح . . بأى وجه تلقاهم ؟ !

محمد إبراهيم لايترك زوجته تخرج من البيت ، ويعود من طلب الرزق كل يوم وهو يتوقع ألا يجدها . . فقد سمعت زوجته أحد رجال الجبهة الشعبية يقول لها : الدور عليك . . وبالفعل . . رجع ذات يوم فلم يجد ليلى ، فاتجه إليهم يركض ويصرخ ، فلم تمهله رشاشاتهم فتناثرت أشلاؤه . . ولم يستطع رجال القرية أن يعرفوا وجهه لكثرة الرصاص .

إنها مأساة . . أن يحدث كل هذا . . ومن بيننا من له كلمة مسموعة عند هذه . . (الشعبية) . . ولاتخرج من فمه كلمة تنقذ فتيات إريتريا من هذه البهيمية .

ماذا أقول بعد سرد هذه المخازى والمآسى ؟

وقرأت أخيرا أن هناك مفاوضات تحت إشراف دولى بين حكومة « أديس أبابا » وبين الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا ، والجبهة الشعبية لتحرير ، «تيجرى» ، الأولى فى كينيا ، والثانية فى إيطاليا ، لإقرار العلاقات وتخطيط المستقبل .

ترى ما مستقبل الإسلام فى شرق أفريقيا ؟ هل نهتم به أم لانزال صرعى الخلافات الفقهية والمآرب الشخصية ؟ ! !

* * *

وفاة مرتد محقور، مهما احتفلوا به !!

عندما جاءنى نبأ وفاة «كاتب ياسين» قلت : إنه ما كان حيا قبل أن تدركه منيته ! وكل ما فعل الموت به أنه نقله من دار الغرور إلى دار الجزاء ، ولو كان الأمر إلىّ لأوصيت بدفنه فى فرنسا لا فى الجزائر ، فقد عاش يكتب بالفرنسية لا بالعربية ! ! أما علاقته بالإسلام فهى الكفر البواح !

وقد وجهت إليه ثلاثة أسئلة من إحدى دور النشر فى لندن ، فكانت إجابته على هذا النحو :

هل النظام السياسى فى الإسلام مرحلة حتمية يجب أن تمر بها الشعوب العربية فى طريق تطورها ؟ فقال : لا . . قطعا .

هل يجوز لدولة عصرية إعتماد الإسلام نظام حكم ؟ قال : لا أعتقد أبدا . .

وأخيرا سئل : من هو العدو الأول للإسلام فى هذه الأيام ؟

قال : هو الإسلام نفسه فى اعتقادى . . ! !

وظاهر من هذه الأقوال أن الرجل ارتد عن الإسلام ارتدادا ملأ أقطار نفسه ، كما تمتلىء قارورة الخمر من قاعها إلى عنقها بالرجس ، أو بالنجس .

وهو بيقين ممن تتناولهم الآية : « وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »[1] .

والرجل أدنى عندى من أن أتكلم عنه ، و إنما أردت أن أكشف مؤامرة بدأ تنفيذها بالنسبة له وسيتم تنفيذها بالنسبة لكل من يخدمون الغزو الثقافى ، ويحاربون الإسلام وأمته . .

إن إذاعة لندن نعت للعالم العربى الكاتب الكبير ، ونوهت بآثاره الأدبية ، ووعدت بذكر المزيد من مآثره وأياديه البيضاء ! !

---

(١) سورة البقرة : ٢١٧ .

وستتبعها إذاعات شتى من عواصم الشرق والغرب تحاول أن تعلى خسيسة الكاتب الكاره للإسلام والعروبة ، وأن تجعله من قادة الفكر المرموق !

ألم يؤلف كتابه الخسيس : «محمد . . خذ حقيبتك وارحل» ؟ ! !

ماذا يريد المبشرون والمستشرقون أكثر من ذلك ؟ ! وعندما يأخذ محمد ما جاء به ويذهب عن أرضه فمن يرثها . . . ؟ !

إن المسيح لن يرثها لأن موسى وعيسى إخوة لمحمد ولو كانوا أحياء مازادوا عن أن بلغوا رسالته وأكدوا دعوته ! إن الإلحاد هو الوارث الفذ لتراث الأنبياء كلهم ملخصا فى حقيبة التى لاتحتوى إلا الوحى الحق كما تنزل على المرسلين أجمعين .

إن « كاتب ياسين » وأشباهه من سماسرة الاستعمار الثقافى يجب أن نكشف خباياهم ، وأن نفضح حقائقهم حتى لايمضى الاستعمار العالمى فى خطته الآثمة ضد الإسلام وأمته . .

إننى أعرف أن ألقابا معينة تقرن بأسماء عدد من مروجى الثقافة الأوروبية المسمومة ، ومعها محاولات ملحة لفرض هؤلاء الخونة على أدبنا وفكرنا ، وأرى أنه قد آن الأوان لمنابذة هؤلاء الخائنين والتحذير منهم أحياء وأمواتا . .

إنهم كما جاء فى الحديث من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ولكنهم دعاة على أبواب جهنم ، من استجاب إليهم قذفوه فيها !

فليذهبوا إليها وحدهم .

* * *

الأنظمة التى تحارب الله ورسوله..

سياسة تمويت الإسلام تمضى إلى غايته دون ضجيج ! فرئيس وزراء تركيا يصرخ من إذاعة شاكيا اضهاد البلغار لقومه ! لقد هرب خلال الأسبوعين الأخيرين فقط عشرون ألف تركى ، مخلفين أرضهم ودورهم طالبين النجاة بأنفسهم !

ممن يهربون ؟ إن بلغاريا قررت إرغام المسلمين على ترك عقائدهم وتغيير أسمائهم وأسماء آبائهم حتى الجد السابع ، فلايبقى هناك شىء يدل على إسلام فى الحاضر أو فى الماضى . .

إن الإحتلال التركى القديم جعل هؤلاء مسلمين ، وقد زال فليزولوا معه!!

ولما كانت تركيا قد تحولت رسميا إلى العلمانية ، فقد صورت النزاع خصومة بين قوميتين وبهذه السياسة يطحن أكثر من مليونى مسلم فى صمت ، ويستمر الارتداد الجماعى وسط ضحك الأعداء .

وتابعت استنكار الولايات المتحدة لقمع التظاهرات الطلابية فى الصين ، وبكاء زعمائها على حقوق الإنسان وطيش الحكام الشيوعيين فى مطاردة الأحرار !

هذا شىء حسن ، هو غيرة مشكورة على الحريات المهدرة والدماء المسفوحة لكن ذلك وقع بعد ساعات من اعتراضها على مجلس الأمن وهو يلوم إسرائيل على ذبح الفلسطينيين ، واستباحة كل حق ، وهدم الدور وتشريد سكانها . .!!

ما الفرق ؟ ! ولم السكوت هنا والصياح هناك ؟ ! لاريب أن الدعم العربى أخف وزنا وأحقر شأنا !

والبعثيون العرب فى سوريا علمانيون ، وما سمع عنهم أحد حنينا إلى الإسلام ، وهم إذا انتصروا فى لبنان فسوف يقيمون حكما عربيا بحتا ! ولكن هناك سياسة أخرى يراها العالم أولى بالمؤازرة والتأييد هى تمكين الموارنة من ناحية السلطة لأنهم يرنون بأبصارهم إلى أوروبا ، ويحلون الفرنسية مكان العربية ، والأحد مكان الجمعة ، إن الحياد بين الأديان هنا جريمة وطنية وحركة رجعية . . ! !

والواجب هو سحق الحركات العربية ، وإخراج الجيوش الأجنبية من أرض لبنان . .

وكان « حبيب بورقيبة » من سماسرة الاستعمار الثقافى فى المغرب العربى ، بيد أنه كان أشد صفاقة من زملائه المشارقة ، ما عرف طريقا إلى مسجد ! ولا اكترث بحرمة لرمضان ، بل كان يدعو إلى إفطاره علانية مخافة أن يتعطل الإنتاج فى المصانع الذرية التى أقامها بتونس لزيت الزيتون ، والجنون فنون !

ونشأ عن هذا المسلك قيام جماعات شعبية كبيرة تريد توفير الاحترام لدينها ، والحكم به ! وما العجب فى ذلك ؟ !

وأطاح القدر بالرجل الماجن ، وحل مكانه رئيس[1] عاقل أملنا فيه الخير ، ولا نزال !

وقد بلغتنا من تونس أنباء مريبة ترددنا فى تصديقها ، ونرجو أن تكون كاذبة ، فقد قيل : إن هناك سياسة لجعل الفرنسية اللغة الأولى ! ولإضعاف الثقافة الإسلامية ، ومنع الكتب والصحف المشرقية من دخول البلاد ، حتى تجفّ منابع الدين واللغة بين الأجيال الجديدة ! !

نحن نعرف ما تبيته الصليبية العالمية لحاضرنا ومستقبلنا ، ونعرف المسارب الخفية التى تسلكها لبلوغ أهدافها ، وإذا كانت السنوات العجاف قد آذتنا ، فإن الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها ، ولا يجوز أن نرخص مواريثنا لمحنة عارضة ، أو سراب خداع .

* * *

(١) على زين العابدين .

الارتداد.. والخيانة العظمى

قال لى صحفى أمريكى : ما الخط الفاصل بين الحرية الدينية أو حرية الارتداد كما نفهمها ، وبين حماية الدعوة أو الدولة أو الجماعة الإسلامية كما تذكر ؟

قلت : إنكم تعرفون هذا الخط جيدا فى حياتكم الديمقراطية ، فقد حكمتم بالقتل صعقا على الكرسى الكهربائى على بعض علماء الذرة الذين كشفوا أسرارها لخصوم أمريكا ، عددتموهم خونة ، ولم تشفع لهم ضمانات الحرية فى النظام الديمقراطى ! .

وكسر الاحتكار الذرى هو المخرج الوحيد من حرب الإبادة التى يقدر عليها مالك القنبلة الذرية ، إن الولايات المتحدة قهرت اليابان واحتلت أرضها بعدما دمرت لها مدينتين وأهلكت نحو مليون نفس . .

فإذا رأى بعض علماء الذرة إشاعة السلاح النووى فإن استعماله سيبطل مخافة الثأر المنتظر ، أى أن الرعب النووى سيوقف الحرب الذرية !

ولكن القضاء الأمريكى اعتبر هذا المنطق خيانة أو ارتدادا وقرر قتل العالم الذى أفشى السر! كان يريد أن يحتكر هذا السلاح لنفسه حتى يملى على الدنيا إرادته . .

والذى يحدث الآن فى العالم الإسلامى أبعد شيء عن الحريات كلها ، إن الخطة موضوعة لتحويله عن الإسلام طوعا أو كرها . .

وعندما قسمت أفريقيا إلى أكثر من خمسين دولة روعى فى التقسيم الماكر أن توضع أقطار مسلمة بين أخرى وثنية تساويها عددا أو تفوقها ثم تتولى إدارة هذا الكيان قلة صنعها التبشير الغربى فإذا المسلمون فى الجهاز الإدارى صفر ، ربما كان منهم الكناسون والبوابون . .!

وإذا الجهاز التعليمى يخضع لنفر من الكرادلة المدربين المتخصصين فى تجهيل المسلمين أو تنصيرهم .

أما الاقتصاد فقد قام على دحرجة الفلاحين المسلمين من الأرض الخصبة إلى الأرض الجدبة ، وعلى جعل الحرف والصناعات فى أيدى الآخرين . .

وعندما تعجز السياسة المدنية تظهر القوة العسكرية لقهر المسلمين على الخضوع ، فإما بادوا ـ كما حدث فى زنجبار ـ أو خضعوا للمؤامرات التبشيرية المحكمة . .

ولا بأس أن يقع ذلك كله فى إطار ديمقراطى متقدم تباركه الدول الكبرى وتتعامل معه باحترام . .

وعلى هذا المحور دارت سياسة الارتداد عن الإسلام فى وسط أفريقيا وأطرافها ، وفى جنوب آسيا خصوصا أندونيسيا والفلبين . . ! !

فهل مطلوب من علماء الإسلام أن يقروا هذه السياسات الجائرة الماكرة وأن يرفضوا آثارها باسم الحرية ؟ أين هذه الحرية المزعومة ؟ !

وهناك محاولات خبيثة لفصل جنوب السودان عن شماله ، وذلك لإقامة دولة صليبية به ! ومسلمو الجنوب يساوون فى العدد نصاراه ، لكن الخطة موضوعة لتذويبهم فى صمت ، وعدم الإعتراف بوجودهم وحقوقهم !

فإذا قامت هذه الدويلة ومن ورائها الاستعمار العالمى فستخمد أنفاس الوثنية والإسلام معا خلال عشر سنين ، وستختنق الجماعات الإسلامية المبعثرة فى ست دول لا حول لها ولا طول وسيتم الفصل بين أفريقيا السوداء ، وبين أفريقيا العربية المسلمة فى الشمال وسوف يستسلم المكافحون فى صمت وسط القارة لمصيرهم الكالح . .

وقد نجحت حرب الإحصاءات المزورة فى حجب أعداء المسلمين الحقيقية هنا وهناك ، وأعانت على ذلك صيحات العلمانية والقومية التى يدفع الإسلام وحده ثمنها ! !

فى أيام السلام لانواجه منافسة عادلة ، وفى أيام الخصام نواجه الضغائن والمطاعن والمهالك فأين هى حرية التدين ؟ ! !

لقد تحرك حلف الأطلسى كله لحماية شخص نال من نبى الإسلام ، ولم يكتف بذلك بل ضم إليه السيد «جورباتشوف»[1] بعدما ضم إليه من قبل وثنيات آسيا وتلك هى الحرية المنشودة .

---

(١) رئيس روسيا وقتئذ .

العرب الذاهلون!!

نشرت الصحف ما قاله حاخام «إسرائيل» الأكبر عن عرب فلسطين ! لقد أكد ضرورة طردهم جميعا ، ثم أردف تصريحه بكلمة أخرى : إن كل إسرائيلى يعترف بأن للعرب حقوقا مشروعة فى أرض إسرائيل فهو خائن يجب على المجتمع اليهودى أن ينبذه !

وشرح الحاخام الأكبر ما يعنيه من الناحية الدينية قائلا : « إن لليهود حقوقا كاملة على أرض إسرائيل ، ولا مكان ـ من ناحية الشريعة ـ للحديث عن حقوق وطنية أو أية حقوق أخرى للعرب الفلسطينيين . . » !

ثم يورد نصا من التوراة يقول : « **من جاء لقتلك فقم واقتله** » ! ومضى فى حديثه يوصى شعب إسرائيل بالإجهاز على شباب الإنتفاضة : « . . إننى أوصى بطرد هؤلاء الذين يخوضون حربا بالحجارة والزجاجات الحارقة ضدنا ، أدعو إلى طردهم جميعا خارج أرض إسرائيل ، الأطفال والنساء والشيوخ . . » ! .

والواقع أن الحاخام الأكبر كان مترفقا فى كلامه ، ولم يذكر النصوص الحقيقية لطبيعة الحرب التى يشنها اليهود على عدوهم ، فإن هذه النصوص توصى بالإبادة العامة للكبار والصغار والرجال والنساء والزرع والضرع ، فلا يبقى أثر لحياة بين المهزومين من خصوم إسرائيل ، لابد أن يحصدهم الفناء فلايبقى لهم عينا ولا أثرا ، هكذا قال رب الجنود ، رب إسرائيل . ! !

وقد قرأتُ هذه النصوص من العهد القديم لطلابى فى كلية الشريعة بمكة المكرمة بيد أن عرب اليوم تائهون ، ويبدو أنهم لن يستفيقوا إلا على مصارعهم !

إن إسرائيل تمثل تجسيدا حيا للحقد على الناس كافة وعلى العرب خاصة ، ولن يرضى ضميرها الأسود إلا إذا قدمت غير اليهود قرابين لربها المتعطش إلى سفك الدماء . . .

والنصوص الموحية بذلك قائمة بين أيدى القوم ولكن العرب لايقرءون !

وإذا كان الحقد اليهودى سافرا فى صحائفه «المقدسة» فإن هناك حقدا آخر وضع على وجهه نقابا سميكا أو نقابا خادعا . .

لقد روى الجبرتى كيف نُثِرَتْ جثث بضعة عشر شابا من علماء الأزهر ، حول القلعة ، عندما احتل الفرنسيون القاهرة ، يقودهم ابن الثورة البكر «نابليون بونابرت» وكيف اقتحم الجامع الأزهر ، وربطت الخيل فى أعمدته ، وعاث الجنود فسادا فى صحنه . . وكيف ظلت النار تشتعل أربعة أسابيع فى امبابة حتى أتت عليها ، وأخمدت ثورتها التى كانت امتدادا لثورة القاهرة كلها على جيش الحرية والإخاء والمساواة . .!

أما الألوف المؤلفة من الجزائريين الذين جدَّلتهم الثورة الكبرى ، والذين بلغوا فى آخر انتفاضة لهم مليونا ونصف من الشهداء فحدِّثْ ولا حرج !

بل إن طبيعة الثوار انكشفت فى معاملة بعضهم للبعض الآخر فقد حكم بالإعدام على بضعة عشر ألف متهم ، سيقوا إلى المقصلة لتفصل رءوسهم عن أجسامهم مما دعا « السيدة تاتشر » رئيس الحكومة الإنجليزية إلى وصفها بأنها ثورة الرعب والدم !

أما العرب المعاصرون فيقولون ثورة النور فى عاصمة النور !

ألم أقل لكم إن العرب لايقرءون ؟ !

إن علم التاريخ واحد من العلوم الخطيرة التى ظلمت فى ثقافتنا والتى انكمشت مساحتها فى وعينا حتى صرنا لانعرف أنفسنا ولانعرف غيرنا ، ومن ثغرات هذا الجهل تتسرب المهالك والعطوب .

* * *

هكذا يعمل خصومنا...

مع شعورنا بصدق الحديث الشريف : «الجماعة رحمة والفرقة عذاب » ! ومع ما بلوناه من عواقب الإسترخاء فى تنفيذ قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[1]

مع ذلك كله فإن المسلمين بقوا أحزابا متخاصمة على حين يتجه من عداهم إلى التقارب والإندماج !

حدث نزاع بين الفاتيكان وبعض الأساقفة فى لغة العبادة : هل تكون اللاتينية أم اللغة المحلية ؟ وبدأ النزاع حادا وسرعان ما تدخل البابا مصرحا بأن وحدة الكنيسة لاتمس ، وقال : أننا ندعو الجميع للبقاء داخل الدار الأبوية - يعنى المسيحية الجامعة - ثم قال : هناك دارات خاصة كثيرة - لشتى المذاهب - لكن هذه الدارات فى نطاق البيت الكبير ، بيت الله ، الذى هو كنيسة المسيح فى العالم !

وذهب البابا إلى ما هو أبعد من ذلك فى توثيق العلاقات بين المذاهب النصرانية المتضاربة التى كانت إلى أمد قريب يكفر بعضها بعضا ، فأمست الآن وحدة متماسكة يصلى هؤلاء وراء أولئك دون نكير !

لم يحدث ذوبان يمحو الفوارق القائمة ، وإنما حدث تسامح يوحى بالإغضاء والتجاوز لمصلحة الوحدة الجامعة والقيم المشتركة (لوموند ١٩٨٨/٦/٣٠) .

وخطا «بابا الفاتيكان» خطوة أخرى فى أثناء زيارته الأخيرة للنمسا فعقد اجتماعًا فى مدينة «زالتبورغ» فى كنيسة المسيح حضره مندوبو ١٣ كنيسة تمثل المذاهب الكبرى - الكاثوليكية والبروتستنتية والأرثوذكسية - كما تمثل الفروع المهمة المتشعبة عنها ، وفى هذا الاجتماع استبعدت الخصومات المذهبية واستنكر ما وقع منها فى الماضى . .

(١) سورة الأنفال : ٤٦ .

ووقع شيء آخر عميق الدلالة بعيد الآماد ، فإن البابا زار المعبد اليهودى بروما منهيا مرحلة الجفوة بين اليهودية والنصرانية ومنوها بالتراث المشترك بين اليهود والنصارى (!) وقائلا : « إن اليهود والنصارى أمامهم أولا أن يضعوا معا مستقبلا جديدا للإنسان » ! !

ونسأل نحن : ما صورة هذا المستقبل ؟ إن اليهود مصرون على مطاردة العرب ، وإقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى ! هل سيقف الفاتيكان أمام رغبتهم أم يسارع فى هواهم ؟

لكنى أعود إلى نفسى ألومها على توجيه هذا السؤال ! إن التساؤل الحقيقى يقع داخل البيت الإسلامى الكبير الذى تندلع نيران الخلاف فى جنباته ، وترى ألسنتها من نوافذه . . إن المسلمين ينتحرون ! هل العقل الدينى عندنا أصيب بخبل ؟ أم غلب عليه الهوى فهو لايدرى : ما الطريق ؟ !

العراك على أشده بين مؤيدى « على » وأبنائه من ناحية وبين جمهرة المسلمين من ناحية أخرى بعدما استخرجت القضية من مقابر التاريخ ! والعراك على أشده كذلك بين دعاة السلفية وأتباع أبى الحسن الأشعرى ! !

شاهت الوجوه ! ! أما توقظنا الهزائم الموجعة المتتابعة ؟ ؟

* * *

ادرسوا الثغور التى نهاجم منها...

الميدان الذى نجاهد فيه ـ كى يسلم لنا ديننا وتراثنا ـ واسع جدا . .

إنه ذاهب فى الطول والعرض حتى ليشمل الحياة كلها ، ففى كل شبر مظنّة هجوم إن لـم نكن أيقاظا لـه أخذنا من قبله . . . !

هذا يقول : الإسلام دين لا دولة !

وهذا يقول : الإسلام نظام أخلاقى عربى وليس نظاما اجتماعيا عالميا !

وهذا يقول : النصوص يجب إلغاؤها عند معارضتها للمصلحة العامة ـ أو الخاصة ـ وهذا يقول : ما صلح قديما لا يصلح للعصر الحاضر !

والغريب أن النغمة التى تسمعها فى غرب إفريقيا هى هى التى تسمعها فى شرق آسيا ، أهو تشابه فكر ؟ !

كلا بل هى وحدة المصدر الذى تهب منه رياح الفتنة ! ويجيىء منه الخطر على الإسلام وأهله !

وسمعت فى إذاعة عالمية كبيرة أن السودان مهدد بثلاثة أخطار : الفيضان ، والجراد ، والأصوليين الإسلاميين !

أى دعاة الحكم بما أنزل الله ، وإحياء النصوص التى أماتها الاستعمار العسكرى ويريد الغزو الثقافى أن يهيل التراب فوقها حتى لا يسمع بها أحد !

ثم ينطلق من قبل ومن بعد دعاة العلمانية الذى يختلون العامة والخاصة عن مبادئهم ومواريثهم فى الجامعات والمجامع والمجلات والكتب وبرامج الإذاعة وأنواع الفنون .

فلا يكاد أهل الحق ينجون من شرك حتى يلتف على أقدامهم شرك آخر !

إن ميدان الكفاح لاستنقاذ الإسلام وصون رسالته أضحى لا حدود له .

وقد استيقنت من أمر أريد شد الانتباه إليه .

إن تصور هذه المعركة الشرسة دون قيادة ماكرة وخطط مرسومة ضرب من الغفلة .

إن أعداء الإسلام يعرفون مايريدون ويسيرون إليه بتؤدة وحزم . .

لست أخاف حرب المواجهة وإنما أخاف حرب الاحتيال والاغتيال . .

فى ساحة العلم المجرَّد يجيىء جاسوس يعمل لأعداء أخفياء ، فيقول عن ديننا كلاما ما يستطيع أولئك الأخفياء أن يرددوه ! وذلك تحت عنوان البحث العلمى !

والجاسوسية فى العصر الحديث جندت أسماء لامعة ، وكبراء لهم وزن ، وقادة ذوى مناصب ، وصحافيين مرموقين . .

هؤلاء وأولئك يمكرون بأمتنا المسترسلة ويدسون لهم السم فى الدسم وينحرفون بها عن الصراط المستقيم خطوة خطوة ، ويصبحون ويمسون وهم يختلونها عن عقائدها وشرائعها . .

فلنأخذ حذرنا من جاسوسية العلم والإعلام ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[1] .

لقد انتهت حرب السيف والرمح ، وانتهت معها حرب السب الصريح للرسالة الخاتمة وبدأت حرب أخرى تقوم على الخديعة والمداهنة والتزوير والدوران فلنعرف كيف نقف .

* * *

(١) سورة الطارق : ١٥ : ١٧ .

تجارب نستفيدها لو صحّ الوعى

(١)

دخول جزيرة العرب كلها فى الإسلام جاء بعد جهود يعجز القادة العاديون عنها . وما كان ليقدر عليها أحد غير محمد عليه الصلاة والسلام ، جنوب الجزيرة وشمالها استعصيا قديما على دعوات الرسل لا عن قصور فى البلاغ ولكن عن رسوخ فى الضلال ، ومن هنا بادت ديار « عاد » ، وخربت أرض « سبأ » وهلكت « ثمود ومدين » وقرى « المؤتفكة » ، ونزل العقاب الإلهى بالجنوب والشمال على سواء . . .

ثم جاء إبراهيم وإسماعيل إلى مكة ، وبنيا الكعبة المشرفة لتكون حصنا للتوحيد ، غير أن الأوثان سرعان ما أحاطت بها ، وغرقت الجزيرة كلها فى الظلام . .

وهربت قبائل يهودية إلى الحجاز ، وإلى اليمن فماذا صنعت ؟ علمت الناس الربا والغدر والأثرة ! وانعقد صلح خسيس بين اليهودية والوثنية ! ودخلت النصرانية الأراضى العربية مع الاستعمار الرومانى والامتداد الحبشى ، فاشتد عود الشرك صلابة وزادت الفطرة الإنسانية عوجا .

وبقى العرب غرقى فى تلك الظلمات حتى طلع الشروق المحمدى ، فإذا كل ما فشلت فيه الرسالات الأولى يتحقق ، إذا عقيدة التوحيد تتحول إلى فيضان غامر يغسل الأرض من الوثنيات الدينية والإجتماعية على نحو لم يعرف من بدء الخلق . .

ولسنا نقول : إن محمدا عليه الصلاة والسلام نقل العرب فقط من الجاهلية إلى الإسلام فنجح حيث عجز غيره ، لا . . الأمر أكبر من ذلك !

لقد أدخل فى قلوب العرب مقادير من الإيمان تكفى لهداية سائر العالم أى لإخراج الناس كلهم من الظلمات إلى النور . .

ومن هنا كان الجهد لإنشاء أئمة لا لمجرد إحياء أمة ! كان الجهد لتكوين أطباء لا لشفاء مرضى وحسب .

وكان هذا الشعور يخامرنى وأنا أسمع الأذان فى تاريخ الدنيا من سابق إلى لاحق . .

على أن العرب كثيرا ما هبطوا عن المستوى المرسوم لهم ، فكانت القلة الراشدة تهذب الكثرة الفاسدة ، وتعود بها إلى الطريق . .

حدث ذلك بعد سقوط دولة الوثنية ، وتطهير مكة من الأصنام فقد استخفت الوثنية فى جحور خفية وحاولت بالأيمان الكاذبة والنيات المغشوشة والغدر المبيت أن تعرض الصباح الطالع ، فنزلت سورة براءة تخير المجرمين بين التوبة وبين ترك الجزيرة لعقيدة التوحيد ، وأمهلتهم أربعة شهور .

وحاول المرتدون أن يردوا الظلام بعد ذهاب ليله ، فقاتلهم أبو بكر حتى أخمد أنفاسهم وتحولت الجزيرة كلها دولة وأمة - إلى التوفُّر على البلاغ المبين . .

وبدأت حضارة جديدة ترث الأرض ، وتعلى قدر الإنسان ، وتحيى تعاليم السماء ، وتجعل الناس أنصار الله لا عبيد لأهوائهم .

فهل ظل العرب أوفياء لميراث محمد ؟ حملة لرسالاته ، وجسوراً لهداياته ؟ هل أمسوا شهداء على الناس كما كان الرسول شاهدا عليهم ؟ هذا سؤال نتريث فى الإجابة عليه .

* * *

تجارب نستفيدها لو صحّ الوعى

(٢)

قال لى باحث حائر : أحيانا أشعر بأن نظام الشورى والشعبية المفرطة التى صاحبت دولة الخلافة الراشدة كانت إصلاحاً سابقا لعصره !

قلت له : ماذا تعنى ؟

قال : إن العرب لم يقدروا هذا الكسب الرائع الذى انفردت به أرضهم ، ولم يحسنوا الدفاع عنه ، فجاءت مصارع الخلفاء الثلاثة على نحو قضى على أشرف حكم فى الدنيا يوم إذ !

فأجبت : إن الخلفاء الراشدين الأربعة كانوا يمثلون أبوة دينية ودنيوية للأمة جمعاء ، كانوا أساتذة يعلمون ، وأئمة يصلون ، وساسة يحكمون ، وأسوة حسنة يذكرون الناس برسول الله وهم يمشون فى سناه ويقتفون آثاره ! من الخطأ حسبانهم حكاما وحسب .

وقد أدوا واجبهم على النحو الأكمل فى استقبال القرآن وتوريثه للأجيال من بعدهم إلى قيام الساعة ! كما استبقَوْا الإسلام عقيدة وشريعة وتبيانا لكل شىء . .

وهناك أمر يجب إبرازه ، فقد اصطبغوا بالإسلام ظاهرا وباطنا وهم يقضون على الاستعمار العالمى ويدفنون القيصرية والكسروية ويهدمون السجون التى عاشت داخلها الجماهير العانية .

إن دولة الخلافة حمت العالم أجمع من إفك كثير وضلال كبير . .

قال : فهل يكون القتل نصيب عمر وعثمان وعلى قادة المسلمين بعد أبى بكر ؟ أهذا جزاؤهم ؟ !

قلت : لا أرتاب فى أن هناك خطأ وقع من جمهور العرب فى حماية رجالهم ! لقد زحف على المدينة كثير من الناس من أذناب القوى المهزومة ومن أتباع الوثنيات المدبرة ومن الحاقدين على زوال المستعمرات اليهودية بالحجاز . .

لقد تآمر أولئك جميعا على ضرب الدولة الجديدة ، واستغلال سذاجة العرب للنيل من قادة الدين الجديد ، أو بتعبير آخر ، من رؤساء الأمة التى خلقها الإسلام . .

كان أولئك الخلفاء الذين غيروا وجه العالم يمشون فى الطريق ، ويرتادون المساجد ، ويغشون الأسواق ، ليس مع أحدهم حارس !

والغريب أن عمر لما قتل حسبت قضيته عدوانا شخصيا من أحد المجرمين . .

ثم كان مقتل عثمان بعده مثيرا للدهشة ، فقد حاصر الرعاع داره كأن ليس بعاصمة الإسلام رجال شرطة يحفظون الأمن ويحرسون الحاكم !

وانتهت الصفحة الدامية بمقتل علىّ ، وظاهر أن المأساة الكبيرة تمت وفى خطة موضوعة ، ونفذت بدهاء لم يألفه فرسان الصحراء الذين لا يعرفون الحرب إلا فى وضح النهار .

لقد هززت رأسى منكرا ، وأنا أقرأ أن الجنّ قتلوا سعد بن عبادة ، وقلت : متى اشتغلت الجنّ بالاغتيالات السياسية ؟ !

إن مقتل الرجل كان تدبيرا لفتنة تقع بين الأنصار والمهاجرين ! فتنة حاكها أعداء الإسلام ، فلما فشلت ، اتجهوا إلى الرأس الكبير إلى عمر نفسه !

إننى أحذر العرب اليوم من مؤامرات أعدائهم الذين يبغون استئصال شأفتهم ، إنها مؤامرات هائلة فهل يصحون ؟

* * *

رمتني بدائها...!

كنت أستمع إلى إحدى الإذاعات العالمية ، فاستوقفني تصريح لبابا الفاتيكان يلوم فيه السودان على موقفه من القلة النصرانية فى الجنوب ، ويتهم الكثرة المسلمة بأنها تفتات على مخالفيها وتفرض عليهم مايكرهون !

وقد استغربت هذا التصريح لأن مسلمى السودان ما فكروا قط فى مصادرة شعائر الآخرين أو خنق حرية العبادة أو التفرقة فى الحقوق والواجبات بين أتباع الأديان المختلفة !

ولو أنهم فعلوا شيئا من ذلك لتصديت لهم ، ولأيدت من يلومهم ، إنصافًا لدينى وإحقاقا للحق ، لكن الواقع غير ذلك فإن الذين شقوا عصا الطاعة فى جنوب السودان ظاهرتهم الشيوعية وأمدتهم بكل سلاح وتسترت على جرائمهم ! وسمعناهم نحن وهم يطلبون من السلطات الحاكمة أن تترك الإسلام ، وتهجر تعاليمه وتعلن حكما علمانيا لا علاقة له بدين !

وبديه أن يرفض المسلمون هذا الطلب ، ووضع الأديان فى الجنوب معروف فعشر السكان فى أرجائه مسيحيون والعشر الثانى مسلمون ، والبقية وثنية ، فبأى حق يريد الأقليون أن يجعلوا الحكم علمانيا مبتوت العلاقة بالإسلام ؟!وماذا يضيرهم وقد استمتعوا بحريتهم الدينية كاملة أن يتمسك المسلمون بعقائدهم وشرائعهم ؟ وأن يصطبغوا بها شعبيا ورسميا ؟

هل يوصف هذا الموقف بأنه عدوان على الغير يستحق اللوم ؟ !

لقد قرأت بدقة الخطاب اللبق الذى ألقاه سيد الفاتيكان فى المغرب بين عشرين ألف طالب وطالبة جمعوا له ـ وهم جميعا مسلمون ـ لقد جاء فى هذا الخطاب : « **إن الصراحة تقتضى أن نعترف بتبايناتنا وأن نحترمها ، وأن أهم هذه التباينات هى نظرتنا إلى شخص سيدنا يسوع الناصرى وعمله ، إنكم تعلمون أن سيدنا يسوع**

المسيح فى إعتقادنا هو الذى يدخل المسيحيين فى معرفة حميمة للذات الإلهية تفوق كل إدراك بشرى . .

ثم يقول : « لذلك يشهدون ويقرون بأنه هو الرب المخلص» . ويقول : «إنها لتباينات من الأهمية بمكان يمكن قبولها بتواضع واحترام وبروح التسامح المتبادل » .

ونقول نحن : إن المسلمين منذ ظهور الإسلام وملكوا باسمه السلطة تركوا من شاء يعتقد ما شاء ، وقد رفض عمر بن الخطاب أن يصلى فى الكنيسة حتى تبقى ملكا لأهلها يقيمون فيها وحدهم شعائرهم ، وحتى لايجىء مسلم فيقول : هنا صلى عمر ، فلنصل مثله !

وكنا نريد من سيد الفاتيكان ـ وقد دعا إلى احترام التباينات بين الأديان ـ أن يدع مسلمى السودان يتمسكون بكتابهم وينفذون أحكامه ! وأن يقول للثائرين فى الجنوب وهم قلة ضئيلة : ألقوا السلاح وامرحوا فى بحبوحة الحرية المتاحة لكم فهى خير من حكم شيوعى . . . !

* * *

اليهود مع التوراة
فهل العرب مع القرآن؟

إذا استوحش أهل الحق ومشوا على الأرض يشعرون بالعزلة والكآبة فهم معذورون ، إن المتأمل المتعمق فى أحوال الناس يشعر بأن الجمهرة الكبرى من الخلق تسيرهم الأوهام أو الأهواء ، وأن وراثات غبية ، وتقاليد طائشة ومآرب عاجلة ، وغرائز جامحة هى التى تمسك بالزمام وتنطلق إلى غاياتها دون دليل راشد ، حتى ليقول الرجل المخلص فى أسى : **إن قول الحق لم يدع لى صديقا . !**

ورميت ببصرى بعيدا عن بيئتى فماذا وجدت ؟ هناك أكثر من مليار وثنى يطوفون حول أصنامهم وأكثر من مليار شيوعى ينكرون الحقيقة الأولى فى العالم ، أعنى وجود الله ! أى أن برامج التعليم والإعلام فى دنيا الناس تشرف على تأسيس الكفر وتأييد الظلمة فى الشرق والغرب . . وذلك فى نصف العالم . .

أما أهل الكتاب من يهود ونصارى ومسلمين فإن أعدادا غفيرة منهم ينطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1] .

وذلكم بين بقية المليارات الخمسة التى تسكن أرضنا !

فبم نصف الناس ؟ وبم نحكم عليهم ؟ ما أصدق قوله تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾[2] .

لا أريد الحديث عن العقائد مع أنها لباب الحياة ومناط النجاة ، وإنما أتعرض للأعمال العامة التى يتصور البعض أن العقل قد ينفرد بفهمها والحكم فيها .

إن الناس فى هذا الميدان الثانوى يقترفون الخطايا ببرود ، ويرتكبون الدنايا بكبرياء ، ويجتاحون المستضعفين دون حرج . .

---

(١) سورة يوسف : ١٠٦ . (٢) سورة الأنعام : ١١٦ .

شاهدت صورة رئيس الولايات المتحدة يراقص رئيسة وزراء إنجلترا فى حفل ساهر بهيج ! ثم سمعت تصريحات أولئك الساسة الكبار ، قبل الحفل وبعده ، عن قضية فلسطين .

فمن قائل إنهم لم يعترفوا صراحة بحق إسرائيل فى الحياة !

ومن قائل إنهم لم يقرروا ترك العنف !

ومن قائل إن طلب نصف فلسطين شىء سابق لأوانه ! الخ .

أما فى الجبهة العربية فالصيحة المعلنة أن الدولة المقترحة علمانية يستوى فيها الهلال والصليب والكفر بالهلال والصليب معا !

ثم رأيت علامة النصر الإنجليزية التى كان يرفعها «تشرشل» ضد النازى ! ثم انشقت الحناجر بنشيد العودة إلى الوطن السليب . .

مساكين أولئك العرب اليتامى ! إنهم لم يعرفوا ولايريدون أن يعرفوا أباهم الحقيقى الذى يناشدهم العودة إلى أحضانه !

أما بنو إسرائيل فهم يرددون أن إبراهيم أعطى يعقوب هذه الأرض المقدسة ، وهم وحدهم ورثتها .

كأن الله بعث رسله إقطاعيين ينهبون الأراضى ويورّثونها ذراريهم على امتداد القرون !

إن الحق مستوحش أعزل فمن يؤنس وحشته ؟ لست أدرى لماذا يبعد الإسلام عن قضية فلسطين ويبقى غيره ؟

* * *

فن الإدارة من الأعمال الصالحة!

قال لى خبير إقتصادى : إن الإدارة الحسنة ركن ركين فى إطراد التنمية ووفرة الإنتاج !

وإلى حسن الإدارة يرجع تفوق الحضارة الحديثة علينا فى ميادين الزراعة والصناعة والتجارة ، إن هؤلاء الخواجات يستغلون الأوقات كلها فلا يضيعون لحظة ، ويستغلون المواهب كلها فلا يغمطون ذكاء ، ويحسنون التنسيق والترتيب والجمع بين المتجانسين وإتاحة المجال لذوى الأمزجة المتفردة فلا مكان للتنافر والتشاكى والتحاسد !

ومن هنا استخرجوا المعادن من بطون الثرى وحولوها إلى طاقات وآلات تزحم البر والجو .

وفى الحقول والحدائق حيث ورثنا الحرف الفلاحية من قديم سبقونا سبقا بعيدا فاستصلحوا الأرض السبخة وجعلوها تجود بالخيرات قناطيرة مقنطر ، وبقينا نحن راضيين بالنزر اليسير .

قلت : هذا حق ! وما ينكر منصف التفوق الإدارى لدى خصومنا فى شئونهم المدنية والعسكرية ، ولكن لتخلفنا أسبابا ينبغى أن تعرف فليس الداء عياء . .

إن النجاح الإدارى تكمن وراءه خصلتان سهلتان فكر واسع ، وحماس كامن ، وكلتا الخصلتين وليد شرعى للعقيدة المتأصلة التى تجعل صاحبها يواجه الحياة مقبلا غير مدبر مقتحما لايعرف الجبن والعجز . .

ويعلم الله أن العقيدة الإسلامية عندما تتصل بالنفس البشرية تهب لصاحبها الأمرين جميعا : سعة الفكر وشدة العزم .

وأسلافنا الأولون ما شانهم غباء أو تبلد ، وما أزرى بهم عجز ولا قصور ! كيف ؟ واليقين عندهم وليد عقل متألق جوّاب بالآفاق فتّاح للإغلاق ، ثم هو - إلى جانب

الفكر الذكى ـ حماس يسيح فى البر والبحر لاتنطفىء له شعلة ، ولاينكسر أمام عقبة . .

أما اليوم فللإيمان منطق عجب ، قارىء للقرآن لايعى منه حرفا فهو أحد الذين إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صما وعميانا ، أو مصلٍّ يقف فى الصف لايدرى أمام من يقف ؟ !

قيل لواحد من هؤلاء : متى تسوى حسابات دكانك ؟ قال : فى أثناء الصلاة ! !

وهو فى الدكان نصف نائم ، لاتكتمل يقظته إلا إذا شم رائحة طمع ، أو خداع مسترسل ، عندئذ يثب كالوحش على الفريسة ! ! .

أو مدير عمل يرى الإدارة استكمال وجاهة وإشباع غرور ، وإصدار أوامر واستقبال مداحين ! !

إن كل إيمان لايحرك العقل ، ولايوسع الآفاق لاخير فيه . .

وإن كل إيمان لايشعل المشاعر ويزرع البواعث ويفيد الإقدام لاخير فيه . .

وليس غريبا أن ينهزم ذلك الإيمان أمام عقائد أخرى أورثت أصحابها سعة المعرفة وسعة النشاط ، بل ليس غريبا أن ينهزم ذلك الإيمان أمام الفراغ النفسى الذى يسود الآن بين أمم ومذاهب سبقتنا فى أرجاء الدنيا لأنها أوسع منا خطى . . .

* * *

الكفر ملة واحدة، فهل المؤمنون صف واحد؟

غطتنى لجة من الفكر العميق بعد ما سمعت خطاب «جورباتشوف»[1] فى هيئة الأمم يدعو إلى السلام ويعلن عزم بلاده على تقليص أسلحتها فى أوروبا وآسيا ويطلب إبطال الحروب الكيماوية . . الخ .

قلت فى نفسى : إن مستقبل الدين كله مربوط بمسالك أهله وقدرتهم على التسامى أو رغبتهم فى الإسفاف !

إن أمر الدين يعلو ويمتد إذا التزم حملته الطهارة الاجتماعية والسياسية ، وصانوا دماء الناس وأموالهم وأعراضهم ، أما إذا انطلقوا معربدين شرقا وغربا ، فإذا الناس ستلقى أسماعها إلى أصحاب الفلسفات المادية الرافضة للوحى والملتصقة بتراب الأرض وحده ! !

إن القرآن الكريم استنكر بغضب سيرة ناس من أهل الكتاب الأولين يستحلون مخالفيهم فى العقيدة ، ويلتهمون حقوقهم ، ويحقرون عهودهم ، لماذا ؟ لأنهم لايرعون إلا أنفسهم ومآربهم ! ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[2] .

نعم إنها فتنة تطعن الدين فى صميمه أن يكون الملحد أنظف يدا وأدنى إلى الشرف من شخص يرتدى شارة الإيمان .

إن «جورباتشوف» لاينتمى إلى دين أو ينظر إلى المعركة الدائرة بين «أهل الكتب السماوية» كما يزعمون ، أعنى معركة فلسطين فلا يزداد إلا بعدا عن السماء ، ونشدانا للعدالة بعيدا عنها . . فالولايات المتحدة ـ المؤمنة ـ تشد أزر اليهود ـ المؤمنين ـ وهم يدوسون العرب ويخمدون أنفاسهم بكل وسيلة متاحة . .

---

(١) الرئيس الروسى وقتئذ .

(٢) سورة آل عمران : ٧٥ : ٧٦ .

إن مستقبل الدين كله فى خطر ـ كما قلت ـ إذا كان يهود أمريكا ونصاراها ينساقون وراء شهواتهم بعمى طامس ويتحركون لإنقاذ حوتين حبسهما الجليد فى القطب الشمالى ، ويجمدون كالحجارة أمام مصارع الصبية والعزل فى فلسطين !

ليتهم كانوا جامدين !

إن الولايات المتحدة اختارت أيام الحزن والحداد في الأرض المقدسة لتعلن استئناف إمداد اليهود بالقنابل العنقودية ، حتى إذا أصيب مجاهد بشظية ، تفجرت فى بدنه كله فأعجز الأطباء شفاؤه ، ولا بأس أن يقال لليهود عند تسلم هذه المهلكات : لاتستعملوها ضدالمدنيين !

إن التدين المزيف حريص على استكمال مظاهر النفاق كلها . . هل ننتظر من الأجيال الناشئة أن تحترم دينا ما إذا كان المتدينون على هذا الغرار الهابط . . سيشق الإلحاد طريقه ، وسيقول الكثيرون إن الدين عملة مزيفة تعتمد على رصيد كبير من الإفك والنفاق .

أما الإسلام ـ وأنا أحد دعاته ـ فالبحث يجرى عنه فى المدائن والقرى ، ويبدو أنه لا أمل اليوم فى العثور عليه إلا فى الصحف ، فهو حبر على ورق .

* * *

محور التنصير فى بلادنا...

طالما شكوت من أن الهجوم على الإسلام منظم والدفاع عنه مرتجل ! الهاجمون الجدد لهم قلب « بطرس الناسك » ومشاعره المشبوبة بيد أنهم أذكى منه عقلا وأوسع حيلة .

فتمويت الإسلام فى هذا العصر تدرس له خطط ، وتعقد له مؤتمرات ، ويعرض بدقة حساب الأرباح والخسائر ، ولاحرج من الاستعاضة بمشروع عن مشروع وبرجل عن رجل !

وقد لاحظ ذلك الأستاذ محب الدين الخطيب عندما كتب أوائل القرن الماضى يقول : « وقف شيخ من دعاة النصرانية فى آخر مؤتمر عقده البروتستانت قبل الحرب العالمية الأولى يقول لزملائه الدعاة : « لقد جربت الدعوة إلى النصرانية فى أرجاء كثيرة من ديار الإسلام ، وإن تجاربى تخولنى أن أعلن بينكم على رءوس الأشهاد أن الطريقة التى سرنا عليها إلى الآن لاتوصل إلى الغاية المنشودة ، فقد صرفنا من الوقت شيئا كثيرا وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة ، وألفنا كتبا ورسائل وخطبنا ما شاء الله أن نخطب ! ومع ذلك فنحن لم ننقل من الإسلام إلى النصرانية إلا عاشقا بنى دينه الجديد على أساس الهوى أو نصابا سافلا لم يكن داخلا فى دينه من قبل حتى نعده قد خرج منه ! ولا محل لديننا فى قلبه حتى نقول : إنه دخل فيه ، ومع ذلك فالذين تنصروا لو بيعوا بالمزاد لايساوون ثمن أحذيتهم . . . الخ » .

وقرر كبير الدعاة أن الخطة المثلى هى إفساد المسلمين على دينهم وتوهين الروابط التى تصلهم به وخلق أجيال فارغة من عقائد الإسلام وتعاليمه ، وتشجيع حملة الأقلام الذين ينشرون الأدب الغث والمقالات الهابطة والذين يكتبون فى كل شىء إلا فى الإسلام وقضاياه ومطالبه .! وتبنى رجالاً يزورون التاريخ ويجعلون أمتهم دون ماض تستند إليه أو تراث تعتمد عليه . .

وتشجيع الإسلاميين المخرفين الذين تكمن فى دمائهم جراثيم البدع المفسدة

والانقسامات الهادمة وتشجيع «المفكرين» الذين يلمزون الإسلام ويغمزون أصوله وفروعه . . .!

ودفع العلمانيين من صدارة المجتمع ، ووضع مقاليد الأمور فى أيديهم ، وتدويخ المسلمين المخلصين وإقامة السدود فى وجوههم . . الخ .

وظاهر أن الأسلوب الجديد هو الذى تقرر اتباعه ، وإن لم يهجر الأسلوب الأول هجرًا تاما . . ولعل أخطر شىء فى الحملة على الإسلام رفض الانتماء له محليا وعالميا ، وقد راقبت باحتقار شديد الجهود التى تبذل لإبعاد الإسلام عن الإنتفاضة الفلسطينية الأخيرة ، مع أنه باعثها وموقد جذوتها ، ومع أن اليهود يصرخون بالولاء لدينهم والإنتماء إليه وصبغ أرض «الميعاد» بصبغته ! !

* * *

محنة أندونيسيا أمام هجمات التنصير..

نقلت مجلة «لواء الإسلام» عن وكالات الأنباء أن أسلوب التنصير العلنى فى أندونيسيا دخل فى طور لم يسبق له مثيل ، فقد بلغ نفوذه إلى مكتب لتسجيل المواليد ، زوِّرت فيه ديانات الأطفال ، وأثبتوا فى الدفاتر على أنهم نصارى لامسلمون!

وقع ذلك فى مكتب بمدينة «لهوكسماری» شمالیّ « سومطرا » حيث كتب أمام كل مولود جديد أنه نصرانى !

وقد اندلعت المظاهرات الصاخبة استنكارا لهذا السلوك الخبيث ، واقتحم المتظاهرون المكتب مطالبين بإحراق الدفاتر المزورة ، ورجموا المكتب بالحجارة ، واضطرت قوات الأمن للتدخل انقاذاً للموظفين الذين بقوا محاصرين داخله مدة يومين . .

ومع هذا الخبر المحزن كان هناك خبر آخر أشد منه إحزانا ! فقد ذكرت مجلة الجهاد الأفغانية أن سبعين مؤسسة صليبية طلبت من حكومة المجاهدين الأفغان السماح لها بالعمل داخل أفغانستان ، وأن ١٩ مؤسسة منها اجتمع مندوبها بالفعل مع « صدر الدين أغاخان » لتنسيق العمل ، والاستعداد للمرحلة القادمة ، مرحلة ما بعد سقوط نظام «كابول» .

أى أن الصليبية تريد أن ترث الشيوعية بعد هزيمتها ! والعفاء على دماء الضحايا ورفات الشهداء ، وجهود المسلمين فى المشارق والمغارب لنصرة إخوانهم المحروبين !

وأنا خبير بما سوف يفعله دعاة النصرانية ، إنهم يدخلون فى صمت القرى المنكوبة ويتجهون إلى البيوت التى قتل أربابها ، باحثين عن اليتامى والأرامل ، فيبنون الملاجىء التى تتعهد اليتامى بالتربية والتعليم ، ويرسلون إلى الأرامل ما يتطلعون إليه من ملابس وأغذية ، وينتظرون فى صبر وأمل نتائج هذه السياسة البانية الحانية ، وهى نتائج تسودُّ لها وجوه الموحدين !

فماذا يصنع دعاة الإسلام مع هذه المآسى ؟ أهداهم طريقة يذهب إلى أحد المساجد ليذكر الحديث المشهور : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » أو الحديث الآخر : « أنا وكافل اليتيم كهاتين . مشيرا بالسبابة والوسطى » .

ولا يفكر فى تحويل خطبته إلى مشروع علمى وخطة واقعية .

أما النوع الآخر من الدعاة ـ وهم كثيرون ـ فيقولون : الأفغانيون أحناف مبتدعون ، وهم عندما يصلون لا يرفعون أيديهم قبل الركوع ولا بعده ! فالجهاد فيهم واجب حتى يحملون على السُنة حملا !

وهنا تندلع حرب أخرى بعد انتهاء الحرب مع الشيوعية ! ربما ضاع مستقبل الإسلام كله فيها !

ألا يستيقظ أولو الألباب لحماية الأمة من هذا الخراب ؟ إن الدعاة الجهلة لا يقلون شرا عن المبشرين !!

* * *

توبة سياسى أعجمى!.. هل نقتدى؟!

سمعت من إذاعة لندن ما فعله رئيس كوريا الجنوبية السابق بعدما أقتيد إلى السجن تلبية لأمر الجماهير الغاضبة ، قالت الإذاعة : إنه وقف أمام عدسات التلفاز ، واعترف بما اقترف من آثام خلال فترة حكمه ، وصرح بأنه يشعر بالأسف والندم على ما وقع منه ! وأنه يقدم أرضه التى يملكها وبيته الذى يسكنه ، وعشرين مليون دولار فى حوزته كفارة عما ارتكب خلال فترة حكمه . . . !

قالت الإذاعة : وبعد هذا الإعتذار الحىّ ترك العاصمة «سيول» إلى منفى بعيد يقضى فيه بقية عمره فريدا مجردا من المال والجاه . .

وربما هدأت هذه الخاتمة مشاعر السخط العام ، وأنهت سيل المظاهرات التى كانت تتجه إلى بيته طالبة رأسه .

* * *

أنصتُ إلى هذا النبأ وغمرتنى لجة من الأفكار والعواطف المهتاجة ! كنت أعلق بارتياب على نبوءة تزعم أن جنوب شرق آسيا سيقود الحضارة العالمية ، وأقول : ربما كانت هذه الشعوب قديرة على صنع بعض الأجهزة والأدوات والملابس التى يعجز العرب عنها ! أما أن تقود العالم بديانتها« البوذية» فلا !!

لكننى بعدما ترويت فى دلالات هذه القصة أخذت أراجع نفسى وأوازن بين شعوب وشعوب . .

فى عام ١٩٦٧ ذاقت مصر والعرب جميعا أحط هزيمة فى تاريخ الحروب ! ففى بضع ساعات فقدنا الضفة الغربية لنهر الأردن ، وفقدنا قطاع غزة ، وتحطم الأسطول الجوى كله ، ووقع الألوف من أنضر الشباب المقاتلين فى مصيدة رهيبة !

ووقف الزعيم الذى قاد المعركة يعتذر عما حدث ببغام لايقوله ذو عقل !

وانعقد مجلس الأمة فإذا أحد الأعضاء يرقص لأن الزعيم قرر البقاء فى الحكم !

وتحدثت الصحف عن أن الذى حدث ليس هزيمة لأن المراد كان القضاء على قيادة الثورة ، ولم يتحقق المراد بفضل رب العباد . . ! !

وسميت المخزاة الطامة نكسة !! وقيل للشيوخ : حدثوا الناس عن نكسة أُحد !! وهكذا أدخل الدين فى معركة يلطخ فيها بالأوحال ، ويسخر فيها لعبادة الأصنام !!

ومنذ عشرين سنة والعرب يحاولون استعادة الضفة والقطاع ، ولكن اليهود يعالنون العدو والصديق بأنهم لايتنازلون عما قدم إليهم غنيمة باردة . .

وتمضى الأيام العجاب على الأمة البائسة وهى أعجز من أن تقول لمخطىء أخطأت ، أو لسارق منصب دع ما اغتصبت !!

قلت : ليست هذه الأمم صناعة إسلامية ! بل ليست صناعة بوذية ! فإن الجماهير فى كوريا الجنوبية البوذية كانت أحمى أنفا وأشد بأسا ، نعم ، قد يقع فيها الإستبداد والقهر بيد أن عمرهما يكون قصيرا ، والعقاب عليهما يكون رادعا .

وتذكرت كلمة لسيد الأحرار ومربىِّ الأبطال صاحب الرسالة الخاتمة يقول فيها : « إذا رأيتم أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم ، فقد تُودع منها » أى أنها تتهيأ للإنتقال إلى القبور فليست أهلا للحياة . .

هل توطنت حميات الإستبداد الفرعونى فى العالم الإسلامى كما توطنت ذبابات مرض النوم فى بعض المناطق الحارة ؟؟

فى دفع هذا البلاء ينبغى أن تتكاتف جهود ، وتتعاون همم .

* * *

كل شيء يدل على الله..

عندما انطلقت مركبة فضائية لاكتشاف المريخ لم أشعر بحفاوة ، فقد اعتبرت ذلك من نافلة العلم ، وقلت : إننا لم نستكمل بعد معرفة الأرض ومن عليها فلنعرف أولا ماحولنا . !

هل كان مبعث هذا الشعور أننى واحد من العالم الثالث الذى لم يدرس أرضه ولا سماءه؟ ربما .

لكننى أحسست شيئا من سعة العالم كله عندما عرفت أن المركبة لن تبلغ غايتها إلا بعد أزمنة مع أنها تندفع بسرعة كبيرة ودون عائق ، والمريخ عضو فى الأسرة الشمسية وهو أقرب توابع الشمس إلى الأرض . .

ثم صحا فكرى فتساءلت : ما قيمة هذه المسافة إذا قيست بالأبعاد السحيقة الفاصلة بيننا وبين دارات النجوم الأخرى ؟ إن علماء الفلك يذكرون أن فى الفضاء النائى عنا مجرات تزيد أعدادها على حبات الرمال حول شواطىء البحار والمحيطات !

الحق أنى شعرت بكلال عقلى وأنا أتصور جو السماء الذى تسبح فيه هذه الألوف المؤلفة من النجوم ! كيف تدور ؟ كيف تنتظم وتنسجم ؟ ما أحجامها وما إشعاعها ؟ ماذا فيها وماذا عليها ؟؟ ليكن الجواب ما يكون فلست أشك فى أن خالقها أوسع منها وأبدع ! نعم إذا كان هذا الكون كبيرا فالله أكبر .!

وعدت إلى عقلى أتابع النظر ، هل المؤمن بحاجة إلى سياحة فى السماء ليعرف ربه ؟ إن هذه المعرفة ميسورة له عن قرب ، فى الأرض التى يمشى عليها ، في نفسه التى بين جنبيه!! قال تعالى : ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الذاريات : ٢٠ : ٢١ .

قد يكون للأحجام الكبيرة أو للأعداد الكبيرة إيحاء صارخ ثم إن العدد ينطلق فى صعوده إلى غير نهاية ، أبدأ بواحد ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٦٤ ، ١٢٨ الخ . إنك لن تقف عند رقم معين ستظل تحصى إلى آخر العمر !

قال لى عقلى : الأمر كذلك فى الجهة المقابلة عد وأنت نازل : ١/٢ ، ١/٤ ، ١/٨ ، ١/١٦ ، ١/٣٢ . . الخ . إنك لن تبلغ كسرا تقف عنده . .

والعظمة الإلهية التى فى خلق الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب تروع كذلك وربما أكثر من ذلك فى خلق الجراثيم التى تجتمع ألوف مؤلفة منها على رأس مخيط . .

إن خلق الإنسان يبدأ من نطفة ، ويقول العلم الآن : إن فى النطفة مئات الملايين من الحيوانات المنوية التى يتخلق البشر من واحد منها فقط ، والباقى يذهب إلى دورة المياه ! ثم يقول العلم : إن فى هذا الحيوان تكمن خصائص الوراثة كلها ، وراثة الجنس ووراثة النوع فما هذه المورِّثات ؟ ما حجمها وما وزنها ؟؟

إن عصرنا الحاضر استخدم التلسكوب ليقرِّب البعيد واستخدم الميكروسكوب ليكبِّر الصغير ، والإبداع الإلهى يتجلى على سواء فى القريب والبعيد والصغير والكبير !!

ثم عدت إلى نفسى أقول : لم هذه السياحات فى أعلى وفى أدنى ؟ وما يتوقف الإيمان العادى عليها إن كل امرىء يأكل فلينظر من أين أتى طعامه ؟ «فلينظر الإنسان إلى طعامه . . . » .

الواقع أن منابع الإيمان ميسورة للدهماء وللعباقرة ، وما يكفر بالله إلا أحمق .

* * *

الدنيا الخادمة للحق... دين !!

ما معنى إيثار الآخرة على الدنيا ؟ هذا سؤال يسخر منه الماديون عبيد الحياة الذين يصبحون ويمسون لايعرفون إلا يومهم الحاضر أو غدهم القريب ، ولذلك يجيب الواحد منهم : لا أبدل موهوما بمحسوس ، وأرفض التفكير إلا فى الأرض وما عليها .

هذه إجابة عند أولى الألباب سيئة ، ولاعقبى لصاحبها إلا السقوط !

وهناك إجابة تبدو للناس صحيحة ، أو هى فى العرف الشائع إجابة سائر المؤمنين ، يقولون : الحياة الدنيا حقيرة ، وينبغى أن نمرق منها كما يمرق السهم لنصل إلى مستقرنا فى جنات عدن !

وأريد أن أقف طويلا عند هذه الإجابة ! ما معنى أن أعبر الحياة دون تعريج على شىء منها ؟ إن خالق هذه الحياة قال : اعرفوا أسمائى الحسنى وصفاتى العلا فى تضاعيف المكان والزمان وفى مسيرة الحياة والأحياء ! إنكم لن تعرفوا عظمتى إذا انطلقتم من المهد إلى اللحد عميانا عن آياتى فى الأرض والسماء وعن أقدارى فى الأفراد والأمم !

إنه أقسم بالشمس والقمر والليل والنهار والفجر والشفق والوالد والولد ، بل يقسم بما نبصر ومالا نبصر لأن رؤية السطوح لاتغنى عن رؤية الأعماق ، أقسم بالرياح عاصفة ولطيفة وبخيل المجاهدين يتطاير الشرر من تحت سنابكها وهى فى المعركة الأزليه بين الحق والباطل ، أقسم بهذا كله لنتعرف عليه ونعيش فى جوه ونفيد من عبره .

فكيف يقول : أنا عارف بالله مَنْ هو جاهل بالحياة وأسرارها وقواها وقواميسها ؟

إن بعض الناس يمر بالحياة كما يمر الكناسون بدكاكين الصاغة ، لاينظر إلى حلية أو زخرفة لأن الأمر لايعنيه ، أو كما يمر الفلاح الأجير بالسنابل الحافلة والثمار الطالعة فلا يفكر إلا فى أجرته وحسب !

عندما تساءل منكرو البعث : كيف يقع النشور ؟ جاءت إجابة القرآن الكريم على هذا النحو : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] .

السير فى الأرض لدراسة الحياة هو طريق الإيمان بالله ولقائه ، لابد من السباحة فى أمواج الحياة ، ومعرفة تياراتها ومداها وجزرها وشواطئها وأسباب الغرق والنجاة . .

ليست البلاهة إيمانا ولا الجهل صلاحا ، إن الخبرة بالحياة والقدرة على امتلاكها وتطويعها لخدمة ربها هي الإيمان والعمل الصالح . .

ما أحقر العقل الكليل والفكر القاصر والثقافة الضحلة ، إن هناك شعوبا تنتسب إلى القرآن لاتعرف أنه كتاب حياة لاتستفيد من الكون إلا ما يستفيده الضرير من أشعة الشمس ، وطالما التقيت بهؤلاء فى ميدان الدعوة فضاق بهم صدرى ، وأشفقت على الدين ومستقبله من جهلهم الطامس أو زهدهم البارد !!

قلت : لأمر ما كان الشاهدون بوحدانية الله هم الملائكة وأولو العلم .

* * *

(١) سورة العنكبوت : ١٩ : ٢٠ .

إلى أبطال الانتفاضة الفلسطينية
فى العام الأول

يا أبناءنا الأبطال فى فلسطين المجاهدة ، حَيَّ الله كفاحكم ونضّر وجووهكم ! لقد أثبتم أن الإسلام كان ولايزال صانع الرجال ، وملهم المقاومة الباسلة ومقدم الشهداء العظام .

إن انتفاضتكم الأخيرة مسحت عن وجوهنا الخجل ، وأخرست المرتدين والخونة ، وأثبتت للعالم أن جذوة الإيمان لم تخمد ، وأن عزيمة الأبطال لم تضعف ، وأن كل هدوء يعقبه إعصار يلحق بالمعتدين الخزى والعار .

يا أبناءنا الأبطال فى فلسطين المجاهدة ! إذا كانت اليهودية سلاح هجوم فليكن الإسلام سلاح دفاع ! احرصوا على انتمائكم الإسلامى وتشبثوا به فإن المعتدين يريدون اغتصاب الأرض والعرض والدين والدنيا جميعا ، وليس لنا إلا الإستمساك بديننا والتحصن بعقائده وفضائله ، والجهاد الطويل تحت رايته إلى أن يمن الله علينا بالحرية التى تكسر القيود وتغسل أرضنا من أدران اليهود وترد كيدهم إلى نحورهم .

نعم يجب أن نستخلص حقوقنا من إخوان القردة الذين استباحونا ونالوا منا وأخرجونا من ديارنا ، وحاولوا محو تاريخنا ورسالتنا ووجودنا كله . .

يا أبناءنا الأبطال فى فلسطين المجاهدة . . اثبتوا فى مواقف الحراسة ، «اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا»[1] إن سلاحكم قليل على حين يملك اليهود أسلحة هائلة ، وتظاهرهم قوى الشر التى تعادى الإيمان والشرف وكذلك المؤامرات التى فقدت كل حيلة ، ليكن هذا كله فنحن نستند إلى الله القادر ، ونعتمد عليه فى هذا العراك المر ، ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[2] .

(١) آل عمران : ٢٠٠ .   (٢) سورة إبراهيم : ١٢ .

يا أبناءنا الأبطال فى فلسطين المجاهدة . . لا تفقدوا روح المسجد وأنتم تواجهون العدوّ ! إن الجماعة من شعائر الإسلام فسوُّوا صفوفكم ، وسُدُّوا كل ثغرة ، ولا تتركوا فرصة للشيطان كى يفرق كلمتكم ويمزق وحدتكم . . الناس فى كل قطر يعرفون أن أعداءكم جبناء ، وأنهم « لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ »[1] وأنهم وراء الدروع والقنابل والقذائف الفتاكة يواجهون الفتيان الرامين بالحجارة ! ليكن اليوم لهم ، فالغد بإذن الله لنا ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] .

يا أبناءنا الأبطال فى فلسطين المجاهدة . . إن بعض الرؤساء العرب جبن عن متابعة الكفاح ، والبعض الآخر أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، لاتهولنكم هذه المواقف الجبانة وارفعوا راية الإسلام بقوة ﴿ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾[3] .

وفى أشد المواقف حرجا اعتصموا بالله وادعوه قائلين : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[4] .

يا أبناءنا فى الأرض المسروقة من دار الإسلام قاوموا فمن بقى منكم ظفر بالنصر ، ومن مات ورث جنة عرضها السموات والأرض ، قاوموا والله معكم .

* * *

(١) سورة الحشر : ١٤ .
(٢) سورة آل عمران : ١٣٩ .
(٣) سورة النساء : ١٠٤ .
(٤) سورة آل عمران : ١٤٧ .

قيم الرجال والشعوب

المناصب لاتصنع العباقرة ، والثروات لاتخلق الرجال ، وقد يلى العبقرى منصبا ما فيزدان المنصب به ولايزدان هو بالمنصب ! والثروة الطائلة بين أصابع الرجال أداة لفعل الخير وقضاء الحقوق وليست وسيلة لرفعة الخامل أو ستر السفيه !

زدت يقينا بهذه الحقيقة وأنا أرجع البصر بين حالة اليابان العلمية والمالية وأحوال أممنا فى الشرق الأوسط ! إن تربة الأرض اليابانية ليس فيها شىء يقيم صناعة ، لانفط ولا حديد ! لا معادن ولا وقود ! لكن المعدن النفسى للإنسان اليابانى تغلب على هذا الفقر .

لقد شرع يشترى النفط من الأقطار الغنية به ، وأنواع المعادن التى يحتاج إليها فى صناعاته ، وأخذ ينتج وينتج فإذا السلع اليابانية تغزو العالم القديم والجديد وإذا إتقانها ورخصها يغلبان سائر السلع حتى ضجت الأسواق الأخرى من هذا الغزو الإقتصادى ، وقاومته بكل وسيلة . . .

يحدث ذلك كله والذين يملكون الأرض الغنية ، والإمكانات المتاحة لايفعلون شيئا !

إن الأساس الأول لكل نهضة هو الإنسان ، لا ما تحت قدمه ، ولا ما فوق رأسه ! ولذلك كان اتجاه الأنبياء منذ الأزل إلى النفس الإنسانية يغيرونها ، ويصقلون معدنها ويعلمون ملكاتها فإذا تم لهم ذلك أطلقوها فى فجاج الأرض تصنع الخوارق ، وتغزو المغارب والمشارق !!

ومازلت ألفت النظر إلى عبارة القرآن الكريم فى وصف الرسل العظام بأنهم أولو الأيدى والأبصار .

الإيمان عقل مؤمن ، ولا وجود له إذا ضاع العقل ، ويد مقتدرة ولا وجود له إذا انقطعت اليد ! والجماهير الإسلامية إذا خف علمها ووهن إنتاجها لا يرفع الإسلام خسيستها .

وقد أزعجني أن بعض المتنبئين يقولون : إن قيادة الحضارة ربما انتقل إلى الشرق الأقصى ، وجنوب آسيا !

قلت : ولماذا لا يعود كما بدأ إلى الشرق الأوسط وإلى الأمة العربية ؟ وكانت الإجابة محزنة أو مخزية ! نحن في مضمار الإنتاج كسالى ، يصنع لنا غيرنا ولا نصنع نحن لأنفسنا !

وفى ميدان العلم كذلك نحن مستوردون لا مصدرون . !

وما السبب فى هذه المكانة المتخلفة ؟

السبب أننا نكترث بتزويق الظاهر ولا نهتم بدعم الباطن أو بتعبير أدق لا نعول على إصلاح النفس وتغييرها وإزاحة مابها من علل ، وكتابنا يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1] .

* * *

(١) سورة الرعد : ١١ .

هكذا يعامل الإسلام وحده

كثيرون من الناس لم يكونوا يتصورون الحقد الصليبى على الإسلام بهذه الضراوة ! بعضهم ظن الإرتقاء العلمى قد خفف السخائم القديمة ! وبعضهم ظن المنافع الاقتصادية تصنع شيئا من التجاوز والسماحة .

وآخرون قالوا : إن فن الدبلوماسية فى العصر الحديث نقل العالم أجمع إلى مرحلة جديدة ردمت الفجوة بين الأديان المختلفة . . .

حتى وقف الغرب وقفته الأخيرة ضد نبوة محمد وينابيع الإسلام ، عندما احتضن رواية «آيات شيطانية» وبسط حمايته على صاحبها .

إنه حسر القناع عن وجهه ، أو طفحت كراهيته على نحو لم يستطع مقاومته . .

قد يقول البعض : إن كرامة المسيح قد أهينت من قبل ذلك ! وألفت رواية اتهم فيها بالشذوذ ! ونقول : إن الرواية منع تمثيلها وأحرقت دار السينما التى قامت بعرضها وأهيل التراب على الموضوع كله . .

وفى إنجلترا قد يسمح بنقد كلى أو جزئى لبعض المبادىء والهيئات ، ولكن نقد الملكة مستحيل ، ومن فعل ذلك نُبذ شعبيا ورسميا . .

على أن الرجس الذى صبه فى روايته كاتب آيات شيطانية بلغ حدا من الوساخة جعل أحد الصحافيين يقول : إن المؤلف جدير بأن يضرب بجميع النعال التى فى أقدام الناس ، على جميع المقاسات . .

وأولى بالإستنكار والشناعة الوزراء الكبار الذين تنادوا على شاطىء الأطلسى فى أوروبا وأمريكا بتأييد المؤلف واعتبار المحاماة عنه قضية قومية ، وغاية إنسانية .

إنه موقف فى الدرك الأسفل من السقوط ! وقد شعرت بمدى ما تنحط إليه البشرية من ضعة وهى تهاجم الإسلام وأمته بتلك الطريقة .

وشاء الله أنى كنت أستأنف تلاوة وردى من القرآن الكريم ، وأصداء الهجوم على

محمد تتردد فى نفسى ، فقرأت هذه الآيات ، التى تضمنت خمسة أوامر صادرة من الحى القيوم إلى النبى الخاتم محمد بن عبد الله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[1]

هذه هى الآيات الشيطانية التى تلقاها محمد عن ربه !! فما تكون الآيات الإلهية الصحيحة ؟ ! ! إذا كان هذا وحى الشيطان فما يكون وحى الرحمن ؟ ! !

هل فى تاريخ الأحياء إنسان حارب الشيطان وضيق على وساوسه الخناق مثل ما فعل محمد ؟ هل وعى ضمير العالم سيرة لرجل وصل الليل بالنهار عبادة لله وكدحا فى سبيله ، وتقطيعا لأوصال الجاهلية وتثبيتا لمعالم الحق والخلق والعدل والفضل ، مثل النبى العربى المحمد ؟

هل بقى فى الدنيا تراث يحمل الوحى الأعلى ويستنقذ البشر من الحيرة والضياع غير تراثه ؟

إن كان القرآن آيات شيطانية فهل الآيات الإلهية هى التى تقدم الأنبياء زناة وقتله ، وتقدم الوحى طريقا إلى الشرك والعمى ؟

أهذا ما يريد ساسة الغرب أن نفهمه ؟ ! « أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ »[2] .

* * *

(١) سورة الزمر : ١١ : ١٥ . (٢) سورة النحل : ٢٥ .

أين الوعى العربى ؟؟

عقدت هيئة الأمم جلسة لبحث الإنتفاضة الفلسطينية التى توشك أن تتم عامها ، وذلك بعد أن اشمأزت المشارق والمغارب من عدوان اليهود على الشعب البائس . .

لقد انتهكت حقوق الإنسان ، واستبيحت الدماء والأموال والأعراض ، وقد رأيت صور البيوت وهى تتحول إلى أنقاض بعد تهديمها ومرور الجرارات على بقاياها ، ورأيت صور النخيل وهى تهوى بسعفها وثمرها بعد قصم جذوعها ، وقابلت الرجال المطرودين من وطنهم السليب ، وسمعت بمقاتل الأطفال فى الثالثة والخامسة ، ودق عظام الشباب الذى يؤسر فى المظاهرات ، كما سمعت بالأحوال الوحشية التى يوضع فى جحيمها المعتقلون . .

إن بنى إسرائيل لايبيِّتون لأهل فلسطين إلا السيف والنار والعار !

وقد اطلع أعضاء الهيئة على مائة وأربعين صفحة تصف ما ينزله اليهود بالعرب ، ثم قررت ١٣٠ دولة إدانة إسرائيل ، واستنكار خروجها على المواثيق الدولية . . وشذت دولة واحدة عن تجريم إسرائيل هى الولايات المتحدة ، وامتنعت ١٦ دولة من أصدقاء أمريكا عن التصويت ! !

لو كنت أمريكيا لشعرت بالخزى من موقف المندوب الأمريكى ، ولقلت لقومى : ما أنصفتم أنفسكم ولا أنصفتم أصدقاءكم من الدول العربية ، إن هذا الجوْر فى الحكم وهذه الخسّة فى ممالأة العدوان ستجعل أصدقاء أمريكا ييأسون من نزاهتها ، ويفكرون طويلا فى علاقاتهم بها . .

كان لى حديث مع نفر من عرب الخليج عن القوى العظمى فى العالم ، وعن المواقف الواجب منها فقيل لى : لقد تجاوزنا الروس لأن فلسفتهم المادية هى الكفر بالله والمرسلين ! أما أهل الكتاب فلهم مواريث سماوية تدنينا منهم . !

قلت : ليت الأوروبيين والأمريكيين يؤمنون برسالات موسى وعيسى ويصدقون بالله واليوم الآخر إن خصامنا معهم على هذا !

إنهم يعبدون الحياة الدنيا وحدها ، وينطلقون مسعورين وراء شهواتهم .

وليس للإستعمار دين إلا السلب والنهب وضروب التفرقة العنصرية والدينية . .

ولو كان للقوم علاقة بوحى ما صنعوا بنا الذين يصنعون . .

إننى أحفظ للشاعر القروى - وهو مسيحى مخلص صادق - قوله يناجى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام :

فيا حملا وديعا لم يخلِّف
سوانا في الورى حملا وديعا !!

أحبوا بعضكم بعضا ، وعظنا
بها ذئبا فما نجَّت قطيعا !!

فماذا يقول العرب الآن إذا تحول الصهاينة إلى ذئاب ، وتحول الأمريكان إلى أنصار للمفترسين . ؟ !

إننى أناشد شعب الولايات المتحدة أن يثوب إلى رشده ، وأن يوقظ ضميره النائم ، وأن يستغل قوته الحاضرة فى إقامة العدل وإحقاق الحق . . وأن يقف يوما ما فى المحافل الدولية مؤيدا عرب فلسطين وحقهم فى أرضهم ، وفى ردِّ العدوان النازل بهم ، ذلك خير له ! !

* * *

مع لجنة العفو !!

فى أحد مؤتمرات الدعوة قدم الدكتور المهندس مصطفى مؤمن اقتراحا بأن تقوم علاقة بين أجهزة الدعوة الإسلامية وبين لجنة العفو الدولية .

وقد أيدت هذا الاقتراح بحماس ، ودعوت لإقراره بيد أن التيار المعارض نجح فى طيه ! ولما رآنى بعضهم محزونا قال لى : لاتنس أن لجنة العفو هذه علمانية تطالب بإلغاء عقوبة الإعدام . .

قلت : إن تعطيل القصاص غلط كبير لايدافع عنه عاقل ، بل إن إطالة حبل الحياة للمفسدين فى الأرض إفساد للحياة كلها وترويع للأبرياء ، ولو كان الأمر بيدى لحكمت بالموت على مغتصبى الأعراض وتجار المخدرات وقتلة النفوس بغير حق . .

وموقف لجنة العفو هنا لايقبل منها ، وإن كنت أذكر ضميمة لابد منها لشريعة القصاص عندنا ، فولى الدم يستطيع العفو ، وإذا تقدم أحد لترغيبه فيه جاز ذلك ، « ومازاد الله أحداً بعفو إلا عزا » وللدولة حقها المقرر فى حماية النظام والأمان بعد ذلك . .

ولا أحب أن أقف عند هذا الحكم الفرعى المعروف إنما يعنينى أمر آخر أهم !

إن لجنة العفو تستقصى أخبار المظلومين فى أرجاء الأرض ، وتمسك بتلابيب المجرمين ! وتصرخ بصوت يوقظ الغافلين طالبة وقف العدوان ، وحماية الضعفاء ، ولاتنس أن جمهرة المعذبين فى هذه الدنيا منا نحن المسلمين !!

قال : كيف ؟ قلت : إن المؤامرة على ضرب الإسلام تتبع نشاطه فى الميدان التشريعى والميدان الاقتصادى والميدان السياسى وتقاتله بضراوة ، وتدوس كل حقوق الإنسان فى هذه المجالات الخطيرة .

ذلك أن إسلام العبادات سوف يموت من تلقاء نفسه إذا استقرت الأوضاع للقوانين الأجنبية والإنحرافات المالية والمفاسد السياسية .

لن تطول الأيام التى يغلق المسجد بعدها أبوابه ، فإن تغير المجتمع حوله سوف يقضى عليه عاجلا أو آجلا . .

إن المشتغلين بالاقتصاد الإسلامى يذادون بوحشية عن ساحات العمل ، وكذلك المطالبون بإقامة حدود الله ، والمنادون بالانتماء الإسلامى ! إنهم يُعْتَبُرون رجعيين لاكرامة لهم ، وأفضل مكان لهم السجن حيث يلاقون صنوف التعذيب . .

ثم تجند أقلام المرتدين والمرتزقة وشيعة الإستعمار الغالب كى تحبذ ما يقع وتدفع عنه ، ولايسمع الناس أصواتا غيرها !! وربما لاذ بعض المتعبدين بالصمت مخافة أن يبطش به !!

فإذا تحركت لجنة العفو ، وغضبت للإنسانية المهيضة وهتكت الستار عن وجوه المجرمين فهى أولى بالله من الشياطين الخرس ، بل هى أحق بالحياة من أعداء الحياة الذين يستخفون وراء أشكال التدين ، وبينهم وبين التدين بُعْدَ المشرقين .

* * *

إيمان مغشوش
لايحتوى إلا على الحقد العام

عندما فرّ اليهود من الاضطهاد الرومانى إلى شمال الحجاز كانوا يحملون فى حناياهم وفى سيرتهم تدينا جديرا بالتأمل ، كانوا يرون أنهم شعب الله المختار ، وأن سائر الأمم خلقت لخدمتهم وأن ما بأيديها من أموال هو حق اليهود الذى يجب أن يستردوه . . .

وإذا كان العرب فى جاهلية فلتبق هذه الجاهلية إلى الأبد ، فذلك أعون على بقاء بنى إسرائيل فى وضعهم العالى ، وأعون على بقاء الفروق بين الشعب المختار والعبيد المسخرين . .

ومن ثم لم يرتفع صوت يهودى بمحاربة الوثنية السائدة ، ولم ينطلق مبشراً بجنة أو منذرا بنار !

إن الدين عند القوم لون من الصلف الجنسى والاستغلال الخسيس للآخرين ! وإذا كانت هناك علل تؤذى الجيران الأقربين أو الأبعدين فليزيدوا هذه العلل ضراوة ، وليصدروا إليها مزيدا من الجراثيم التى توسع دائرة الفتك وأعداد الضحايا . .

ذلك ما صنع اليهود قبل البعثة ! عاشوا سعداء على متاعب العرب . وبنوا ثراءهم على بيع السلاح للفرقاء المتخاصمين ، حتى جاء الإسلام فمحا هذه الفوضى محوا ، ووطد سلطات الإيمان والخلق . .

وكأن التاريخ يعيد نفسه فى هذه الأيام النكدات ، فقد هجم اليهود على فلسطين ، وشرعوا يكيدون للعرب حولهم بأساليب أنكى مما صنع آباؤهم الأقدمون . .

وقد وضعوا ثلاثة أهداف لجعل الأجيال العربية الناشئة تشب وفيها قابلية الاستعمار والاستسلام لما يراد منها . .

أول هذه الثلاثة إضعاف الصحوة الإسلامية وتأليب القوى ضدها وإمداد خصومها بكل سلاح والثانى : نشر المخدرات وتيسير الحصول عليها للمدمنين ، واصطياد السذج لتذوقها ثم الوقوع فى براثنها والاتفاق مع المهربين من كل جنس لترويج بضائعهم فى الأسواق العربية عامة والمصرية خاصة .

وثالثة الأثافى : استجلاب فتيات يهوديات أو غير يهوديات يشتغلن بالبغاء ويعتبرون إغواء العرب سياسة قومية تحقق مصلحة إسرائيل العليا ، وتنشر مرض «الإيدز» بين طلاب اللهو والمجون من المصريين وغير المصريين ، وتخيف السائحين من القدوم إلى بلادنا !

هذه هى عاطفة التدين الراقى التى يكنها أبناء الله وأحباؤه لغيرهم من البشر !

وعندما تنتصر إسرائيل ويهدم المسجد الأقصى وينهض مكانه هيكل سليمان فإن رب إسرائيل سيحل فى الهيكل المقدس ليحكم العالم عن طريق شعبه المختار ، وعندئذ سيتبختر الصهيونى الغالب على أنقاض شعوب استهلكتها المخدرات والمسكرات ، واستنزفتها الأمراض السرية والعلنية لأنواع الشهوات وانهمك ساستها فى جدولة الديون تحت ضغط ما تعانى من أزمات .



هل العروبة المجردة تنصر فلسطين؟

لقيت صديقا قديما من قادة الإنتفاضة نفاه اليهود من فلسطين فهو يضرب فى أرض الله بعيدا عن الميدان الذى يهوى إليه فؤاده ، ويثمر فيه جهاده .

كانت على فمه وعينيه ابتسامة تجمع بين الجلد والكمد ذكرتنى بقول الشاعر يصف محزونا غريبا عن وطنه :

تبسَّم كَرْها ، واستبنت الذى به

من الحزَن البادى ، ومن شدَّة الوجد !

وعادت بنا الذكريات إلى أيام خلت كنا نخدم فيها الدعوة الإسلامية ، وكان يخطب الجمعة أحيانا فى مسجد بالجيزة عندما كنت أخطب فى مسجد عمرو بن العاص .

قلت له : ماذا فعل اليهود بك فى سجونهم ؟ فأبى أن يجيب !

قلت : أخائف أنت ؟ قال : لا أعرف الخوف ، إننى خجلان وحسب !

فلما رأى إلحاحى فى تعرف ما نزل به وبإخوانه قال : أذكر آخر ما سمعت من محقق يهودى معى قال لى : إننا خلال شهور الإنتفاضة قتلنا من العصاة المتمردين نحو مائتين !

إن مثل هذا العدد قتل فى أيام بين أتباع عرفات وأتباع أبى موسى !

وقبل ذلك قتل العرب منكم مئات ومئات فى حرب المخيمّات التى دارت فى العام الماضى !

أما فى العام الذى سبقه فقد استحرّ القتل فيكم ، ودمِّرت عليكم مساكنكم فى «صبرا وشاتيلا» و«تل الزعتر» وأماكن أخرى .

وقد طاردكم إخوانكم العرب فى أرجاء لبنان حتى تلقفكم المصريون فى عرض البحر من ميناء طرابلس . .

قال : ومضى المحقق يصف مقاتلنا هنا وهنـاك حتى اسودّ وجهى من الخزى ، وها أنت الآن تنكأ الجراح !

قلت : معذرة فقد نسيت علل أمتى حتى عادت أعراضها الدميمة أمام عينى !

لكأنه نزل فينا قوله تعالى : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾[1]

وبقيت ضميمة أخرى . . وأيدى المؤمنين بالعهد القديم !

إن عربا كثيرين كانوا من وراء مأساة فلسطين ، ولا زال أولئك العرب يتحدثون بفخر كبير عن العروبة وهم فى الوقت نفسه يسدون إلى اليهود أجل الخدمات ! ويُسَدِّدون إلى المجاهدين أحدّ الطعنات .

وتساءلت : ماذا قدم العفالقة لنصرة فلسطين؟ إن « ميشيل عفلق » جعل العلمانية أساس البعث العربى ، وأقصى العقيدة الإسلامية عن قلوب العرب وصفوفهم .

وهذا وحده نصف الهزيمة التى يصبو إليها اليهود !

ثم هاهو ذا يتابع كل تجمع فلسطينى لينقض دعائمه ، ويهوى بالمطارق عليه حتى يجعله هباء . .

إن مبادىء « ميشيل عفلق » كانت أشد على العرب من عدة حملات صليبية ناجحة ، فهل يستفيق العرب من غفلاتهم ؟

* * *

(١) سورة الحشر : ٢ .

الصليبية الحديثة تواصل زحفها المتقدم...

أخشى أن ينسى العرب دينهم ، وأن ينسوا إخوان العقيدة المنتشرين فى المشارق والمغارب ، وأن يتجاهلوا قضاياهم وأحزانهم الكثيرة .!

إنهم إن فعلوا ذلك نسيهم الله ونسوا أنفسهم ومكنوا أعداءهم من أعناقهم ووقعوا فى فخاخ ماكرة نصبت لهم هنا وهناك . .

إن الأقليات الإسلامية فى العالم تزداد تعاسة وعزلة ، ولا أدرى لماذا لايكون لطلاب الحرية من هذه الأقليات المهضومة من يمثلها فى المجامع الإسلامية ، رسمية كانت أو شعبية ؟

حبذا لو كان فى الأزهر ، أو فى رابطة العالم الإسلامى قسم خاص لكل أقلية مهدرة الحقوق ، يدرس أحوالها ويتابع آمالها ويعلن ما يحاول الأعداء كتمانه ، ويكشف للعالم مايراد إتمامه فى الظلام .

لقد علمت بأن رئيسة الفلبين كانت تنوى إسداء خير للمسلمين هناك ، وأن تضع حداً لحرب قاسية خسر فيها المسلمون أموالا ورجالا ، وبقوا إلى الآن محروبين مكروبين ، ولكن الرئيسة خضعت لضغط المتعصبين من رجال الدين فبقيت الأمور تتدحرج من سيىء إلى أسوأ .

ومن نصف قرن والمسلمون هناك يطاردون إلى البقاع المجدبة ، ويحرمون حقوقهم الطبيعية ويحملون السلاح دفاعا عن عقائدهم وكراماتهم ، والناس من حولهم ينظرون غير مكترثين !

ومنذ أيام قرأت تحذيراً للمشير عبدالرحمن سوار الذهب كبير الأمناء فى منظمة الدعوة الإسلامية جاء فيه أن حملات التنصير فى وسط إفريقيا امتدت إلى المسلمين أنفسهم بعد أن كانت قاصرة على الوثنيين ، وأن الذى أعان على ذلك مايعانيه السكان من الجفاف والجوع والضياع . .

ونبه المشير إلى أن جماهير الجياع فى الحبشة وإرتريا وغيرها من الأقطار المنكوبة هم من المسلمين ، وقد استغلت الحملات التنصيرية هذه الأوضاع لتحقيق مآربها ، متوسلة إلى ذلك بالقدرات المادية الهائلة التى تمتلكها . . !

وقال : إن أكثر من ٧٤ مجلة أسبوعية للتبشير تصدر فى إفريقيا وأن هناك ثمانية مليارات من الدولارات رصدت لحملات التنصير وحدها (!) وقد نجحت فى ضم ٩٠٠ ألف جدد إلى المسيحية ! ولم لا ؟ وهم لايجدون طعاما ولا شرابا . . ! !

أما الدعوة الإسلامية فلا عون لها ، ولامدد ! والظروف التى تعمل فيها شديدة التعقيد ، وقد اصطلحت الأضداد على خصومة الإسلام ، فلا تستغرب أن تجد الشيوعيين يساندون المبشرين على حرب الإسلام ، والصورة العامة لجنوب السودان تحتاج إلى وعى وتبين ويقظة . .

مرة أخرى أقول للعرب : لاتغرقوا فى خلافاتكم ، ولاتذهلوا عن رسالتكم ، إن مستقبلكم رهن عودتكم إلى الإسلام .

* * *

الثرثارون بالإسلام من غير عمل مثمر..

عندما أرى صاحب حرفة من الحرف المهمة عاجزا فى عمله ، أو فاشلا فى إتقانه أشعر بالأسى !

فإذا وجدت هذا العاجز الفاشل يتكلم فى الدين ، ويثرثر فى بعض القضايا الفقهية شعرت بالغضب !

ذلك أن التفيهق هنا ستارة لإخفاء التقصير و إ تقان التزوير !

ماذا على صاحب أية مهنة أن يعبد الله بإجادة مهنته ؟ وإبرازها فى أبهى صورة ؟

إن المهارة الفنية والإدارية عمل صالح كالصلاة والصيام ، ويستحيل أن تنهض أمة أو تنجح رسالة إلا إذا توفر لديها جيش من الفنيين والإداريين المهرة .

والذى يقدّم سلعته دميمة الصورة منقوصة الأطراف لايغنى عنه أن يذكر بعض الأحكام الفقهية !

فإن ذكر هذه الأحكام ليس دليل اكتمال ، بل قد يكون شقشقة لسان ، أو مداراة لنقص ، أو مطاولة للعلماء ، وكأنه يقول لهم : لستم أفضل منى فأنا أعرف ما تعرفون !

قد تقول : هذه دعوة لاحتكار العلم الدينى وحبسه على نفر مخصوصين ، والإسلام يأبى هذه الدعوة ، وليست لديه طائفة من الكهنة أو رجال الدين !

وأقول : إن الدعوة إلى التخصص غير الدعوة إلى الاحتكار ، وبلاء الأمة الإسلامية جاء من أنصاف متعلمين لايحسنون الفتوى ، ولا ينصفون الحقيقة ، ولايكملون الصورة ، ولايحسنون ضبط المقادير التى يشفى بها الداء ، ولاتحديد العلل التى يشكو منها المجتمع . وهم بهذه الجهالة يضرون ولاينفعون .

وقد كتب الراغب الأصفهانى ينهى عن التوسع فى تعليم أصحاب الحرف مالا يحتاجون إليه فى إجادة حرفهم ، ورأى تقوية إيمانهم بما ورد فى القرآن من ترغيب وترهيب ، وإبعادهم عن القضايا الخلافية ومصادر الشبهات !

قال الراغب : فإذا اضطربت نفس أحدهم لمقولة باطلة أو بدعة عارضة وتطلع إلى مزيد من الدرس والتمحيص اختبرناه ، فإن كان ذا فهم ثاقب وتصوّر صائب أعنّاه بالشرح والتعمق حتى شفينا ما به .

وإن كان مريض القصد نزّاعا إلى الجدل والظهور وقفنا دون غرضه !

وقال الراغب : إننا يجب أن نُفرّغ هؤلاء المحترفين والصناع إلى أعمالهم التى لاقيام للأمة إلا بها ، ويجب أن نحول بينهم وبين الشغب بعلم قليل وقلب مدخول . .

وقصّ علينا الراغب هذه القصة : سأل جاهل من هؤلاء حكيما عن مسألة دينية ، فأعرض عنه ولم يجبه !

فقال له السائل : أما سمعت قول الرسول : « **من سئل عن علم يعلمه فكتمه أُلجم بلجام من نار يوم القيامة** » ؟

قال الحكيم : بل سمعته ! أترك اللجام هاهنا واذهب ! فإن جاء من ينفعه علمى وكتمته فليلجمنى به !

الحقّ أن ناسا يتكلمون فى الإسلام يودّ الدين لو خرسوا فلم يُسمَعْ لهم صوت . .

والمحزن أنهم كثروا فى هذه الأيام الهزيلة ، حتى يكاد يتسع الخرق على الراقع . .

* * *

طبيعة وحشية للقدامى والمحدثين

خداع العناوين أمر بغيض حقا ، ويبدو أن الأوروبيين قديما وحديثا يتقنون هذا الفنّ من الخداع ، ويسيرون وراءه نحو أغراضهم .

فتحت «الدعوة إلى السلام» يستعدون للقتال ، ويتقنون صناعة الموت .

وتحت طلاء من المدنية يقترفون ألوان الهمجية ويثقلون كواهل الشعوب بالديون والآلام . .

منهم إلا فلول تشهد بما أصاب آباءهم من اضطهاد واستئصال . .

وفى الوقت الذى يخبىء القوم فيه مخالبهم وأظافيرهم خلف قفازات من حرير يصفون غيرهم بما هم منه براء !

فالمدافعون عن أرضهم وعرضهم إرهابيون .

والمسلمون ينشرون عقائدهم بالسيف !

والإسلام دين مادىّ يخدم الغرائز ! أما هم فأصحاب روحانية لانظير لها فى الماضى والحاضر . .

وتبحث عن هذه الروحانية المزعومة فلا تجدها إلا فى لياليهم الحمراء ، وحاناتهم الطافحة بالآثام . .

نقل الأستاذ عمر عبيد هذه الفقرات عن الكاتب الفرنسى «جوستاف لوبون» يصف أفاعيل الصليبيين عندما اجتاحوا بيت المقدس أواخر القرن الرابع الهجرى ، قال : «**كان قومنا يجوبون – كاللبؤات التى خطفت صغارها ـ الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل ، كانوا يذبحون الأطفال والشبان والشيوخ ويقطعونها إربا إربا .**

كانوا لايستَبْقُون إنسانا ، وكانوا يشنقون أناسا كثيرين بحبل واحد بغية السرعة !

كانوا يقبضون على كل شيء يجدونه . ويبقرون بطون الموتى بحثا عن قطع ذهبية !

كانت جموعا تسيل كالأنهار خلال مدينة مغطاة بالجثث !

ثم أحضر «بوهيموند» جميع الذين اعتقلهم في برج القصر فأمر بضرب رقاب العجائز والشيوخ والضعاف » .

ويستأنف «غوستاف لوبون» وصفه الكئيب فيقول : « لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان . فكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك ! وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنما تريد الاتصال بجثث غريبة عنها . .

وأراد الصليبيون الاستراحة من عناء تذبيح الأهالي قاطبة ، فانهمكوا في كل ما يستقذره الإنسان من ضروب السكر والعربدة . . » .

* * *

إن المسلمين أهل نسيان وغفلة ، لقد طوَوْا ستارا على هذا التاريخ البشع ، وقلما يذكرونه إلا بإيجاز وتجاوز ، بل إنهم ما يذكرونه إلا بعد ما استعادوا بيت المقدس وأعلنوا عفوا عاما عن أبناء المجرمين الذين اقترفوا هذه المجازر في رحابه البائسة[1] . .

وهاهي ذي أوروبا قد استقدمت الصهاينة ليأخذوا بيت المقدس من المسلمين مرة أخرى . . إلا أن اليهود تركوا هذه المرة خداع العناوين . . وقالوا للمسلمين في صراحة لامقام لكم هنا ! . . أحدنا سيبقى على أشلاء الآخر !

ترى ماذا سيفعل المسلمون ؟ !

هل يبقون على مانرى يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الخصوم ؟ !

* * *

(١) من المعروف أن صلاح الدين قد عقد صلحًا مع الصليبيين بعد أن أجلاهم عن بيت المقدس وأعلن العفو عن الأسرى وزهد بأثمان بخسة . . أنظر المحاسن اليوسفية عنهم .

مدرسة مظلومة...

نرفض المسلك الجديد لأعداء الإسلام فى أقطار كثيرة ، إنهم يعبثون بالألفاظ ويخادعون بالعناوين متوسلين بذلك إلى بلوغ غاياتهم .

إنهم يحاربون الإسلام ذاته تحت راية محاربة التطرف .

والذى يقيم الصلوات ويدعو إلى إقامتها لايوصف بتطرف .

والذى يحترم حدود الله ويكره أعتداءها لايوصف بتطرف .

والذى يستنكر الاستعمار التشريعى والاجتماعى ، ويريد العودة بالأمة إلى ينابيع الوحى لايوصف بتطرف !!

إننا نرعى البناء الإسلامى كله حجرا حجرا ، ونريد إعادة الجدّة والروْنَق إليه بعد ما حوّله الاستعمار العالمى إلى أنقاض فى السنين التى خلت . .

والتطرف الذى نأباه ونحاربه هو عجز علمىٌ عند بعض المنتمين إلى الإسلام يجعلهم يتصورون المباح حراما ، أو النفل فرضا أو العادات عبادات أو تقاليد بعض البيئات هديا سماويا .

وقد تصح لهم أفهام فقهية غير أنهم لايحسنون وضع الخطط الراشدة لإنصاف الدين المظلوم بها ويسارعون إلى دخول معارك لم يأخذ الإسلام لها أهبته ، أو يستكمل عدته . .

والأدهى من ذلك كله الاشتباك مع الظواهر الشائعة دون تعمق فى فطرة الإسلام ، وصبغته العقلية وقدرته على تطويع الحياة لخدمة أهدافه ومثله . .

في القرن الماضى ظهر جمال الدين الأفغانى ، وكان رجلا حاد الذكاء حاد الطبع يحتقر التعصب الأوروبى ويمارس إنقاذ الجماهير من غارته .

وكان يرى أن الحكومات الإسلامية مصدر الداء وأصل البلاء فوجه إليها حملات منكرة ودخل معها فى حرب حياة أو موت . . وترك دويا واسعا ولم يصنع شيئاً طائلاً . .

وكان الشيخ محمد عبده ألمع تلامذته ، وقد شارك فى الثورة العرابية ، وجنى معها الفشل ، ولكن محمد عبده له ذكاء الفيلسوف ، ودقة الفقيه ، وأناة المربّى ، فأدرك أن الأمة التى تفقد التربية السليمة لاتحقق شيئا ، ولاتنجح لها ثورة ، وإذا نجحت لها ثورة لأمر ما ، فسرعان ما يستولى عليها الشطار ونهازو الفرص ، ويستغلّونها لمآربهم !

من أجل ذلك لجأ إلى التربية ، ورفع مستوى الشعوب ، وإبعاد العطب الذى سرى فى كيان ثقافتنا الدينية ، واشتغل بتشكيل العقل الإسلامى على نحو صحيح !

ونحن نؤكد أن الأمة التى لاتتربى لاتفلح ، ولايقوم بها جهاز إدارى محترم ، وقد تكون الجامعات فيها قصوراً شامخة لكنها مبنية على أسس واهية .

فلنربِّ أنفسنا وأمتنا لنضمن الحاضر والمستقبل .

* * *

لا عرب إن تركوا الإسلام

لم يكن العرب فى جاهليتهم شيئا مذكوراً ، فإن الوثنية المنتشرة بينهم أزرت بأفكارهم وأخلاقهم ، ونشرت بين ظهرانيهم صنوفاً من الرذائل والمقابح ! حتى شاء الله أن يرفع أقدارهم وأن يجعلهم قادة للناس ، فبعث فيهم محمداً عليه الصلاة والسلام يتلو كتابه ويفتح به البصائر ويزكى السرائر ، وقيل للعرب الأولين كما يقال للعرب المعاصرين ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾[1] أى فيه شرفكم ومجدكم فاعقلوا ما فعل الله لكم !

فإن تقاعستم وتراخيتم فاحذروا عقاباً لم ينج منه الجاحدون قبلكم ، ولذلك جاء هذا التهديد ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾[2] .

وقد تردد العرب أول الأمر فى قبول الإسلام ولكنهم خلال عشرين سنة أقبلوا عليه وحملوا رسالته ، وخلال عشرين سنة أخرى كانوا به الأمة الأولى فى العالم ، فقد هزموا الروم والفرس فى معارك متقاربة الأزمنة متباعدة الأمكنة ! وحققوا بهذا النصر معجزة عسكرية وسياسية لم تعهد قط فى تاريخ الأمم ! والفضل الأول والأخير للإسلام وحده . .

على أن النسيان سرعان ما يعترى البشر ويخدعهم عن ماضيهم الهابط كما قيل :

كأن الفتى لم يَعْرَ يوما إذا اكتسى

ولم يكن صعلوكا إذا ما تموّلا . . . !

فجاء من الأخلاف الذاهلين من نسى فضل الإسلام ، وشرع يذكر آباءه وأجداده ! وما آباؤه وأجداده ليس الأعاريب عند الله من أحد !

(١) سورة الأنبياء : ١٠ . (٢) سورة الأنبياء : ١١ .

إنما نحو بالإسلام وحده ، حياتنا حياته ومجدنا مجده ! وكان المفروض أن يقود العرب العالم الإسلامى بالرسالة التى اصطفاهم الله لها ووضع بين أيديهم علمها .

يقول الأستاذ **أحمد بهاء الدين** : « لكن العرب لم يقوموا بأعباء هذه القيادة ، بل قدموا للعالم الإسلامى المشاكل فوق ما لدى كل قطر من مشاكل ، قدموا خلافاتهم وحروبهم الدموية ، وتخبطهم فى البحث عن هُوِيَّة لهم فى هذا العصر » !

نعم ، العرب المعاصرون ـ بعد تأخير الإسلام ـ لاهوية لهم ، وأغلبهم رفع شعار العلمانية ، أو قبل الإسلام عنوانا ليس له موضوع ، أو شريعة بلا أحكام ، يقول **بهاء الدين** : « . . رحم الله رئيس غينيا الراحل أحمد سيكوتورى – الذى تكلم عدة ساعات فى القمة الإسلامية السابقة ـ فى الرباط ـ يلقن الدول العربية دروسا فى السياسة والأخلاق وإيثار المصلحة العليا والنهى عن الأضراب !

قال لى عربى كبير حضر ذلك المؤتمر : كان الرؤساء العرب جالسين وقد نكسوا رؤوسهم لايجد أحدهم ما يردُّ به على هذا الدرس القاسى البليغ ! » .

أقول : كلما ابتعد العرب عن الإسلام هووا من شاهق ، وأطبقت على آفاقهم ظلمات جاهلية جديدة ، وغيوم تمطرهم مطر السوء ، فهل من عودة إلى الله .

* * *

الطوائف الإسلامية المأكولة فى أنحاء العالم

لن أسأم الحديث عن جماهير المسلمين الذين يعيشون «أقليات» فى شرق العالم وغربه وهم ألوف مؤلفة .

إن سبعين مليونا من المسلمين يعيشون فى روسيا وحدها ، بدأت مأساتهم قبل سقوط الخلافة الإسلامية وتضاعفت بعدها ! وهذا العدد يساوى عدد السكان فى عشر دول عربية بينها مصر !

ومع أن الرفيق «جورباتشوف»[1] بشرَّ بتكسير القيود وعودة الحريات فإن العداوة التقليدية للأديان عامة وللإسلام خاصة لم تخفّ حدتها ، بل إن المسلمين شرقى الإتحاد السوفييتى وجنوبه ووسطه زادت آلامهم وفصل بعضهم من الحزب الحاكم . وبقيت الدعاية ضد الإيمان ناشطة واسعة .

ومن العجائب أن «أرمينية»[2] المسيحية ضيقة الصدر شديدة الغضب لأن بعض الأرمن يعيشون داخل أذربيجان الإسلامية ، وأذربيجان دخلها الإسلام من أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، قبل أن تعرف روسيا المسيحية ، وكلا الإقليمين محكوم بالفلسفة المادية التى تقول لا إله ! ! فعلام الهياج والصياح ؟ !

ومآسى المسلمين فى شرق أوروبا معروفة ولا يرثى لها أحد !

قال لى سائح قادم من هناك : لو رأيت المسجد فى «بوخارست» لشعرت بالخزى ! طَلَلٌ مُتداع يكاد البوم ينعب فوقه بدل كلمات الأذان التى خفتت وانسحبت من الحياة سنينً طويلة . .

---

(١) رئيس روسيا وقتئذ . (٢) من الجمهوريات المتعصبة للمسيحية الكارهة للإسلام ولها تاريخ كبير فى العداء للمسلمين وكم خرجت قوافل العداء الصليبية لقتال المسلمين ، كما كان له دور بارز فى معاونة غزو المغول للعالم الإسلامى . . .

أما فى بلغاريا فالحرب لاتهدأ لمحو كل آثار تدل على أن الإسلام كان هنا . .

حملات الاضطهاد ، وتغيير الأسماء الإسلامية ، وتغليق المساجد والمعاهد ، وتقتيل المتشبثين بعقائدهم ، وإشعار بقايا الأمة الإسلامية فى هذا العصر أنهم أحيط بهم ، وليس لهم من ناصر يهتم بهم أو يأسى لمصابهم !!

وقرأت أن الدكتور نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى قدم تقريرًا لوزراء الخارجية المسلمين عن مذابح المسلمين فى بلغاريا ! فهل وقع شىء ؟ !

الذى أعلمه أن المؤتمر الإسلامى أصمّ أذنيه عن نداء مسلمى الفلبين ولم يقدم لهم التأييد السياسى الذى يحتاجون إليه ، وكان يجب أن يكون لمسلمى الفلبين مراقب يمثلهم فى هذا المؤتمر ، ويدعم قضيتهم التى تتدحرج من سىء إلى أسوأ . .

إن عددا من القساوسة المتعصبين ، والعملاء الصهيونيين يطاردون المجاهدين والدعاة ، ويرسمون للسيدة «أكينو» سياسة استئصال وقهر للمسلمين المكافحين من عشرات السنين كى يظفروا لأنفسهم ودينهم بحق الحياة . .

إننا نسأل العرب : هل سيعيشون لأنفسهم وجنسهم أم يوفون لدينهم ورسالتهم ؟ إنهم إذا تجاهلوا أحزان العالم الإسلامى الكبير فلن يطول الانتظار حتى تنتقل الأحزان نفسها إلى دورهم وأهليهم .

* * *

النفوس الكبار

ما أجمل العمل المصحوب بالسرور والرضا ، إن المرء يقوم به وهو مستريح له ، يطوى مراحله بأجنحة الشوق ويغالب صعابه بعزم من حديد . .

أما العمل الكريه فإن الإنسان يباشره ضائق الصدر يستصعب سهله ، ويود الخلاص منه !

طالب المعرفة يقرأ بشغف ويشارك قلبه وبصره فى الوعى والإفادة ! أما المكره على الدراسة فهو يرمق الكتاب وكأنه عدو مبين . . !

وما يتم عمل عظيم إلا إذا كان مقرونا بالرغبة الصادقة والإقبال العارم ، عندئذ تنتظر مواقف البطولة وترى مغالبة بين الإرادة الشديدة والغاية البعيدة ، يتحقق فيها قول أبى الطيب :

وإذا كانت النفوس كبارا

تعبت فى مرادها الأجسام !

والمربون العظام هم الذين يجعلون وراء كل تكليف عاطفة صادقة ووراء كل واجب باعثاً حياً . .

إن الله عذر فى الهجرة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، ماذا يصنعون ؟ لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . . فليبقوا إذن فى أوطانهم . . بيد أن قوة اليقين قد تخيل لصاحبها أنه يفعل مالايطيق وأنه قادر على الهجرة مع ضعفه وعجزه ، ومن هنا يرسم خطته وكأنه سليم معافى ، ويأبى التسليم بما فى بدنه من علة !!

قال ابن عباس : سمع رجل من بنى ليث أن الله عذر المستضعفين وأسقط عنهم الهجرة ! وكان الرجل شيخا مُسنا مريضا ، فقال : والله ما أنا ممن استثنى الله ! و إنى لأجد حيلة ، ولى من المال ما يبلغنى المدينة ، وأبعدَ منها ، والله لا أبيت الليلة بمكة ، أخرجونى ! فخرجوا يحملونه على سرير حتى أتوا به «التنعيم» ـ على مرحلة

من مكة ـ فغلبه المرض وحضره الموت !

إن الحماسة الشديدة لم تغلب العلة الكامنة ، وشعر الرجل المؤمن بأنه يموت دون أن يتحقق أمله ، ودون أن يرضى ربه وينصر رسوله وينضم إلى إخوانه المهاجرين ، فماذا يصنع ؟

ضرب بيمينه على شماله كهيئة المبايع ثم ناجى ربه قائلا : اللهم هذه لك ، وهذه لرسولك ، أبايعك على ما بايع رسولك ، ثم مات . .

هذا جهد الرجل وهذا قدره ، وقد نفّس عن إيمانه الكامن بحركة يمناه على يسراه ، وهو على فراش الموت ! وبلغ خبره رسول الله ﷺ ، ونزلت الآية الكريمة ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾[1] .

ماذا كان سيحدث له لو بقى حياً وتمت هجرته ؟ كان سيتشهد فى مقاتلة اليهودية المستكبرة التى لم تبذل أى جهد فى محاربة الوثنية ، أو تهذيب الجاهلية وبذلت الجهد كله فى مقاومة الإسلام ومحاربة عقيدة التوحيد !!

أو كان سيقتل فى محاربة الإستعمار الرومانى الذى أهان الإنسانية وشوّه حقائق الإيمان ، وبعثر وحشيته فى كل مكان !!

إن صاحب الرسالة الخاتمة عليه الصلاة والسلام نجح فى صنع الرجولات الرائعة والبطولات الشامخة لأنه نجح كما لم ينجح أحد فى صياغة الأفئدة الزاكية والبصائر الهادية ، فكانت طلائع الحضارة الجديدة التى أخرجت الناس من الظلمات إلى النور ، وربطت العالم بالله الصمد .

* * *

(١) سورة النساء : ١٠٠ .

الساكت عن الحق..

فى أثناء متابعتى للمؤتمر الشيوعى المنعقد أخيراً فى موسكو سمعت نقداً شديداً لغزو أفغانستان ، وتنديدا بالطريقة التى تم بها والمطالبه بألا يتكرر مثل هذا الخطأ فى المستقبل ، واتهاما لأصحاب القرار بالعناد وقصر النظر . . !

كان الناقد رئيس تحرير إحدى الصحف الأسبوعية ، وقد استطاع الكلام فى عهد الرئيس الروسى الجديد الذى رفع الكمامات عن الأفواه وأباح تصويب الأخطاء .

وودت لو كان بعض الصحافيين العرب يسمع معى ! فإن هذا البعض هاجم المجاهدين ، ووصفهم بالرجعية(!) ونظر إلى الحكومة الخائنة فى «كابول» على أنها حكومة تقدمية تحارب الإقطاع وتنشر الاشتراكية وتُنْصف الشعب من مستغليه ! !

إن الشيوعيين العرب يتمتعون بقدر كبير من الغباء والغرور ، وجراءتهم على الإسلام شديدة لأنهم لايعرفونه ولايريدون أن يعرفوه . .

قد يكون العالم العربى مبتلى ببعض الأنظمة السيئة . . ! لكن الذين يطلبون الإصلاح من الشيوعية كالمستجير من الرمضاء بالنار !

وخير لهم أن يتعلموا قبل أن يتهجَّموا ، وأن يدرسوا ما يقع من تجارب وتطبيقات قبل أن يصوغوا قصائد الثناء على أنظمة شرع أصحابها يتخلصون من قيودها . .

يقول صديقنا الشيخ **عبد القادر العمارى** عن الشيوعيين العرب : إنهم ملكيون أكثر من الملك وإنهم تجهموا لما سمعوا النقد اللاذع الذى وجهته صحيفة «برافدا» للطريقة التى كان يدار بها الحزب الشيوعى خلال السبعين سنة التى انقضت ! .

ولا أدرى ماذا كان تعليقهم على قصة عشرين فتاة انتحرن بسبب ما يتعرض له النساء أحيانا من استغلال رؤساء الحزب وأصحاب النفوذ فيه !

ولا أريد الوقوف عند هذه الفضائح ! بل أريد أمرا أهم ! ! إن العالم العاقل يتجه إلى

المزيد من حرية النقد ، والأخذ والرد ، والبحث النزيه عن الحقائق والحلول العادلة لشتى المشكلات ، فهل العالم الإسلامى يسلك هذه الوجهة ؟ أو بتعبير الإسلام العتيق هل العالم الإسلامى يمضى فى طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر و إقامة العدالة الفردية والاجتماعية والوعى الدقيق بقوله ﷺ «كيف تقدّس أمة لايؤخذ من شديدهم لضعيفهم » ؟

إن أخطاء الآخرين كثرت أو قلت لاتغنى عنا شيئا ! إذ واجبنا أن نقدِّم الإسلام أسلوبا مشرفاً للحياة ومنهاجاً مضيئاً يغرى بالدراسة والإقتداء . .

وقد يشرف الآخرين أن ينقدوا أنفسهم ، وأن يعترفوا بأخطائهم ! ولن يشرفنا نحن أن نسكت على تقصير يقع بين ظهرانينا لأن الدنيا مليئة بالأخطاء والخطائين .

* * *

كذب باسم الشعوب ! هل نلحظه ؟

قصة الفتن التى تفتك بالإيمان وأهله تحتاج إلى دراسة وتأمل ، فقد كان الجبابرة قديما يقولون للمستضعفين : إنا عليكم غالبون وفوقكم قاهرون ! أما اليوم فإن مالك السلطة المستبد يقول للمغلوب على أمره : أنا لك ممثل . وباسمك ناطق ، ولمصلحتك أعمل ! فإذا رفضت فإنى سأخمد أنفاسك !!

جرى هذا الخاطر فى نفسى وأنا أقرأ إحدى خطب «جورباتشوف» الزعيم الأول لأكبر دولة شيوعية ، إنه رجل صريح يبصر علل قومه ويحاول علاجها على طريقته !

قال : هنالك الآن فى الإتحاد السوفييتى أربعة عشر مواطنا من كل خمسة عشر ولدوا بعد الثورة ـ بعد سنة ١٩١٧م ـ مازالوا يدعوننا إلى التخلِّى عن الاشتراكية (!) ثم يطرح سؤالا : لماذا ينبغى للناس الذين ولدوا فى كنف الاشتراكيه ونما فيها عودهم أن يتنكروا لنظامهم ؟ !

ولم يجب الزعيم الشيوعى عن سؤاله الذى طرحه ، وإنما بذل وعودا جادة للإصلاح وتخفيف المعاناة وإشاعة الرضا . .

إننى فكرت بعمق فى النسبة الكبيرة لرافضى الشيوعية ، أربعة عشر مواطنا من كل خمسة عشر ! أى أن المؤمنين بالشيوعية نحو ٧٪ من سكان روسيا ! وقد فرض هؤلاء الأقلون أنفسهم على الأكثرين المسحوقين ، فى ظل نظام باطش لايتيح للمعارضين حركة ! .

والذى يثير العجب أن المتحدث باسم الشيوعية الحاكمة يقول : باسم الشعب نعمل ! لمصلحة الشعب نحكم ! الولاء للشعب ! الويل لأعداء الشعوب ! .

أين هذا الشعب الذى تتحدثون باسمه إذا كنتم ٧٪ من تعداده ؟ ! !

وللشيوعية جانبان : أحدهما اقتصادى لا أتحدث عنه ، والآخر اعتقادى أساسه إنكار الدين كله ، وشعاره لا إله والحياة مادة . .

وإنكار الدين قدر مشترك بين الشيوعية والرأسمالية والعلمانية وبعض الفلسفات الأخرى . .

فهل هذا الإنكار ينهض على حرية متاحة ، وقدرة متساوية على الأخذ والرد ومقارعة الحجة بالحجة ، ولجوء المهزوم إلى الانسحاب أو السكوت إذا بارت بضاعته ؟ كلاّ ، إن الإلحاد المدحور فى ساحة الرأى يتحول إلى مارد جبار ، شديد الخبث طافح الشر يقول لأهل الإيمان : أنتم أعداء العقل وحرية الفكر وتقدم الحضارة وارتقاء العالم ، أنتم وأنتم !! .

أريد من أهل الحق أن يدرسوا خصومهم بذكاء ، وأن يتابعوا الأطوار التى تتقلب فيها الفتن ، وهى تنفث دخانها ليعتكر الجوّ ، ويظلم الأفق ، ويتحيَّر الناس ، إن الملاحدة أصحاب دعاوى عريضة ، وهم يصلون إلى أغراضهم فى غفلة أهل الحق واسترسالهم .

* * *

أهل الكتاب المتدينون والعرب المنحلون..

لم يتعمد المذيع أن يجمع بين الخبرين ، ولكن لما سمعت أحدهما عقب الآخر شعرت بما بينهما من شبه ، كان الخبر الأول إطلاق شرطة جنوب إفريقية النار على جمهور من الزنوج وقتل أربعة ، وكان الخبر الثانى إطلاق شرطة إسرائيل النار على جمهور من العرب وقتل ثلاثة . .

المستعمرون البيض فى جنوب أفريقية والمستعمرون اليهود فى فلسطين المحتلة يقومون بعمل واحد ، إلا أن مسلسل القتل فى الأرض العربية لم ينقطع منذ الإنتفاضة الأخيرة حتى أمسى قتل العرب كل يوم كالأنباء الجوية المعتادة . . ! !

ولا أدرى لماذا احتفل العرب والمسلمون بعيد الأضحى الأخير ؟ ! ولماذا لم يقتصر استقبال العيد على الشعائر الدينية وحدها ؟

إذا كان الرجل الأبيض فى جنوب القارة السوداء يريد جعل المواطنين خدما له ، وينظر إليهم بازدراء ومقت ، فإن اليهودى الوافد على أرض فلسطين يريد محو كل شىء فى ثراها وإنشاء وطن له وحده ، وإذا قبل بعض العرب أن يعيش رقيقاً إلى حين ، فلا حرج على أن يتم طرده فور الاستغناء عنه !

هناك تغير هائل يقوم على المحو والإثبات ، ويتناول التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والماضى والحاضر ، وكل مظهر من مظاهر الوجود البشرى . .

محو لما هو عربى فى جوهره أو مظهر وإثبات لما هو عبرانى بحيث تتغير الأرض غير الأرض والسكان غير السكان . .

حتى العناوين المألوفة ، فخليج السويس اسمه خليج سليمان ، والعقبة اسمه خليج إيلات ، والمسجد الأقصى اسمه الهيكل ، وهناك جسر بنات يعقوب ،

واستخرجت الأسماء العتيقة من التوراة والتلمود لتوضع هنا وهناك ، حتى النقد الإسرائيلى حمل إسمه الأول !!

وظاهر أن العقيدة الدينية من وراء هذين الجهدين الهائلين من محو وإثبات تناولا الماضى والحاضر إعداداً لمستقبل لا عروبة فيه ولا إسلام !

وبين الساسة الأوروبيين والأمريكيين من يعتبر «شيخ طريقة» فى ملّته ! أى أن تدينه صارخ اللون والوجهة ، وهو ينظر إلى ما تفعله إسرائيل على أنه حق نابَتْ هى عنه فى فعله ، ولو قصرّت لأدى هو الواجب المفروض عليه ، وتقرب إلى ربه بمحو الإسلام والعروبة !

أما العرب فالدين لديهم لغو على الألسنة ، ونوع من الذكريات ! وكان اكتفاؤهم بالعلمانية العربية من وراء حرب الحزازات التى التهمت المخيمات وساكنيها وشتت القوى التى يمكن أن تتجمع يوماً لاستنقاذ الأرض والعرض !

إن العرب يهلكون أنفسهم عندما يزهدون فى دينهم ، ويرفضون الانتماء إليه ، إنهم يفقدون دنياهم وأخراهم معا .

* * *

الإسلام ليس دعوى !

« رب ساع لقاعد» مثل يضرب للرجل يكدح فى هذه الحياة ، ولكن ثمرة كدحه تصل إلى غيره ممن لم يبذل جهدا ، ولم يحسّ تعبا . .

تذكرت هذا المثل فى قضية أخرى مشابهة ، فمن نصف قرن كنت كثير الكتابة فى آلام الطبقات الكادحة[1] ، والمظالم التى تقع على رؤوس العمال والفلاحين ! ولم أكن مغالياً فقد رأيت من يزرعون القطن ويكادون يمشون عراة !

ومن ينحنون على آلاتهم سحابة النهار ولايجدون إلاَّ الكفاف على ما قدموا من عناء . .

وتغيرت الدنيا ، وشرعت قوانين جديدة ، وضمنت للكادحين أرزاقا أرغد ، بيد أن الذين تعبوا قديما ماتوا محرومين ، وظفر بالأجور السخية قوم آخرون !

قوم عملهم قليل وطمعهم كثير !

قوم لايعرفون أن عليهم واجبات بل يعرفون أن لهم حقوقا .

قوم يحسنون : هات ! ولا يحسنون خذ !

هذا الصنف من الناس ينتشر على امتداد الحقول والمصانع وأنواع الحرف والوظائف ليس لهم إنتاج يذكر وليس لمطالبهم حدود ! وما أرتاب فى أن هذا النوع من الأخلاق وراء تأخر الأمة وعجزها العام ومستقبلها الغائم . .

وينضم إلى هذا العوج النفسى عوج آخر ! فالمحفوظ من تعاليم الإسلام أنه لا آخرة لمن فقد زكاة نفسه كما قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[2] .

(١) كتب الشيخ الغزالى فى ذلك الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، والإسلام والمناهج الاشتراكية ، والإسلام المفترى عليه . . (٢) سورة الشمس ٩ : ١٠ .

ولا أريد أن أحلم مع الحالمين فأتصور الزكاة المنشودة مزيدا من الصفاء والإيثار والتسامى وذكر الله عز وجل ، ومع أن هذا كله أساس الزكاة المطلوبة للقلب والخلق . .

إننى أريد المبادىء الأولية لبناء الإنسان المحترم مثل صدق الكلمة ، ونظافة البدن والوسط ! !

عندما يضرب لك العامل موعدا لإنجاز أمر ما ، ثم تجيئه فينظر إليك ببلاهة أو بصفاقة ويبدأ يختلق الأعذار ! أو عندما تنظر إلى محله وأدواته فترى الفوضى والمهملات تحفّ به ! بماذا تصف هذاالمرء ؟

هل فكر يوما فى ترقية نفسه وفكره ؟

هل رفع مستواه بتزكية يلقى بها ربَّه ؟

هل الإسلام بهذه الأدوات البشرية المعطوبة يشقّ طريقه إلى الأمام أم إلى الخلف ؟

لقد رأيت عمالاً وثنيين مقبلين على الواجبات الملقاة عليهم باقتدار وابتسام ، يفرح بهم أصحاب الأعمال ، ويؤثرونهم على غيرهم ! فهل يحسب العمال المسلمون أنهم بالإهمال والاسترخاء يحفظون إيمانهم ؟ ويشرفون دينهم ؟

إنهم يكذبون والكذب طريق العار والنار . . !

***

فلسفة الصليبية فى حرب الابادة..

ينبغى أن نعرف ما يقوله خصومنا عنا ، وماهى وجهات نظرهم التى يتحركون بها ضدنا !

هناك سفهاء ينطلقون بغرائز الوحوش ولايعنيهم إلا تحقيق مآربهم ، فلنعرف طباع هؤلاء !

وهناك من يردّد أعذارا لما يفعل ، أو يذكر شبهات يحسبها براهين ! ليكن ، يجب أن نتبينّ ما يقول خصومنا على أية حال . .

* * *

نشرت «لوموند» فى ١٩٥٩/١٢/٢٤ تقريراً لضابط فرنسى فى تسويغ حرب الإبادة التى أعلنت على الجزائر ، وتأييد الأساليب المفزعة فى قمع الثائرين جاءت به هذه العبارات : « إن كل حرب من هذا النوع تستلزم التعذيب ، فلولا التعذيب ما ثبتت فرنسا فى وجه الغزاة سنة ١٧٩٣م ، ولولا التعذيب ما انتصر «ستالين » ـ وثبّت الشيوعية ـ وفى الصراع بين الحضارات الذى فرضته علينا الثورة الجزائرية لانستطيع ترقية سكان الجزائر بدون الضغط والإكراه فهؤلاء الناس قوم بدائيون متعلقون بنبيهم محمد تعلقاً قوياً ، ويبغضون الفرنسيين ويحتقرونهم بدوافع من دينهم ! وليس فى الإمكان أن نُدْخِل أساليب الحياة العصرية إلى بلدان الشمال الإفريقى المتشبثة بدينها بدون الديانة المسيحية ، فهى وحدها الكفيلة بنشر الحرية والارتقاء بين أولئك السكان » ! .

* * *

قرأت هذه العبارات ، وكنت قد طالعت فى صحف اليوم أن شابا قتل امرأة عجوزا واستولى على حليها كى يتزوج به من شابة يهواها !

إن الشاب الحيوان لايعرف إلا هواه ، لو قلت له : أتحب أن صاحبك يقتل أمك ويستولى على ثروتها لينفقها على عشيقته لخرج بالصمت عن لا ونعم ! ﴿ وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[1] !

والمستعمرون القدامى والجدد لايعرفون إلا أهواءهم ، وقد سخروا تفوقهم فى السلاح كى يبلغوا مآربهم ، وعلاقاتهم بموسى وعيسى مقطوعة ، وما يذكرون الدين إلا تزويرا .

أما المسلمون فإن محبتهم لمحمد لاتنكر ، و اعتصامهم بدينه ظهير لهم فى حرب تصون حقوقهم وتضمن بقاءهم ، وقد أشار إلى ذلك مؤلفوا كتاب «الجزائر الثائرة» حيث قالوا « إن الحرب القائمة بالجزائر ليست حرباً دينية أو جنسية أو حضارية ! إنها حرب شعب مظلوم يريد أن يتحرر من ربقة شعب ظالم ، إلا أن الإسلام عنصر فعال فى دفع الجزائريين إلى طلب هذا التحرر ، ولقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للإحتلال الفرنسى أن الهدف هو القضاء على الإسلام ، ومن أجل ذلك أدركوا أن الاعتصام بالإسلام مقرون بإرادة التحرر ، والواقع أن الاحتلال حمل منذ البداية صفة الغزو الصليبى » .

واليوم يكرر التاريخ نفسه فى فلسطين ، فالمراد محو عقيدة وتراث وتاريخ ولغة ، محو شخصية كاملة لشعب مستباح الأرض والعرض ! واستبعاد الإسلام من المعركة ، أعنى استبعاد الإسلام وحده ، وبقاء إسرائيل تختال بدينها ، هو فى الحقيقة هزيمة عاجلة قبل الهزيمة الماحقة التى يُمَهِّد لها العلمانيون ، ويتحدث عنها دبلوماسيون خونة .

* * *

(١) سورة القصص : ٧٨ .

هذه الإنتفاضة المجيدة، لايجوز أن تترك

الشهور تمضى ثقيلة طويلة على الإنتفاضة الفلسطينية ، والخسائر البشرية والمالية تزيد ، والحرب لاتؤذن بنهاية ، ولايزال اليهود يهدمون البيوت ، وينفون الزعماء ، ويدقون بكعوب البنادق عظام الفتيان الذين يأسرونهم ! .

والضمير العالمى يغط فى غيبوبته غير مبال بما يقع ، لا ، بل إن كبرى دول العالم - أعنى الولايات المتحدة - تؤيد سياسة إسرائيل ، ويقول نائب رئيسها : إنه يرشح نفسه للرئاسة وعندما يظفر بها سيمضى فى برنامج حرب الكواكب حتى يقى أمريكا غزو الصواريخ العابرة للقارات ، وحتى يضمن حماية إسرائيل !! .

حماية إسرائيل ممن ؟! الفتيان الذين يقاتلون بإلقاء الحجارة ؟! من الجيران الذين لايصنعون صاروخا يحمل كيداً لعدو ؟! .

إنه تصريح غريب ، ولكن الرجل يترجم بأمانة عن مشاعره ضد العرب « قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ »[1] ولايزال التدين المنحرف الحاقد يعمل عمله ضد أمتنا الساذجة ! .

إننى أوازن بين وضعين متباعدين : الفتية الذين يملكون العقيدة ولا يملكون السلاح ومع ذلك يصابرون ويرابطون ويقاومون ويمدّون أجل انتفاضتهم ما بقى فى صدورهم نفس! والجيوش التى قاتلت فى حرب الأيام الستة أو الساعات الست ، والتى كانت تملك السلاح ولاتملك الإيمان ، والتى أهدت إسرائيل أخزى نصر عرفه التاريخ ، وألحقت بالعرب أسوأ هزيمة فى ماضيهم الطويل !

إن العقيدة كانت ولاتزال صانعة المعجزات ، والذين يوهنون الإيمان فى صفوفنا ، ويحاربون الدين فى أخلاقنا ومناهجنا ناس ليسوا منا ، بل هم فرقة من جيش العدو

متنكر داخل بلادنا ، وتعمل لمصلحة خصوم مَكَرة مَهَرة ، بل هم أجدى على إسرائيل من حرب الكواكب التى يعد بها «جورج شولتز» الطامع فى رياسة أمريكا ! .

إن المجاهدين الأفغان الذين صنعهم الإسلام وحده أثاروا الدهشة بالنتائج الباهرة التى حققوها ، قال المراقبون العسكريون : إنهم أسقطوا ستين طائرة سمتية بصواريخ «ستينجر» التى يحملونها على أكتافهم ! وأن براعتهم فى إلحاق الدمار بخصومهم هى التى جعلت الروس يقبلون فكرة الانسحاب ووقف إطلاق النار .

وأجمع خبراء حلف الأطلسى أن أولئك المجاهدين أصبحوا يتمتعون بخبرات قتالية فى الجبال لا تتوفر لقوات الحلف . . ! .

ذاك أثر الإيمان الحق ، والانطلاق باسم الله لإعلاء كلمة الله ! وذاك ما يكمن الآن فى أفئدة شباب الإنتفاضة الفلسطينية الأخيرة ، الإنتفاضة التى داست العلمانية بنعالها ، وردت الحياة إلى قضية فلسطين . .

* * *

تحذير إلى قادة الجهاد الأفغانى

يظهر أن بعض القادة فى الجهاد الأفغانى لايقدرون أمل المسلمين فيهم ولامستقبل الإسلام على أيديهم ! وإلافكيف أفسر الأوامر المتناقضة التى تصدر عنهم ؟ ! !

هذا قائد يقول للمجاهدين : لاتتعقبوا الجنود الروس المنسحبين ، ودعوهم يتركوا أرضنا ، وهذا قائد آخر يقول : اشتبكوا معهم وألحقوا ما استطعتم من خسائر بهم !

أليس لكم أيها القادة مجلس حرب تدرسون فيه خططكم ، وتصفّون فيه خلافاتكم ، وتنزل فيه القلة على رأى الكثرة كما يصنع الناس فى كل مكان ؟ ! !

هل من مصلحة المعركة أن تدار بهذا الشجار ؟ ! هل يشرف المسلمين أن يكتشف القريب والبعيد ما بينكم من فجوات ؟ ! أما كفاكم أنكم مازلتم جبهات شتى وكان يجب أن تكونوا رجلاً واحداً ؟ !

الحق أن نصر الله الذى تنزل على المجاهدين إنما جاء من الشهداء المجهولين والمكافحين الخاملين الذين خرجوا عراة من كل أعراض الدنيا وجاهها ، وقاتلوا لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة أعدائه السفلى !

وصدق رسول الله : « هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم ؟ . . » ولو نظر الله إلى شعور القادة بذاتهم واستدامتهم لخلافاتهم ، ما ساق لهم نصراً ، ولا أنزل عليهم خيراً . .

إننى أذكّر قادة الجهاد الأفغانى بقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[1] .

(١) سورة الأنفال : ٤٦ .

لِنَنْسى أشخاصنا فى الأيام العصيبة التى تمر بها أمتنا . .

لكننا لم نَنْسَ - بعد - أشخاصنا ، ومازلنا ندور حولها ! وأصارح إخوانى بأنى استقبلت قرار الأردن بمغادرة الضفة الغربية بفتور أو بانكسار ، فإن الطابع الإسلامى للمعركة هو الذى يعنينى ، لأنه وحده طريق النصر ! إن اليهود يقاتلون فى كل مكان بعقيدتهم الدينية ، والقوى التى تحالفهم وتشد أزرهم تفعل ذلك ببواعث دينية ! .

أما نحن فعن عمد نغفل دور الإسلام فى إعداد المقاتلين وتصبيرهم على التضحية وتعليقهم بوجه الله ، ونحسب الفدائية لونا من الجراءة التى كانت تحرك عنتر بن شداد ! .

وأريد أن أصارح العدو الصديق بما عندى : إذا خيِّرت بين جمهورية علمانية أو مملكة إسلامية فسيكون هواى مع الإسلام وحده ، ويعلم الناس أنى ما كنت يوما فى حاشية أحد الملوك . .

إننى لا أنتظر خيراً أبداً من قيادة «جورج حبش » ، أو أمثاله من اليساريين ! ولا أنتظر بركات الله فى رفع شعار العلمانية وتنكيس راية الإسلام ! .

إننى أحذر العرب من الغرق إذا آثروا الانتماء العلمانى ، وزهدوا فى الإسلام عنوانا وموضوعا !

إن اللجج المقبلة ظلمات بعضها فوق بعض ، ومن لم يجعل الله نوراً فماله من نور .

اذكروا ربكم وانسوا أشخاصكم تفلحوا . .

* * *

لاتظلمونا.. ياأهل الكتاب

لى أصدقاء من أهل الكتاب فى نفوسهم طيبة ، وفى عقولهم ذكاء ، ولهم منطق رأيت أن أستمع إليه وأجيب عليه . .

قال لى أحدهم : ما نهاية العداء القائم بين العرب واليهود ؟ فعرفت ما يقصد ! وقلت له : ياصديقى إن أولى الإنصاف من المؤرخين يقررون أنه لولا ظهور الإسلام لبادت اليهودية واليهود جميعا فى وقدة التعصب القديم ضدهم ، وعدّهم مسئولين عن دم المسيح كما تقرر ذلك الأناجيل التى بين أيدى أصحابها .

لقد عاش اليهود فى أرجاء العالم الإسلامى موفورين ، ما اضطهد أحدهم فى اليمن أو فى مصر أو فى المغرب . . ولو أنهم كانوا ضعف عددهم الحالى ـ وهم نحو خمسة عشر مليونا ـ ما فكر المسلمون فى اضطهادهم ولا نظروا لاختلاف الدين نظرة حيف أو بغضاء . .

إن المسلمين يعلمون أن نبيهم الخاتم مات ودرعه مرهونة عند تاجر يهودى مصون الدم والعرض والمال ، قادر كل القدرة على ألا يسلف النبى إلا برهن ، ما شعر بقلق ولاحرج . . إن التظالم لاختلاف الدين لاتعرفه أخلاقنا ولاتقاليدنا ولاشرائعنا . .

لكن عندما يزحف اليهود على فلسطين ، ونيّتهم المعلنة إعادة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى ، وتشريد وإذلال العرب فى البلد المحروب ، وانتهاز الهزيمة الإسلامية للقضاء على تراث محمد كله . . فماذا تنتظر من العرب والمسلمين ؟ الموت دون هذا بيقين ! .

وشىء آخر لابد من مواجهته ! إن الإنجليز لما ملكوا فلسطين قاتلوا العرب تمكينا لليهود ، أعطشوا أرضهم ، وأذلوا جانبهم ، وقرروا إذا وجدوا رصاصة فى بيت يدافع بها عن نفسه ، أن يدمّروا البيت ليسكن أهله فى العراء ! وذلك كله يقع فى ظل الكلمة التى قالها مارشالهم «اللنبى» بعد الاستيلاء على فلسطين : اليوم انتهت الحروب الصليبية . . ! .

وتفككت الإمبراطورية البريطانية ، وخلفها فى قيادة العالم الأمريكان ، فاستأنفوا المساندة الصليبية لبنى إسرائيل ، وأمدوهم بسيل من المال والسلاح لاتغيض منابعه ، ووقفوا محامين عنهم فى مجلس الأمن ، فإذا قرر أعضاء المجلس التنديد بإسرائيل لما تقترفه من آثام سارع المندوب الأمريكى بإبطال القرار ، وإعطاء إسرائيل الحق فى المزيد من الطغيان . .

ظاهر أن الإسلام يلقى عنتاً موصولا ، وأن أهله يلقون من إخوانهم أهل الكتاب ، إن صحّ التعبير ، الإمتهان والغدر .

ياصديقى ضع نفسك مكانى ثم أجب أنت عن السؤال الذى وجهته إلىّ ، إننا نحنٍّ إلى سلام يملأ العالم ، فهل أنتم تعينونا على صنعه ؟ .

* * *

من هذر الكتاب المرتدين

تابعت الإنتفاضة الكبيرة لإخواننا فى فلسطين المحتلة ، ورأيت البنين والبنات يقذفون بالحجارة جيش إسرائيل المزود بأحدث الأسلحة وأفتكها ، لم تخنهم شجاعتهم ولم يتسلل إلى قلوبهم خوف أو جزع ! ورأيت الأمهات العربيات يخرجن من المخيمات المحاصرة لجلب الطعام إلى أطفالهن ، ورأيت هذا الطعام يداس تحت نعال الجنود ، واستمعت إلى التعليمات الجريئة المتجبرة التى كان يصدرها القادة اليهود ، وأحزننى أن البغاث بأرضنا يستنسر ، وأن الأحرار يضامون ، وأن ساسة العالم الأول ينظرون إلى المعركة الدائرة إما باستخفاف ، أو بكلمات ميتة ، أو باستنكار سلبىّ خافت .

ولكن الذى أثار غضبى واشمئزازى ما كتبه هنا بعض الصحافيين العرب ! فقد لاحظوا أن الإسلام محرّك هذه الإنتفاضة ومشعل حماسها ، وأن صيحات التكبير كانت تملأ الجو وتمدّ بالطاقة . . فقلت لمن حولى : ما هؤلاء الناس ؟

قال : ظاهر من تعليقاتهم أنهم لا يريدون إضفاء الطابع الإسلامىّ على الثورة المتجدّدة ، ولا يريدون العودة إلى عصر الحروب الدينية ! .

قلت : ومن يريد هذه العودة ؟ إن الحروب الدينية لاتخطر لنا ببال ! إن غيرنا هو الذى فعلها ! إن بنى إسرائيل الذين تحركوا باسم التوراة ، وزعموا أن الأرض المقدسة ميراث لهم ، وأن العرب مغتصبون يجب إخراجهم منها ، وأنهم الأحق بهذه الأرض لا أصحابها من عشرات القرون ، بل مهاجرون مُستخرجون استخراجا من روسيا وبولندا ، وشتى أقطار الأرض ليحلوا محل العرب الذين يُطردون من مدنهم وقراهم ويسكنون فى مخيمات للاجئين لا حاضر لهم ولامستقبل . .

فإذا أقبلت عقيدة ما لاغتصاب الأرض وطرد السكان جاز لها أن تعلن عن نفسها ، وأن تتخذ الدين عنوانا لها .

أما إذا استظهر السكان بعقيدتهم وهم يدافعون عن حقوقهم فإن ذلك مثار النقد والغرابة ؟ ! !

قال صاحبى : ذلك لأن الإسلام هو الدين المدافع ، والإسلام اسم ينبغى أن يختفى من ميادين كثيرة ، وألا تتحرك تحت لوائه جماهير أو طوائف !

ماذا أقول عن هؤلاء الصحافيين الناقمين على الإسلام ؟ ! إنهم لم يرتدّوا عنه لأنهم لم يسبق لهم أن دخلوا فيه ! إنهم نوع من الناس لم يُصنع عقله فى مصر أو غيرها من بلاد العرب ، إنهم صناعة الاستعمار الثقافى الأنكى من الاستعمار العسكرى . . فلنحذر على أنفسنا .

* * *

شعب مختار !!

العبقرية لاتورث ، وأغلب القادة والمفكرين الكبار ولدوا من آباء عاديين ، فلما أعقبوا أولادا من بعدهم كان أغلب هؤلاء من سواد الناس ذكاء وقدرة . .

وقد اتفقت كلمة علماء التربية على أن الحق وليد تفاعل معقد بين الوراثة والبيئة ، ونحن لا سلطان لنا على روافد الوراثة ولا على عناصر البيئة ، يكاد الأمر كله يكون غيبا !

ومع ذلك فإن الاعتداد بالآباء والاعتماد على الأصول مسلك شائع بين كثير من الناس !

وإذا كان هذا الإعتداد أو ذلك الاعتماد منكورا فى عمل الأفراد فهو فى أحوال الأمم والجماعات أشد نكرا ! وعندما ندرس التاريخ الإنسانى نجد الحضارات الكبيرة تنقلت من جنس إلى جنس ، ومن قطر إلى قطر ، وأن شعوبا ارتفعت حتى بلغت القمم ، وهبطت حتى بلغت السفوح ، فكانت كأسراب الطير التى قال فيها الشاعر :

ما طار طير وارتفع　　　إلا كما طار وقع

ومن ثم فإن الزعم بأن هناك شعبا مختارا خلقه الله للسيادة ! وجعل الآخرين له فى مكان الخدم ! فرية افتراها ذهن مريض ! .

وقد طالعت من مدة مقالا فى مجلة « لوفيجارو » الفرنسية عنوانه : أما تزال هناك مسألة يهودية ؟ ماذا يعنى أن تكون يهوديا عام ١٩٨٧ ؟ جاءت فيه هذه العبارات لكاتب يهودى : « **ليس هناك شعب أكثر عبقرية من الشعب اليهودىّ ، لايوجد هذا الشعب المزعوم ، فاليهود هم الذين أوجدوا وأمدّوا أكبر الإيحاءات فى هذا الكون ! وقد تركوا بصماتهم على التاريخ العالمى ! وفى كل حقبة يوجد بينهم من استحق الخلود ! إنهم شعب عبقرى وعبقريته ترجع إلى ظروفه السيئة ، إنه ـ كما يقول الكاتب ـ عبقرى لأنه مريض ، متفوق لأنه مهان ، مبدع لأنه شاذ** » !

وهذا الكلام يشبه هذيان المحموم ، فاليهود مثل غيرهم من الشعوب سادوا وأسفُّوا ، غلبوا وانهزموا ، وتاريخ ضيعتهم أطول كثيرا من تاريخ عزهم !

وقد أتعبوا أنبياءهم ، وآخر من تحمَّل أذاهم بجلد عيسى بن مريم عليه السلام ، وقد أعتبر من أولى العزم لصبره الطويل فى كسر غرورهم .

وقديما هرب اليهود من التعصب الدينى أيام الرومان وأنشئوا مستعمرات لهم فى الجزيرة العربية ، وأحسن العرب جوارهم سنين عددا فلما ظهر النبىّ الخاتم من العرب وكانوا يتوقعونه منهم ، كانوا أول كافر به وأشد الناس إيذاء له . .

واليوم يكرر التاريخ نفسه ، فقد شنَّ عليهم الأوروبيون حرب إبادة من العصور الوسطى إلى العصر الحديث ، فاتجهوا إلى فلسطين ينتقمون من العرب(!) ويقتصّون منهم آثاما لم يرتكبوها ! وحققوا المثل الشائع بين العوام : لم يستطع ضرب الحمار فضرب البردعة ! .

ولكن العرب يستحقون لأنهم أمسوا بين الناس برادع ! ولن يَنْجوا من عصا الأذلاء حتى يثوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى دينهم .

* * *

أزمة الدعاة.. طاحنة

لعل الصلاحية الذاتية للإسلام هى التى تستبقى وجوده وتوسع دائرته جيلا بعد جيل !

أما أجهزة الدعاية التى تفتح عقولا جديدة ، وتزيد أعداد المؤمنين فليس لها أثر يذكر لاسيما فى هذا العصر الذى شهد فى بلاد الإسلام سلطات لاتظهر الانتماء إليه ، ولاتكترث بالولاء له ! .

والحكومات المرتبطة ارتباطا وثيقا بإحدى الجبهتين الكبيرتين فى العالم تؤثر العلمانية أو القومية أو أى عنوان يؤخر الدين ويوهى الروابط به !

ومن ثم فإن أجهزة الدعوة الصحيحة تنبت بين الشعوب وتستمد قدرتها من روح الجماهير وتتعرض بين الحين والحين لمفاجآت كئيبة . .

ومع ذلك فإن هناك سلطات رسمية بادية الاهتمام بالدعوة والدعاة ، تضع خططا لا بأس بها كى تستطيع الرسالة الإسلامية المضىّ فى طريقها ومغالبة العوائق التى تبعثر فى وجهها .

وأرى أن تكوين الدعاة هو حجر الأساس فى كل جهاز ناجح ! إن الله اختار رسله من أنفس المعادن البشرية ، وزوّدهم بعناصر عقلية وروحية غلابة ، ومن ثم فليس يصلح لخلافتهم فى نشر الدعوة أصحاب الآفاق الضيقة والمواهب الرخيصة ! أما المتملقون والمرتزقون فيجب أن يكنسوا كنسا من هذا الميدان ، فليسوا يصلحون له أبدا .

ونحن المسلمين نتبع كتاباً هو قمة البلاغة العربية ولايملك فهم هذا الكتاب إلا أديب ذواقة حىّ العاطفة ذكى الفكر ، ولذلك ينبغى الابتعاد ـ فى علوم الدين كلها ـ عن ذوى المشاعر الخامدة والأذهان الخاملة فهم لايصلحون للفقه فكيف يصلحون لتفقيه غيرهم ؟ ! ! .

والبصر بالسنة الشريفة لايقدر عليه محروم من معرفة العظمة المحمدية ، مبهور بجلالها ، مربوط بخلالها ، مشغول بحسن الأسوة ودقة الاقتداء !

أما المتكلمون فى السنن وقلوبهم هواء فمن مصلحة الإسلام أن يصمتوا فهم وبال عليه !

سمعت خطيبا تكلم كثيرا وأطنب ، فقلت فى نفسى : هذه خطبة أخذت من ليل الشتاء ثلاث صفات الطول ، والظلمة والبرودة ! .

وسمع الحسن البصرى رجلا ألقى خطبة بليغة فلم يرق قلبه لها فقال للخطيب : إن بقلبى شيئا أو بقلبك ! .

والإسلام فى هذه الأيام مبتلى بفوضى هائلة فى أجهزة الدعوة ، وكثير من المتكلمين والمُفْتِين والمدرسين مصاب بضحالة الثقافة وسقام الفطرة ، وطلب الدنيا وتهيُّب الظالمين ، ذلك إلى عدد كبير من أصحاب الجهل المركّب الذين يدعون إلى وجهات نظرهم أو تقاليد بيتهم وهم يحسبون أنهم يدعون إلى الإسلام . .

حتى لقد خيّل إلىّ أن أجهزة الدعوة يديرها أحيانا بعض أعداء الإسلام ، وقد يكون الجاهل عدو نفسه إن لم يكن أداة لغيره من الأعداء .

* * *

الصحافيون الخونة لقضايانا الكبرى

رجوت ومازلت أرجو أن تهتم وسائل الإعلام العربى بشئون المسلمين حيث كانوا ، وبقضايا الإسلام المعقدة فى كثير من الأقطار ، فإن هناك قصورا أو تقصير فى هذا الميدان .

قرأ علىّ صديق يهتم بمطالعة الصحف الأجنبية عنوانا لفت نظرى فى إحدى المجلات الفرنسية «الـ .كى .جى .بى» ضد محمد ! أى الإتحاد السوفييتى يخاصم الإسلام ! قلت للصديق لا جديد فى هذا ، فعداوة الشيوعية للإسلام معروفة ، وهى نابعة من عداوتها للدين كله !

ومع ذلك فأحب استجلاء الخبر ! قال : خلال الأشهر الأخيرة ضاعفت السلطات فى آسيا الوسطى نشاطها فى مراقبة المتدينين ، وتعقُّب حركاتهم لاسيما عندما تجددت ذكرى وفاة البطل المجاهد «قربان مراد هشام» وحجَّتْ الجماهير إلى قبره تدعو له وتحيِّى كفاحه .

وقربان مراد هشام واحد من أشجع القادة الذين قاوموا غزو القياصرة القدامى للبلاد الإسلامية فى وسط آسيا ، إن القرن الماضى شهد حربا صليبية مروّعة شنّها القياصرة الروس على تركستان ، وقد استمات المسلمون فى صدِّ الجيوش الزاحفة ، وأذهلت بسالتهم المهاجمين ، لم يتخلَّوْا عن شبر من الأرض إلا بعد ما تركوا فيه أثرا من دمائهم !

لكنهم عجزوا عن الصمود ، وتركهم العالم الإسلامى للقياصرة المتعصبين ، فاحتلت أرضهم وطوى تاريخهم ! وورثهم الشيوعيون بعد ثورتهم من سبعين سنة ، والمسلمون الآن ربع سكان الإتحاد السوفييتى ، والأرض الإسلامية المنهوبة نصف مساحته الرحبة ! .

هل استسلم المؤمنون المهزومون لما وقع ؟ تقول جريدة «سوفيت أزبكستان» فى الأيام الماضية تم حل جماعة إسلامية ناشطة ، واعتقل زعيمها وهو عامل فى «طشقند» وحكم عليه بالسجن سبع سنوات فى معسكر عمل خاضع لأنظمة صارمة !

كانت هذه الجماعة تبيع نشرات دينية وشرائط مسجلا عليها القرآن الكريم ، وتربط المسلمين باللغة العربية . .

كما تم فى الفترة نفسها - كما تقول الصحيفة - إغلاق مدرسة غير قانونية كانت تقوم بتحفيظ القرآن الكريم فى ضواحى «طشقند» ، وتقول الـ«كى .جى .بى» إن مدير المدرسة مجهول ! .

هذه المعلومات كلها نشرتها صحيفة فرنسية ، أما صحفنا العربية فتفضل على نشرها صورة لعارضة أزياء ، أو خبر عن قاتل نساء ، أو آخر المحاولات لعلاج مرض الإيدز أو نشاطا دمويا لإحدى المنظمات الإنفصالية .

أما رجالنا الرابضون فى مواقف الحراسة ، المدافعون عن معالم الإسلام فى الفلبين ، وأفغانستان ، وأعماق روسيا ، وأواسط إفريقيا فأمرهم دون ذلك ! إننا نذكر هؤلاء بالحديث « **من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم** »[1] .

* * *

(١) رواه أحمد وغيره .

المذابح الطائفية بالهند ما تزال تفتك بنا

بين الحين والحين يتعرض المستضعفون من المسلمين لما يشبه حرب الإبادة ! فيقتل العشرات والمئات من الأولاد والشيوخ ، وتوارى جثثهم فى ضجة أو فى خفوت ، ولا يشعر القتلة بإثم أو عار ! بل قد يشعرون براحة النفس عندما ينفّسون بجرائمهم عن تعصب دينى مسعور ، أو تفوق جنسى محقور ! .

ومستبيحو الدم على هذا النحو يقترفون آثامهم وهم واثقون من أنه لا قصاص ! لأن التفكك الذى عرا المسلمين فى أرجاء الأرض جعل بعضهم لا يشعر بآلام البعض الآخر ، بل ربما جهل وجوده ، ونسى أخباره . .

وقد قرأت ما أذاعته لجنة العفو الدولية عما أصاب المسلمين فى ولاية « أوتار برادش » الهندية ، « فإن رجال الشرطة ! هناك ذبحوا أعدادا كبيرة من المسلمين ، ومن بين الضحايا أطفال فى سن الثالثة . .

وذكر تقرير اللجنة أن القوات الإقليمية للولاية ألقت بعدد كبير من الجثث فى الأنهار والقنوات . . كما تخلصت بالحرق من عدد آخر . . . !

وأضاف التقرير أنه تم العثور على أكثر من ٨٠ جثة منها ٢٩ مقتولة ، والأخرى ذكر أنها مفقودة . .

ونقل التقرير عن طالب نجا من المذبحة بعد سقوطه فى النهر مصابا برصاصة : أن الجنود أطلقوا دفعات من النار على الأسر الهاربة عند الشاطىء ، وأنه شاهد الأجسام وهى تسقط فى االماء . .

كما ذكر التقرير أن قرى إسلامية هوجمت . . . ، وأبيدت عائلات بأكملها . . ، وأن النار أشعلت فى المساكن ، وأمكن التعرف على ثلاثين جثة بينها عشرة أطفال . . » .

ذلك ما ذكرته واستنكرته لجنة العفو الدولية ، وطلبت من الحكومة الهندية معاقبة المسئولين عن هذه المآسى ! .

ونحن نعرف أن الضمير الوثنى لا يستيقظ أبدا ، وأن سلسلة الآلام لن تنقطع مادام المسلمون فى الأوطان الأم على الحال التى نحسُّها .

هناك جماعات تبحث عن الطعام وعن سلع غائبة بعضها من الضرورات وبعضها من المرفهات ! .

وهناك ثرثارون مشغولون برأى الدين فى الغناء والموسيقى ، والميل الحاد إلى مذهب التحريم ، والحملة العميقة على مذهب الإباحة !! .

وهناك من لا يبكى على القتلى لأنهم يتبعون المذهب الحنفى !! .

وهناك من لا يدرى مواقع المسلمين على ظهر الأرض ، ولا يشعر باهتمام لإخوان العقيدة هنا وهناك ، ولكنه يهتم أشد الاهتمام بإحفاء شاربه !! .

وأمة هذه حالها لابد أن تسقط من عين الله ، وأن تتجمع الذئاب على جيفتها ، وقانون الله الخالد هو : « إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ »[1] .

* * *

(١) سورة الرعد : ١١ .

أدعياء الدعوة وخطرهم على ديننا

فى أحد الأقطار التى زرتها سمعت شكوى عامة من قلة قطع الغيار للسيارات المعطوبة ، مما أغلى الأسعار وضاعف المشقات ! فقلت : ترى ماذا يحدث لو أغلق الباب كل الإغلاق أمام هذه القطع المطلوبة ؟ فكان الجواب الصمت ! قلت : سنركب بدل السيارات الخيل والبغال والحمير ! !

وسمعت شكاة أخرى عن غلاء الأدوية وندرتها ، قلت : ما السبب ؟ وكان الجواب لاتوجد عملة صعبة نشترى بها الأدوية من صانعيها !

وسألت : ماذا يحدث لو دامت تلك الحال ؟ وكان الجواب : تستفحل العلل ويتعرض المرضى للهلاك !

قلت : أو نعود لاستعمال الأعشاب وعقاقير العطارين ! وربما عدنا إلى تعليق التعاويذ والتمائم ! !

ياقوم إن تسعة أعشار العمل الصالح مجهولة لديكم ، والعمل الصالح ضميمة لابد منها إلى الإيمان ، ولا نجاة لكم فى الدنيا والآخرة إلا بإتقان الصالحات التى لا تعرفون منها غير النزر اليسير ! .

دائرة العمل الصالح تشتمل كل الصناعات المدنية والعسكرية ، وكل الأنشطة الصحية والإدارية ، وكل الجهود الزراعية والتجارية ، والراسخون فى هذه الميادين ربما كانوا أجدى على الإسلام من ثرثارين فى فضول العلوم التى نسميها دينية !

إن هؤلاء الثرثارين شغلوا الناس بقضايا هى من قبيل **«علم لاينفع وجهل لايضر»** وأذكر أنى كنت أقول لطلابى فى إحدى المحاضرات : إن مصدر الاعتقاد عندنا هو الخبر المتواتر ، فى كتاب الله وسنة رسوله ! وفوجئت بكاتب يرد علىّ فى إحدى الصحف يقول : إن هناك عقائد كثيرة من أخبار الآحاد مثل نبوة آدم ، ونزول الحجر الأسود من السماء ، والعشرة المبشرين بالجنة والإمام المهدى المنتظر . . الخ . .

وجاءنى طالب يسأل : ماذا أقول ؟ فأجبت غفر الله للبخارى إمام المحدثين ، إنه

ما كان يدرى هذه العقائد ! ما روى حديثا عن المهدى ، ولا عن نزول الحجر ولا عن العشرة الكرام ، ولا عن رسالة آدم ! !

أكان الإمام الكبير كافرا عندما جهل هذه الأمور أو عندما تجاوزها فى صحيحه ؟ يابنىّ هذه قضايا يتناولها العلماء بالقبول والردّ حسب المقاييس العلمية ولاتتعلق بكفر ولا إيمان ، وإنما تتعلق بالخطأ والصواب ، وخير لكم أن تعلموا المسلمين ما هم فى أمس الحاجة إليه ، لاسيما فى هذا العصر العضوض !

وقابلنى الكاتب يريد استغضابى ، وكان عابس الوجه ! فقلت ضاحكا : قال رجل لأبى حنيفة : لا أدرى نصف العلم ! فقال له أبو حنيفة : قلها مرتين تحرز العلم كله ! وقال له الحلاق : لو نزعنا الشعرة البيضاء حلّت محلها شعرتان ! فقال له : انزع الشعر الأسود كله فلعله يعود مضاعفا !!

كان علماؤنا الأولون يجمعون بين الفقه والظرف ! أما أنتم فتجمعون بين القصور والتجهم ، ما أشقى الإسلام بكم . .

* * *

خطورة المسكرات على العالم

لاحظت أن هناك اتفاقا بين العالم الشيوعى والعالم الرأسمالى على كراهية الخمر ومحاولة فطام الناس عن شربها ! وفى شكاة من المسئولين الروس أن الخسائر فادحة من مدير يصدر أوامره وهو مخمور ، وأن الخسائر فادحة كذلك من عامل يعالج آلته وهو فى غيبوبة .

والحديث موصول عن أخطار الطرق التى تنشأ من تهور السائقين السكارى ، وآلاف الضحايا كل يوم ، بل كل ساعة من جنون أولئك السائقين . .

وقد رفع الروس أخيرا سعر زجاجة الخمر نحو ستة أضعاف ، وقرروا إغلاق الحانات من السابعة مساء ! ! .

وما يقع فى روسيا صورة مشابهة لما يقع فى أوروبا وأمريكا من مآس خلقية واجتماعية واقتصادية بسبب الإقبال على الخمور ، وتهالكٌ الجماهير على شربها . .

والقوم يزنون الأضرار المحتومة بما يعترى الإنتاج من نقص ، وما يصيب الأجسام من علل ، وقلما يذكرون ما يصيب الكرامات من هوان وما يصيب الأرواح والعقول من دنس . .

وكنت أناقش قادما من روسيا عن الاضطرابات الجنسية هناك فقال لى : الشذوذ نادر ! ومن أراد الزواج فلن يتكلف أكثر من الذهاب إلى المسجِّل الحكومى ليذكر بمن تزوّج ؟

قلت : هل معنى ذلك أنه لا زنى ؟ قال : لا ! فإن هذه الفاحشة تنتشر مع انتشار الخمر وغلبة السكر وتحرك الغرائز وغيبة العقول ! .

واستطرد : إن الجماهير تحترم من المسلمين صدوفهم عن الخمر ورفضهم للخنا ! ويوم يرون مسلما يسكر فإنهم يزدرونه ويسقطون عيونهم .

وعواصم العالم الغربى تجعل من الخمر مهادا لانطلاق شهوانى ردىء ، والخمر وراء مذابح الأعراض رضا أو اغتصابا .

وهى الجسر الذى تعبر عليه المخدرات لتأتى على ما بقى من حضارة الغرب ، ولتنشىء أجيالا محقورة تفقد العلم والإيمان . .

ونتساءل : لماذا لايحرم الناس الخمر بالأسلوب الحاسم الشامل الذى وضعه الإسلام ؟ .

والجواب المحزن : لأنهم لايريدون أن يُنسب إلى الإسلام صواب ، ولايحبون القول بأنه سبق إلى خير ! .

وقد زعم قسٌ غيور أن النصرانية تحرم الخمر ، ودعا قومه إلى تركها ! .

وليته كان صادقا وكيف يصدق ، ففى الإنجيل لديهم أن عيسى شرب خمرا فى العشاء الربانى ! وكذلك شرب أنبياء العهد القديم الخمر حتى فقدوا الوعى واقترفوا المناكر . . ! !

إنه لا علاج إلا فى الإسلام فهل نعى قيمة الحظر الصارم الذى فرضه الإسلام على الخمور كلها ، ونحترم هذا الحكم ؟ .

* * *

مع سفير ألمانى أسلم !!

عندما علمت أن سفير ألمانيا فى الجزائر أعلن إسلامه من أمد قريب أحسست قدرا من السرور ، ودعوت الله له أن يزيده هدى وثباتا .

كان إسمه «ووليفريد هوفمان» فاستبقى الاسم القديم وضم إليه اسما إسلاميا هو «مراد» .

ومراد فى مصطلحات الصوفية أعلى من مريد ! لأن المراد من اختارته العناية العليا ، وسبقت إليه بالحسنى .

وقد ألف الأخ الكريم عدة كتب شرح فيها إيمانه الجديد ، منها : « يوميات جرمانى أسلم » و«مدخل فلسفى إلى الإسلام » ورأيت بعض الترجمات الإنجليزية لما كتب .

الحق أن الفكر سرح بى وأنا أتأمل فى هذه القصة .

إن الشاعر الألمانى «جيته» أبدى إعجابا عميقا بتعاليم الإسلام . وقال عندما شُرِحَ له : إن كان هذا هو الإسلام فكلنا مسلمون .

ثم إن هناك أمرا جديرا بالتسجيل ! قال لى الدكتور حمدى زقزوق عميد كلية أصول الدين بالقاهرة : إن لديه صورة من الإجازة العلمية التى حصل عليها الفيلسوف الألمانى «كانت» فقلت له : وما قيمة هذه الصورة ؟ !

قال : فى صدرها من أعلى كتبت الآية . . «بسم الله الرحمن الرحيم » !

وشعرت بالأسى والفخر معا ! وقلت : كتبت البسملة يوم كان العلم يمشى فى ركابنا وينطلق من كتابنا ، وتزخر به صحائفنا ! فأين نحن الآن ؟

وأعود إلى السفير الذى دخل فى الإسلام ، إن الرجل قهر عوائق كبيرة ، أولها المواريث التى آلت إليه ، وارتبط بها حينا من الدهر ، وكثير من الناس يشعر بالريبة فيما ورث ، ويساوره قلق وضيق ، ومع ذلك يبقى فى مكانته لايحب التحوُّل عنها .

وهناك أمر أخطر من هذه المواريث المريبة ، هو غربة الحق أو غموضه ! .

والإسلام تكتنفه ثقافات مغشوشة تشينه ولاتزينه ، وتكتنف أمته تقاليد اجتماعية وإدارية تدفع إلى الهرب منه . .

ومع ذلك كله فإن بعض الرجال يقتحم هذه العوائق كلها ، ولايستريح حتى يعرف الله الواحد ، ويسلم إليه وجهه ، ويقضى بقية عمره عابدا داعيا إلى الله على بصيرة !

إن هذا السفير المهتدى جدير بالشرف الذى ساقه له القدر .

وهو يقينا أرجح عند الله من القائد اليهودى « موشى ديان » الذى ألف كتابه «الحياة مع التوراة» وأهداه إلى مستر « كارتر » وغيره من رؤساء العالم ، ولكن لماذا أذكر «ديان» هنا ؟

لأن بعض الصحف التى تصدر فى العواصم العربية تكره الدين كله ، ثم تصب جام غضبها على الإسلام وحده وتحاول النيل من رجاله ومن مستقبله .

ولو أن قائدا عربياً كتب «الحياة مع القرآن» لنبحه جَرْوٌ تائهٌ هنا أو هناك ، ولطالب بإقصائه عن قيادته لأنه رجعى ؟ ! !

إن مصابنا كبير بيد أن أملنا أكبر . . ونحن بإذن الله قادرون على تطهير بلادنا من سماسرة الاستعمار ومروِّجى أفكاره بيننا .

* * *

فضل الإسلام علينا..

الإسلام وليّ نعمة العرب باسمه عُرفوا فى الدنيا وبتراثه بقوا أصحاب رسالة ! واقترن اسم العروبة والإسلام حتى لكأنهما عنوانان لمفهوم واحد ، حتى قال«غوستاف لوبون » : لم يعرف العالم فاتحا أرحم من العرب ، مع أن الفاتحين المسلمين من أجناس شتى ، ومع أن صناع الحضارة الإسلامية من أعراق مختلفة ! .

ولو لم يظهر محمد فى جزيرة العرب ، ويتدفق خيره فى المشارق والمغارب خلال القرون المقبلة ما كان للعرب من ذكر ، وبم يذكرون إذا لم يكن لديهم كتاب ولا سُنة؟

ربما عاشوا فى أرضهم كشعب «بورما» فى آسيا ، أو كشعب «ناميبيا » فى إفريقية . . !!

وأشرف ما يذكره العرب تزكية لأنفسهم أن الإسلام ضاعف فضائلهم ، وكبت أهواءهم وغرائزهم ، وبذلك أمكنهم من صعود هم له أهل ! فلسنا حريصين على الزراية بأحد ! . .

المهم أن العرب بالإسلام كانوا ، وبغيره هانوا ، وأن كبواتهم التاريخية الكبرى جاءت من تفريطهم فى تعاليم الإسلام وتراجعهم إلى سيرتهم الجاهلية الأولى . .

وقع ذلك عندما فسدوا فى الأندلس وأترفوا واتخذوا دينهم لعبا ولهوا ، فأذن الله بطردهم شر طردة !

لقد جاءوا هنا باسم الإسلام فما بقاؤهم إذا تخلّوْا عنه وأداروا ظهورهم له ؟ .

لقد تنكرت لهم الأرض ، وركبت أقفيتهم الفرنجة فلم يبقوا لهم وسْما ولا رسْما . .

ومن قبل ذلك سقطت الخلافة العربية فى بغداد ، ومات الخليفة الضائع ركلا بأقدام المغيرين ! وجلس المؤرخ العربى[1] يسطر الأحداث التى أظلمت بها الآفاق وزهقت خلالها الأرواح ، وأحرقت المكتبات ومغانى المعرفة الإنسانية الزاهرة . . كان يقول : ليت أمى لم تلدنى لأرى هذه الأحداث الهائلة . . !

---

(١) ابن الأثير .

وأصلحت الأمة الإسلامية شأنها بعد ذلك ، واستأنفت رسالتها الجليلة بقيادة العثمانيين ، وكان على العرب أن يصطلحوا مع ربهم ، ويثوبوا إلى رشدهم ، ويحملوا رسالة الإسلام الثقافية إن فاتتهم قيادته السياسية ، ولكن العرب اتَّأدوا أو استكانوا ثم تركوا الميدان خاليا !! .

وليته بقى خاليا منهم فإن لله جنودا لايتخلَّوْن عن واجبهم أبدا . .

الداهية الكبرى أن بعض العرب شرع يرسل صيحات الارتداد عن الإسلام ، ويرفع راية العلمانية ، ويتنكر لمواريث الوحى الأعلى ، ويجحد العبادات والمعاملات جميعا ، ويرفض العقيدة والشريعة ، ويقول وهو تائه العقل : إن محمدا زعيم عربى الجنس والرسالة ، وفى هذا النطاق نعمل .

قلت : بل فى هذا القبر تموتون ! .

إن محمدا لأقطار العالم أجمع ، ورسالتهُ عصارة الحق من أزل الدنيا لأبدها ، ومبلغ علمى أنكم لاتمتُّون إلى عروبة ولا إسلام ، إنكم عنصر غريب علينا ضرب عقله وراء حدودنا .

* * *

الجانب العاطفى من الإسلام..

الإحسان قمة العبادة لأنه حالة نفسية وعقلية تجمع بين مشاهدة الله ومراقبته وسط شئون الحياة المختلفة من سقم وسلامة وسفر و إقامة وقلق وطمأنينة ويأس ورجاء وجدال وقتال . . الخ

والمرء ـ وهو خال ـ قد يستجمع مشاعره ويملك أعصابه ، أما فى زحام الناس وفى معركة الخبز فالأمر صعب ، وهو يحتاج إلى علم يصفه الخبراء بالوحى الإلهى والنفس الإنسانية .

سميت هذا العلم الجانب العاطفى من الإسلام ، وسماه آخرون علم القلوب والأخلاق ، وأطلق عليه البعض علم الإحسان ، وشاع بين الناس باسم التصوف ، وأنكر هذه التسمية أئمة محافظون ، وعندى أنه لا مشاحة فى الاصطلاح ، والمهم هو الموضوع لا العنوان .

نعم فالموضوع كبير جليل ، إذ هو أحكام العلاقة مع الله وبسط سيطرة الدين على الباطن والظاهر أو على القلب والجوارح ، فمن الناس من يبالغ فى الوضوء والغسل ، ولكنه لايطهر نفسه من الأثرة والغفلة ، وعبادة الذات والدوران حول الشهوات . . وربما أتقن صورة الصلاة وفشل فى تدبر ما يقرأ وفى إشراب روحه حقيقة الخشوع . .

والعبادة الصحيحة حقا ارتباط بالله ، وإرادة للآخرة ، وتحرر من قيود الدنيا . .

وقد لاحظت أن الداخلين فى الإسلام من رجالات الغرب اجتذبهم لهذا الجانب الرقيق الجياش وربما يستمعون إلى الكلمة من حكم ابن عطاء الله السكندرى فتهزهم من الأعماق ، والسبب واضح فهم من حضارة مادية موغلة فى عالم الحس ملتصقة بتراب الأرض ، لاترنوا إلى السماء إلا فى ساعات العسرة والحرج ! .

والغريب أن بعض المسلمين يهاجمونهم ويتهمونهم بالتخريف ، وذاك لشيوع الجهل عندنا فإن قادة السلفية المحدثين أفاضوا فى هذا العلم ، ولابن تيمية فى فتاواه مجلدان كبيران عن أحوال القلوب ، ولابن القيم مؤلفات كثيرة تبع فيها أستاذه . .

ولكن جهلة عصرنا لايدركون ، أو كما قلت : لايحسنون استقبال الداخلين فى الإسلام لقصورهم العلمى .

هناك تصوف فلسفى مرفوض لأنه تراث هندى أو يونانى مشوب بالوثنية والحلول ، ونحن - وسائر المسلمين - نحارب هذا التصوف !

على أنه لايجوز أن ننسى أن جماهير من أمتنا مشت تحت راية التصوف السنى - كما يقول ابن خلدون - ونشرت الإسلام جنوبى آسيا وشرقها ، وغربى أفريقية ووسطها ، وإذا كانت هناك أخطاء علمية فمن الذى سلم من هذه الأخطاء ؟ لعل أشد الناس اتهاما لغيرهم هم أكثر الناس تورطا فى الأوهام !

والذى أمسيت مقتنعا به أن أمتنا فقيرة جدا إلى التربية الدينية الجيدة ، أكثر من افتقارها إلى عشرات الأقوال فى فقه الوضوء ، وحركات العبادة . .

إن التربية فن عسير ، يتطلب سعة المعرفة الدينية وسعة المعرفة بأحوال النفس والمجتمع وقضايا الشباب وضغوط الأوضاع الاقتصادية وغير ذلك من شئون وشجون ! .

ما أيسر الفتوى العابرة ، وما أصعب اقتياد الناس إلى الحق !! .

* * *

حاجة العالم إلى الإسلام...

الدين فكر ثاقب ، وقلب نابض بالمشاعر الحية ، إنه عقل ذكى ووجدان جياش بالعواطف الصادقة . .

الأحمق لايتماسك فى رأسه إيمان ، وقد يكون المرء متصوراً لعناصر الإيمان ولكن فؤاده متحجر لايحس إلا نفسه ولايسمع إلا نداء مآربه ، وكلا الرجلين ناقص العقيدة غائم الوجهة . .

كان سلفنا الذين بنوا حضارتنا يجمعون بين صحة العقل وسلامة الضمير ، بالأولى عرفوا الله الواحد ، وبالثانية حثوا إليه المسير ، حتى ليقبل أحدهم على الموت وهو يقول : « وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ »[1] .

وقد كثرت القراءات الدينية فى عصرنا ولكنها لم تلق الأستاذ اللبق الذى ينظمها ، ومع خطورة هذه الآفة فإن الأخطر منها فى نظرى فقدان التربية التى تصقل القلوب وتوثق رباطها بالله وتصحح النية باستمرار . . أى تجعل الجهاد فى سبيل الله لا فى سبيل آخر ، والعمل ابتغاء مرضاة الله لا ابتغاء شىء آخر . .

والعالم فى عصرنا بلغ من التقدم العلمى شأوا رفيعا بيد أنه يشعر بجفاف روحى محرق ، وهو يتطلع إلى دين يشبع عقله الذكى المكتشف ، ويروى ظمأه النفسى ، ويرده إلى ربه الذى تاه عنه وهو أحوج ما يكون إلى عطفه وحنانه .

هذا العالم يرفض تصوير العهد القديم للألوهية ! أى صلة تربطه برب إسرائيل ، رب الجنود ! الإلۀ الغضوب الغيور المنتقم المؤثر لشعبه على سائر الشعوب ؟ !

إنه يهفو إلى إلۀ سبقت رحمته غضبه ، إلۀ يفرح بتوبة عباده كلهم إليه ، إلۀ

(١) سورة طه : ٨٤ .

يتحبب إلى الناس بالنعم إن تبغضوا إليه بالمعاصى ! إله يقول لسكان الأرض ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

والعالم الآن يأبى المتناقضات فى تصوره لربه ، إنه يوم ينشرح بالإيمان صدرا فهو يؤمن بإله واحد لاشريك له ، ولاند ولاضد ولا والد ولا ولد .

ونبى يقول فى إخلاص ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ * سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2] .

وآيات القرآن الكريم تهدر بالوحدانية النقية ، وفى هديرها الممتد تطحن الإلحاد والإشراك وتغرس فى النفوس الإجلال للفرد الصمد ! .

فهل يحسن المسلمون عرض دينهم على هذه القواعد ؟

إن الإسلام هو الدين الثانى فى أوروبا وأمريكا بعد المسيحية وذلك برغم الظروف التعيسة التى يمر بها فى هذه الحقبة من تاريخه والمسلمون المعاصرون يصدون عن سبيل الله بأحوالهم المتردية ، ثم هم لايحسنون استقبال أولى الألباب من الغربيين الداخلين فى الإسلام ، ولايقدمون لهم العناصر التى شعروا بالحاجة إليها يوم كانوا محتفظين بمواريثهم القديمة .

* * *

(١) سورة الأنعام : ١٢ . (٢) الزخرف : ٨١ : ٨٢ .

بين القومية والدين..

الوثنيات الدينية والقومية تستمد قوانينها وتقاليدها من غرائز الفرد والجماعة ، أو من حاجاتها التى تحسها ، فلا صلة لها بوحى يجىء من خارجه إما لأنها لاتؤمن بالله ورسله أصلا ، أو لأن ما لديها من وحى قديم طال عليه الأمد ففقد بريقه ، وأمسى لا أثر له .

والقوميات فى العصر الحديث قد تستضيف الدين وتمنحه مكانة إسميه ! على أن هذه المكانة مهما سمت لاتجعله رب البيت ، ولاتسمح له بصدارة ، إنه تابع وحسب .

لكن اليهود مزجوا مزجا مدهشا بين عرقهم ودينهم ، فلا تكاد تميز أحدهما عن الآخر ، واليهودية الآن آصرة دم قبل أن تكون هداية سماوية ، وإذا حدث خلاف بين تعاليم الله ومطالب الجنس فالغلبة حتما للشعب المختار !!

إن الوصايا الإلهية ستحترق فى لهب التعصب الوطنى أو الشعور القومى .

تقول الأساتذة «مريم جميلة» وهى يهودية أسلمت ، فى كتابها «الإسلام فى النظرية والتطبيق » « إن الدين فى اليهودية مختلط بالقومية ، ويجد الإنسان صعوبة فى التمييز بينهما ، وأن اسم «اليهودية» مشتق من «يهودا» ـ سبط يعقوب ـ واليهودى هو فرد من سبط يهودا . وحتَى الإسم لهذا الدين لايحمل أى معنى لرسالة روحية إنسانية . فاليهودى ليس يهودياً بفضل اعتقاده بوحدانية الله ، وضرورة اتباع هديه المنزل للبشرية ، بل لمجرد أنه حدث أن ولد من أبوين يهوديين . فإن أصبح ملحدا معروفا ، فإنه لن يعدوا أن يكون يهوديا فى نظر قومه اليهود .

وهكذا ، فإن افسادا كبيرا بالقومية جعل هذا الدين يفلس روحيا فى جميع مظاهره . فالإله ليس إله كل البشرية بل إله إسرائيل . والكتب السماوية ليست وحى الله للجنس البشرى عامة ، بل هى فى الدرجة الأولى كتب التاريخ اليهودى .

وداود وسليمان ، عليهما السلام ، ليسا رسولين لله بالمعنى التام ، بل هما ملكان يهوديان ليس إلا ، والخلاص عند اليهودى لايكمن فى الآخرة كما يكمن فى استعادة فلسطين . وباستثناء «يوم كفير» - يوم كفارة اليهودى أو توبتهم - فإن الأعياد والعطل التى يحتفل بها اليهود ، كيوم حانوخاه ، وبوريم ، وبيصاح - [1] هى أيام ذات أهمية قومية أكثر منها دينية .

ونتيجة لذلك ، فإن المسيح ويحيى - عليهما السلام - كُذِّبا واحتُقرا فى قومهما بوصفهما مبتدعين منشقين . لأن الرسالة التى جاءا بها لم تتفق مع الشعور القومى السائد آنذاك . ولذلك فقد نزع الله النبوة من بنى إسرائيل وأنعم بها على أشقائهم العرب » أ . هـ

ويبعثنا على الأسى أن العرب المعاصرين أوغلوا فى التحريف أكثر من خصومهم فإن اليهود خلطوا دينهم بقوميتهم على حين رأينا القومية العربية عند الكثيرين نزعة متجردة من الدين . . ! ! ! .

* * *

(١) حانوخاه : عيد التدشين ، أو عيد الشموع .
بوريم : آلام استير أو الكرنفال .
بيصاح : عيد الخروج .

حراسة اللغة العربية دين

منذ قرن والمستشرقون ودعاة الصليبية يبذلون جهودا مضنية لإنشاء أجيال من العرب والمسلمين يخدمون قضاياهم ويتبنون وجهات نظرهم وينصرونهم فى شتى الميادين ! وظاهر أنهم ـ مع الدأب والإلحاح ـ قد بلغوا أغراضهم وكونوا عصابات قوية فى أجهزة الإعلام والتربية والإقتصاد وشئون المجتمع عامة ، وشرعت هذه العصابات تؤدى أدوارها بمكر أو فى علانية ! .

وسكت أعداء الإسلام وتكلم رجالهم ! نعم لامعنى لأن يظهر سماسرة الاستعمار والتبشير إذا كان أتباعهم سيحققون المطلوب على نحو أيسر وبأسلوب أخصر !

وشرعت الأبواق المعدة بذكاء تحقق ما يعجز السادة عن تحقيقه وتقول ما كانوا يجبنون عن قوله ! .

هذا يصيح : ما اللغة العربية وعلوم الطب والهندسة والصيدلة ؟ ! إن تعريب العلوم مستحيل ! تقول له : إن اليهود نقلوا العلوم الحديثة إلى العبرية وهى لغة ميتة استخرجت من المقابر وحررت من الأكفان منذ نصف قرن ! فهل تعجز لغة حية ، لغة الوحى الإلهى عمّا حققته العبرية ؟ !

وكذلك فعل الصينيون واليابانيون وغيرهم ! أفلا يسعنا ما وسع الآخرين ؟ ولكن الذين صنعهم الغزو الثقافى يواصلون حربهم على لغة القرآن ، تلك الحرب التى شنها المستشرقون علينا منذ قرن أو يزيد ! والفرق أننا كنا نواجه خصوم الأمس بقوة . أما خصوم اليوم فقد استمكنوا من خناقنا يريدون فرض خيانتهم علينا !

فى قضايا أخلاقية وعقائدية وفى أحكام أصلية وفرعية تقتحم خطوط الإسلام الدفاعية ببأس شديد ، ونرى الضربات الموجعة تتجه إلى النواصى والأقدام .

من يوجهها ؟ لقد سكت المستشرقون والمبشرون ، وناب عنهم أناس من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا ويتسللون خلف صفوفنا وبين ظهرانينا ، ويوقعون بلبلة شديدة فى

حياتنا الفكرية والدينية عامة ، وأعداؤنا من وراء الحدود يضحكون وهم يرون تلامذتهم يؤدون دورهم بنجاح ! .

أشعر بأن هناك ردة حقيقية لدى بعض الأقلام التى تكتب ويفسح لها المجال ، وتبعثر بذور الفتنة وتنتظر نضجها بثقة وأمان ، وتقوم بين الحين والحين بغارة على شعائرنا وهى آمنة من كل عقاب ، بل وهى تنتظر المكافأة على ما ألحقته بالإسلام وأمته من جراح ! .

والآن نرى القوميات الكافرة بالإسلام ترفع رأسها ، والنزعات المعادية لشرائع الله تهين الأحكام السماوية وتعارض عودتها بتبجح ، وأنصار الله يطاردون أشد مما يطارد باعة المخدرات !

والذين يحملون رايات الجاهلية الجديدة هم أناس ضربت عقولهم فى عواصم الاستعمار العالمى أى أنها عقول لاتحمل أفكارا ، إنما تحمل أهواء جامحة وتخدم ضغائن كالحة .

* * *

خط صليبي ثابت..

من تسعة قرون والسياسة الدينية لفرنسا تأخذ نهجا ثابتا وإن اختلفت أنظمة الحكم ! فخلال الحملات الصليبية فى العصور الوسطى أغار لويس التاسع على مصر ولقى هزيمة كبرى حبس عقبها فى سجن المنصورة ، ثم أطلق من دار ابن لقمان بعد أداء فدية غالية .

ولكن القديس لويس - هكذا يسمَّى - نجا من مصر ليعاود الغارة على تونس حيث صرعه المرض وراء أسوارها ، وفشلت الحملة . .

وبعد بضعة قرون أغار نابليون على مصر ، ثم تركها على عجل لظروف لم تكن فى الحسبان ، لكن الإمبراطور نابليون الثالث كان مشغولا بالأوضاع الدينية فى الشام . متابعا للعراك المتصل بين الدروز والموارنة .

وحدث أن الدروز أنزلوا هزيمة فادحة بالموارنة . فَنَجَدَهم الإمبراطور بجيش أنقذهم ودعم جانبهم واستطاع إرغام العثمانيين على منحهم استقلالا ذاتيا فى الجبل الذى يعيشون فيه .

وبعد الحرب العالمية الأولى انتزع الفرنسيون لواءين كبيرين من سوريا هما لواء طرابلس ولواء عكار وضموهما إلى الجبل المارونى ، وأنشأوا لبنانا كبيرا يضم مسلمين سُنِّيين وشيعة ودروزا وأرمن وروما أرثوذكس . . الخ وجعلوا السلطة الرئيسية فى هذا الكيان الجديد للموارنة الذين التحقوا بالحضارة الفرنسية لغة وأدبا وتقاليدا وقيما ، وحاولوا فرض صبغتهم على جميع الطوائف والمذاهب .

ومع أن المسلمين وهم الكثرة ارتضوا العلمانية نظاما يشمل السكان جميعا ، ويمكن تقاسم السلطة فيه على نحو عادل إلا أن فرنسا وحلفاءها أبوا إلا جعل السيادة للكنيسة المارونية وحدها . . ومن هنا اندلعت الحرب التى لاتزال تشتعل من بضعة عشر عاما .

وقد تدخلت فرنسا اليوم بزعامة فرانسوا ميتران الاشتراكى الحرّ كى تدعم الموارنة وتعيد لهم السلطة !

واجتمع مجلس الأمن للمرة الأولى فى حياته كى يبحث نزاعا داخليا ، ويصدر إليه توجيهاته !! .

ونسأل : لماذا لم يفعل مجلس الأمن فعلته هذه فى فلسطين ، حيث الخسائر أفدح ، والدماء أغزر ، والمعتقلات مشحونة بالأسرى ، والمواطنون يطردون وراء الحدود وبيوتهم تنسف أمام أعينهم ؟ ! !

إن الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات قَبِل طوعا أو كرها حكومة علمانية على نصف التراب الوطنى لقومه ، ولكن العالم الغربى يرفض إلى الآن هذا الحل الملىء بالغبن ! لماذا ؟ لأنه يريد تهويد فلسطين كما يريد تنصير لبنان .

ونسأل مرة أخرى : إذا ترأس العماد « ميشيل عون » حكومة من صناعته ماذا سيفعل بجيش لبنان الجنوبى المتعاون مع إسرائيل وكثرته من الموارنة ؟ وهل سيسمح لعرب فلسطين بالبقاء لاجئين مكافحين على أرض لبنان الذى يحكمه ؟

إننا فى محنة عقلية وخلقية ! وليس للمسلمين «بابا» يصلى من أجلهم ويستصرخ الناس لهم ! بل إن المسلمين أنفسهم حيارى لايدرون أين يساقون ؟ !

إن هيئة الأمم المختلفة تمسى هيئة الأمم المتحدة فى مواجهتهم ! ومجلس الخوف يمسى مجلس الأمن حين يوجه النداء لهم ! بماذا ؟ بالتصالح ! على أى أساس ؟ على أساس انتصار الموارنة فى لبنان ، وانتصار الصهاينة فى فلسطين ! أى على أساس هلاكنا !!

وأرى أن التبعة تقع علينا وحدنا .

* * *

دعوا الخلافات القديمة..

أحاول قدر الاستطاعة ألا يتحول الخلاف إلى عداوة ، وأعرف أن فساد ذات البين ضارٌّ بديننا ودنيانا .

وإذا رأيت نية حسنة وراء رأى معارض استثمرتها لمصلحة أمتنا واستبقاء وحدتها .

والظروف التى أحاطت بى . . وأنا أطلب العلم فى الأزهر ، أعانتنى على ذلك ، فقد ألِفْتُ اختلاف وجهات النظر ، وسماع الأدلة المتباينة ، حتى تكسرت النصال على النَصال .

وأضرب مثالين استخرجتهما من ذكريات بعيدة لسبب سوف يعرفه القارىء .

كان الشيخ يشرح حديث نزول الربِّ سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا فى ثلث الليل الأخير يغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ، ثم يقول : الحديث أنكرته المعتزلة ، لأن النزول من أمارات الحدوث وهو مستحيل على الله ، فهو لن يدع مكانا إلى مكان آخر !

وقال علماء السلف : هو نزول لانعرف كنهه يليق بذاته سبحانه وتعالى ، وقال الأشاعرة : إن العبارة مجاز عن تجلِّيه جل شأنه على عباده فى هذه الساعات المباركة . .

ومثال آخر : ورد فى السُنة أن الله خلق آدم على صورته .

قال الشيخ : أنكر المعتزلة الحديث وقالوا : إنه من أساطير العهد القديم فى سفر التكوين .

وقال علماء السلف : إن الله ليس كمثله شىء ونُفوِّض حقيقة هذه الصورة إلى الله تعالى ، مع إثباتها له .

وقال الأشاعرة : للحديث معنيان كلاهما صحيح وما عداهما باطل .

المعنى الأول أن آدم وجد على صورته الإنسانية المعرفة وليس كما يزعم علماء النشوء والإرتقاء أنه كان قرداً مثلا ثم صار إنسانا .

والمعنى الثانى أن الصورة هى الصفة ، ويستحيل على قيم السماوات والأرض ورب الملكوت الأعلى أن يشكل من طينة الأرض تمثالا على هيئته - سبحانه - ولكنه نفخ فى الجسد من روحه فأصبح الإنسان عاقلا قادرا مريدا متكلما إلى آخره . .

ولا أستطرد فى ذكر مواضع الخلاف ، فهى فى نظرى قد صارت فى ذمة التاريخ ، لماذا ؟

لقد كان المسلمون يختلفون بعد ما دانت الدنيا لهم ، وبعدما سيطرت جيوشهم على المشارق والمغارب ، كانوا يطعمون من أرضهم ، ويلبسون من نسيجهم ، ويصنعون أسلحتهم من معادنهم ، ويتداوَوْن من عقاقيرهم . . كان هذا الخلاف لونا من الترف العقلى يسود الحضارات المنتصرة المستقرة .

ثم إن خلافا كثيرا نشأ عن ترجمة فلسفة يونان وهذه الفلسفة قد سقطت عن عرشها فى العصر الحديث ، فأمسى ما انبنى عليها سلبا كان أم إيجابا لا موضوع له .

وبقى لنا نحن المسلمين ما نعض عليه بالنواجذ ، ما نتشبث به إلى آخر رمق ، ما نحيا به ونموت عليه ، وهو كتاب الله وسُنة نبينا .

وقد قامت دولة الخلافة وانسابت جيوش التحرير فى أقطار الأرض وهى لاتعرف شيئا عن هذا الخلاف كله ، فليكن بناؤنا على الدعائم التى وضعها أولئك الآباء .

إننى قرأت باستنكار كتابا من تأليف أحد علماء « نجد » يعيد فيه الحرب القديمة بين المتكلمين ، وعنوان الكتاب «عقيدة أهل الإيمان فى خلق آدم على صورة الرحمن» ! .

وودت لو عاش هؤلاء العلماء فى عصرهم ، وأحسوا مشكلات أمتهم !

إن الموضوع الذى أثاره لايتصل بكفر ولا إيمان ، وهو إن دلّ على شىء فعلى أن الغيبوبة الفكرية التى تسيطر على بعضنا تهدد مستقبلنا كله .

الأخ الكاتب لايعرف أن الأقمار الصناعية تصور الآن أسطح النجوم البعيدة ، وأعماق البحار القريبة ، فى وقت يرتدى هو ملابسه من مصانع الشرق والغرب لأننا لانصنع شيئا غير إثارة المشكلات التى ماتت ، وإمساك الهراوات لضرب مخالفينا فى الرأى .

قدرة اليهود العسكرية...!!

قبيل احتفال اليهود بمرور أربعين سنة على إنشاء دولتهم فى فلسطين ، قاموا بغارة جريئة على تونس انتهت بمقتل القائد العربى للكتائب الفلسطينية «خليل الوزير» وعدد من الحراس .

ثم ركب اليهود البحر عائدين من حيث أتوا ، مخترقين أمواجه فى زهو ، ومستمتعين بنسيمه الرطب ، كأنهم ما ارتكبوا جرما ، أو عانوا من رحلتهم نصبا !

لقد أطرقت كئيبا خزيان عندما قرأت النبأ الدامى ، فتلك هى الغارة الثانية التى يقوم بها اليهود على تونس دون اكتراث أو مبالاة أو خشية عقاب . .

وزادنى غيظا أن مندوب انجلترا فى مجلس الأمن قال : إن العالم لايعرف من القاتل ، أما مندوب الولايات المتحدة فهو يوزع بسماته بين الشماتة والسخرية ، ووظيفته معروفة هى حماية إسرائيل من قرار يدينها . . !

لم أحس أن الضعف جريمة ورذيلة ومصيبة إلا وأنا أتابع ما يتخذ ضد العرب من قرارات فى الهيئات الدولية .

هذه الدول لاتحترم إلا من له ناب وظفر ، إنها تستمع إلى كلامه بتهيب وتأدب ، أما الحق الأعزل فإن مجلس الأمن هو صانع كفنه ومهيل التراب عليه فى صفاقة نادرة لاسيما إذا كان الحق يمس العرب ، أو يرجح كفتهم ، أن وأده فريضة لازمة نافذة . .!

وسألت قومى : لماذا يخرج المعتدون من أرضكم سالمين ؟ لماذا لم تدقّ أعناقهم ثمن جراءتهم ؟ وأجابنى مستمع قريب : إن رجال الأمن لايعرفون نيات اللصوص عندما يقررون السطو على بيت واغتيال من فيه وفى طيات الختل والظلام يفعلون فعلتهم ثم يفرون !

قلت : ذاك لو لم تكن هناك حرب قائمة ، وأراض محتلة ، وانتفاضة شعب يقاوم

بجهده المحدود أحدث أسلحة العالم وأمكر شعوب الأرض . . إن حسن الظن - والحالة هذه - عجز ، وعدم الاقتصاص من القتلة مهانة .

وعدت بذاكرتى إلى أدبنا العربى القديم أردد أبياتا قالها شاعر يشكو قومه ، ويتألم لتخاذلهم وقلة أخذهم لأنفسهم :

لو كنت من مازن لم تستبح أبلى
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
لكن قومى وإن كانوا ذوى نفر
ليسوا من الشر فى شىء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن اساءة أهل السوء احسانا

لماذا ألجأ إلى الشعر فى هذا الموقف العصيب ؟ لماذا لا أذكر كلام الله وسيرة نبيه البطل ؟

إننى أفعل ذلك لأستنهض ناسا ينتمون إلى العروبة! ولو كان الإنتماء إلى الإسلام لقلت « قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ »(١) .

لكن الإسلام استبعد ولايزال مستبعدا من المعركة ، على حين بقيت اليهودية تصول وتجول .

* * *

(١) سورة التوبة : ١٤ .

عظمة محمد (١)

دكتور « مايكل هارت » عالم الفضاء الأمريكي ألف كتابا عن المائة الأوائل من عظماء العالم وعباقرته وتاركي أعمق الآثار في تاريخه ، ورأى بمقاييسه العقلية المجردة أن محمدا نبي الإسلام هو طليعة أولئك المائة ، وقمتهم الشامخة وأنه يصعب - أو قل يستحيل - أن يتقدمه أحد ! .

والأمر واضح بالنسبة إلى حملة الوحي الإلهي ، فقد مكث نوح يدعو إلى الله عشرة قرون ثم كان أتباعه آخر الأمر لا يملأون ظهر سفينة ! وأما إبراهيم فإن صحائف وحيه تلاشت في أعقاب وفاته . .

وبذل موسى جهودا عصيبة ليجعل من بني إسرائيل شعبا يعرف ربه ويتأدب معه ويسدي الخير للناس فإذا بنوا إسرائيل يجعلون الألوهية احتكارا على جنسهم ، وكأن الله خلق السموات والأرض لهم وحدهم وكأن أهل الأرض خلقوا لخدمتهم . . ومع ذلك كله فما رفعوا لله راية ولا احترموا له وحيا ولا اتخذوا عنده ذخرا ، وما بين أيديهم من تراث يؤكد هذه المزاعم !

وأما المسيح عيسى بن مريم فقد كان إنسانا واسع الرقة ، باذخ الشرف ، يرحم المستضعفين ويضيء الطريق للخاطئين ، فإذا نظرت إلى المتمسحين باسمه ، وجدت للرذيلة أسواقا مائجة .

ما أظن العالم رأى نظير لها في إشاعة الخنا و إقامة الربا ، ونسيان الآخرة وعبادة الدنيا .

والغريب أن أتباع المسيح تكاتفوا مع اليهود على نصرة قضاياهم ، و إهانة الحق والشرف من أجلهم وتمكينهم من أعناق العرب ليكسروها أو يذلوها .

وتسأل : أين بقايا الوحي التي تجعل هؤلاء وأولئك أهل الكتاب ؟ لقد استخفتْ نظريا وعمليا !

يقول الدكتور هارت : إن اختيارى محمدا ليكون الأول فى قائمة أهم رجال التاريخ ! قد يدهش القراء ! ولكنه الرجل الوحيد فى تاريخ الإنسانية كله الذى حقق أعلى نجاح على المستويين الدينى والدنيوى . . وهو الرجل الوحيد الذى أتم رسالته الدينية كاملة ، حيث تحددت كل أحكامها وآمنت بها جماهير كثيفة . .

ولقد أقام إلى جانب الدين دولة جديدة ، ووحد القبائل فى شعب ، والشعوب فى أمة ، ووضع كل أسس حياتها ورسم شئون دنياها ووضعها فى موضع الإنطلاق إلى العالم أجمع قبل أن يرحل عن هذه الحياة .

وهذا حق ، فلم يوجد فى أصحاب الرسالات المعروفة الآن من أقام دولة لدينه تبسط سلطانها على أرض فيحاء ، وتتحرك بدستورها جماعات من القوّامين الصوّامين المجاهدين ، إلاّ محمد ، تمّ ذلك فى حياته وتحت إشرافه وبين سمعه وبصره .

أما موسى فقد مات فى أرض التيه ، لم يعرف له قبر ، وزعم اليهود أنهم قتلوا عيسى ، وأعجزوه عن تبليغ رسالته !

ونحن نعلم أن اليهود كذبة ، وأن من يصدقهم أسوأ منهم . .

وإذا كان عيسى لم يتم رسالته ، فإن خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ، أنصف موسى وعيسى ونوحا وإبراهيم ، وبلغ عنهم ما ماتوا دونه ، إن المرسلين كلهم تلتقى تعاليمهم فى رسالة محمد ، لقد وصل ما انقطعوا عنه واستبقاه إلى آخر الدهر .

* * *

عظمة محمد (٢)

الباحثون عن أسرار العظمة فى شخص محمد ، من كُتّاب أوروبا وأمريكا يحدّقون بأبصارهم فى زوايا شتى من السيرة النبوية ويستخلصون نتائج جديرة بالتأمل . .

وأرى أن السرَّ فى تلك العظمة القدرة الفريدة على خلق أمة تطلع على العالم زاكية هادية تزهق الباطل وتحيى الحق وتنقل العالم من الظلمة إلى النور .

إنه لم ينقل العرب من الجاهلية إلى الحنيفية وحسب بل زودهم بطاقات روحية وفكرية يستطيعون بها تغيير الدنيا ، ومعنى هذا أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوجد أجهزة إدارية وثقافية وعسكرية ، وقيادات روحية ومدنية هزمت القوى الطاغية فى الشرق والغرب ، ووضعت يدها على مواريثهم ، ثم أنشأت من ذلك الحطام القديم حضارة أعلت الهتاف لله والعمل بهداه ! .

لقد تحول الحكم إلى مسئولية ، والحاكم إلى أجير للأمة يحاسب أمام الله وأمام الناس عن سيرته !

أكان ذلك معروفا فى شرق أو غرب ؟ كلا ، كانت الشعوب درج السلم الذى يصعد فيه طلاب العلى والمجد ، حتى غيرَّ الخلفاء الراشدون هذا المفهوم الوثنى !

وكان المنتصر يدلّ على الناس بعنصره ويزعم أنه أرفع منهم درجة ! لكن الفاتحين الجدد يحملون للناس كتابا يقول لهم ، ويقول للناس معهم : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ .. ﴾[1] لا قيمة للدعاوى الفارغة والآمال الغرور إنما القيمة للجهد والعرق ـ ﴿ .. مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً ﴾[2] ـ الجزاء مربوط بالعمل وليس لامرئ إلا ما سعى مهما كان جنسه أو نسبه .

يقول الدكتور هارت : « إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا فى أحد المراكز

(١) ، (٢) سورة النساء : ١٢٣ .

الحضارية العالمية ، أى فى بيئة يُؤْلَفُ ظهور العظماء بها ، لكن محمدا هو الوحيد الذى نشأ فى بقعة من الصحراء الجرداء تفقد جميع مقومات الحضارة والتقدم ، وقد جعل من البدو السذج الدائمى الاحتراب قوة معنوية هائلة قهرت فارس وبيزنطة المتقدمين بما لايقاس .

ونحن نجد فى تاريخ الغزو فى كل زمان ومكان أن الغزو يكون عسكريا فقط . أما فى حال الرسالة المحمدية فإن معظم البلاد التى فتحها الخلفاء استعربت ، وتغيرت دينا ولسانا وقومية من الخليج إلى الأطلس غربا و إلى السودان جنوبا ، ثم بقيت أمة واحدة إلى يوم الناس هذا . .

كذلك لايوجد فى تاريخ الرسالات نصٌّ نقل عن رجلٍ واحد وبقى بحروفه كاملا دون تحريف طوال هذه الأعصار المتتابعة سوى هذا القرآن الذى بلّغه محمد . .» أ . هـ .

نعم المصحف هو المصحف ، لم يتغير ما فى الأرض عن اللوح المحفوظ فى السماء .

المصحف هو المصحف لاتختلف نسخة عن أخرى فى أرجاء القارات الخمس ، الصوت المتردد فى المحاريب منذ خمسة عشر قرنا لايزال يرنّ صداه لم تتغير نغمة ولالفظة ، وما يعرف هذا لكتاب فى الأولين والآخرين . .

كذلك صنع القرآن العرب قديما ، فقادوا بجدارة ، فما حال العرب الآن ؟ وما مكانهم من الكتاب ؟ وما دهاهم حتى تراجعوا عن عزهم الأول ؟

* * *

عظمة محمد (٣)

قلت لرجل من المشتغلين بعلوم الدين : أتعرف سنة محمد صلى الله عليه وسلم فى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ؟ قال : ما تعنى ؟ قلت : كان العرب أمة فقيرة متخلفة ، فلما جاءهم خاتم الرسل أضحوا به أمة ذات عافية وحضارة ، يتعلم منها الآخرون بعدما كانت هى غارقة فى الجهل ، وتمرح فى بحبوحة من العيش بعد أن كانت تكتفى بالتمر والماء .

ما سرّ هذا التغيرّ ؟ إن الإناء المثلوم لايبقى به السئل وقد كان جهد صاحب الرسالة أن يصحح الكيان الإنسانى للأمة ، ثم يفرغ فيها بعدئذ حقائق الوحى ومعادن الدين الجديد ! .

نعم لقد أعاد بالإسلام تشكيل الأمة العربية ، فإذا العقل الكسول ينشط للتفكير ، وإذا لطبع الجموح يستمسك بالأدب ، وإذا البصر الكليل يرمق الآفاق ، وإذا المزدلفون أمام الأوثان يدوسونها بعد ما أشرق على بصائرهم التوحيد ، وعرفوا من هم؟ ومن يعبدون ؟

إن الإسلام جعل العرب أثقل وزنا فى كل ميدان مادى أو معنوى ! إذا كان غيرهم عاطلا فهم عاملون ، وإذا كان مخطئا فهم مصيبون ، وإذا كان مرذولا فهم الأفاضل الموقّرون ! .

كان الإكتفاء الذاتى ـ وهو خلق يعرفه الأبطال ـ صفة للعرب وهم يقاومون الاستعمار الباطش بالشعوب شرقا وغربا حتى إذا تم النصر عاد العرب يأخذون الحياة ويعطون ، ويأكلون ويتصدقون ، وتعتمد أجهزة الجهاد بينهم على إنتاج لايشينه قصور ، وفيض لايلحقه غيض !

ثم غدرنا برسالتنا وعاقبنا القدر ! الاكتفاء الذاتى لدى المجاهدين الأولين حسبه السخفاء فقرا ، فدعوا إلى الفقر واستداروا للدنيا وصفرت أيديهم من كل خير ، وهل يستطيع نصرة الحق مسكين يتضوّر ؟

إن اليد السفلى لاتستطيع أن تخدم المثل العليا والشعوب التى تقترض لتعيش أعجز من أن تحمل رسالة ! وكيف يقدم الإيمان لغيره من يجثوا أمام الغير لحاجة تدنيه وتخزيه ! .

فى تقرير أمامى أن العرب أكبر مستوردى الغذاء فى العالم .

إذ بلغ ما استوردوه من المواد الغذائية سنة ١٩٨٠م ١٤ مليارات من الدولارات ارتفعت سنة ١٩٨٥م إلى ٢٥ مليار ووصلت سنة ١٩٨٧م إلى ٣٠ مليارا .

ويأكل العرب يوميا ٧٥٠ مليون رغيف المستورد منها ٥٠٠ مليون رغيف . كما أنهم يستهلكون ٧٧٪ من كل ما يدخل السوق العالمية من الأغنام والماعز ، ٢٠٪ من الألبان ومنتجاتها .

والأرض العربية تجرى فيها أنهار النيل والدجلة والفرات وغيرها ، وتستطيع أن تزرع كل شيء وأن تأكل وتبيع وتتصدق . .

ولكن المشكلة قلة العاملين ، وكثرة العاطلين ، فأين عمل الدين بين هؤلاء الخاملين ؟ !

إن الإسلاميين مشغولون بأمور أخرى ، وهم ـ أمام شُعب الإيمان ـ لايدرون ما الرأس ؟ وما الذنب ؟ وأمام البنيان المنهدم . يريدون إقامة السقف قبل إقامة الجدران !

وهم مسترخون فى مطالب العقيدة وأصول الأخلاق وتصحيح التقاليد الشائعة وإحكام مناهج التربية على حين يكثر الصياح حول وظائف الحكومة ومسالك الحاكمين !

من يأبى الحكم بما أنزل الله ؟ لا يأباه إلا كفورا ! لكن هذا الحكم لايقيمه إلا من أسلموا وجوههم لله ، وأخلصوا قلوبهم له ، وجعلوا من حياتهم الخاصة وتربيتهم الزاكية وسيرتهم العاطرة ما يصدّق الظنون وينعش الآمال . .

* * *

الله جَلّ جَلالهُ...

سألنى : ما الفرق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود ؟ فقلت له : وحدة الشهود إحساس داخلى يطغى على مشاعر المرء كلها فيرى الله فى كل شىء ! أعنى أنه يرى الشمس تجرى لمستقر لها ويعلم أنها ليست لها أجنحة تطير بها فى الفضاء ، وليست بها أجهزة كالسيارات والطائرات تحرق الوقود ، وتنطلق بها إلى الأمام ، فمن يسيرها طوال الدهر دون كلل أو ملل ؟ إنه الله ! فهو يرى الله أكثر مما يرى القرص المتوقد فى كبد السماء . .

وكذلك يرى الإنسان القمر ، تلقى الأرض عليه ظلالها فيضيىء منه هذا الجانب حينا ، ويضىء منه ذلك الجانب حينا آخر ، وقد تنحسر عنه الظلال كلها فيظهر بدرا مكتمل الصفحة ! إن ذلك ليس نتيجة اتفاق معقود بين الأرض والقمر ، سجل أمام المحاكم أم لم يسجل ! إنها مشيئة من أراد إنارة ليل الناس بمصباح هادىء السنا ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾[1] .

وننزل من السماء إلى الأرض فنرى الذين غمرتهم وحدة الشهود ينظرون إلى الزروع التى تحمل حب الحصيد وإلى النخيل التى يزينها الطلع النضيد ، فلا يرون عمل الفلاح ولاعمل الأرض ، ماذا عمل هذا أو عمل تلك ؟ إن الذى حوّل الطين إلى أغذية وطعوم وألوان ، هو الله الرحمن . .

وتطّرد وحدة الشهود حتى تجعل المؤمن يرى الدول وهى تعلو أو تهوى ، والأفراد وهم يضحكون أو يبكون ، فيحسّ هيمنة القدر على كل شىء ، وأسماء الله الحسنى تكمن فى سنن الكون كلها وقوانينه الخفية والجلية ، فلايرى إلا الله على نحو ما قال الشاعر :

وفى كل شىء له آية　　　تدلّ على أنه الواحد

(١) سورة الفرقان : ٦١ .

وهذا الذى نقوله من قريب من قول علماء الكلام ، إن وجود الله سبحانه نابع من ذاته ! أما هذا العالم الذى نعيش فيه فليس له من ذاته وجود ، وإنما يستمد وجوده آنًا بعد آن من امداد الله له . .

ولو انقطع هذا الإمداد لحظة لهلك العالم ، إن تيار الإيجاد كتيار الكهرباء الذى يضىء مدننا وقرانا ، لو انقطع حلّ الظلام فورا . .

هذا معنى وحدة الشهود وهو معنى لا غبار عليه بل هو قمة اليقين . .

أما وحدة الوجود فهى عنوان من عناوين الكفر بالخالق الأعلى ، إذ مبناها أنه لاشىء وراء مادة هذا العالم ، فهى من تلقاء نفسها تسكن أو تتحرك ، وإذا فرضنا ألوهية كما يقول الأنبياء جميعا فإن هذا الإله حالّ فى الكون حلول الروح فى الجسد ، لا فكاك بين حالّ ومحلول به ، أو خلاف بين البيت وساكنه كلاهما قديم وهما شىء واحد . .

وهذا الكلام ينتهى يقينا بمقولة : لا إله والحياة مادة . .

وافتراض الألوهية فيه نوع من التوهم إذ لاوجود إلا للعالم المحسوس .

ونحن لانرى أغبى ولا أسفه ممن يتصور الجنين قد خلقته حوايا البطن ، أو اشترك الأبوان فى منح الحياة والذكاء له . .

إن الأرض مخلوق لا خالق ، والإنسان موجد لا موجود ، ومجعول لا جاعل ، والكفار فى نظرى نوع من الأنعام .

* * *

العسكريون والحكم...

هذه قضية يوجس الناس خيفة من الحديث فيها أو التعرض لها ، قضية استيلاء العسكريين على أغلب الوظائف المدنية العليا ، وحرمان الجيش من تجاربهم ومواهبهم التى تكونت لديهم على المدى الطويل ، مع أن الأمة العربية تواجه عدوا ماكرا ماهرا يضاعف إستعداده للبطش بها وفرض نفسه عليها . .

إن العرب ، والحالة هذه ، محتاجون إلى رجال يجيدون صناعة الموت والفداء ، وينظرون إلى الجيش نظرة الصياد إلى البحر ، والفلاح إلى الحقل ، والعابد إلى المحراب بل نظرة الطائر إلى الجو الذى يحلق فيه ويروح ويغدو فى آفاقه . .

ولا مساغ أبدا لنقل الضابط من العمل الذى له كى يكون مدير «بنك» أو رئيس شركة أو حاكم إقليم أو نائب وزير . . الخ .

إن الجيوش العربية تحتاج إلى خبراء محترفين فى فن القتال ، وقد اتسعت فى هذا العصر ميادين الكفاح العسكرى ، واستبحرت الثقافات البرية والبحرية والجوية استبحارا تنوء به الكواهل الصلبة ، ويتطلب مجموعة من العبقريات العظيمة ، ذلك فضلا عن الجهود التى يجب توفرها للتدريبات والمناورات وملاحقة الجديد من الكشوف والمخترعات . .!

وأحسب أن شغل العسكريين بغير مهامهم العظمى هو بعض الأسباب الكامنة وراء هزيمة ١٩٦٧ التى مرغت العرب فى الأوحال .

وقد شعرت بإعجاب كبير عندما نوقشت رسالة علمية فى كلية التجارة بجامعة أسيوط عنوانها . . العسكريون ودورهم فى الحكم العالم الثالث مع التطبيق على مصر من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٠ . .

فالقضية كان لابد من إثارتها واستبانة النتائج الحزينة التى تقترن بها ، ومن الجبن ترك الأخطاء تقع دون تصويب أو ترك الخطيئات تقع دون إنكار . .

كما أنى تتبعت بالرضا والإكبار قول الدكتور أحمد عامر أستاذ العلوم السياسية وعميد كلية التجارة بجامعة قناة السويس : « إن بعض الحكام العسكريين لم يفعلوا شيئا من أجل التنمية الاقتصادية أو دفع مسيرة الديمقراطية ، وإن المشكلات الداخلية فى عهدهم تفاقمت وزادت عما كانت عليه أيام الاستعمار الأجنبى » .

من المؤسف أن يكون الحكم وسيلة لتحقيق مآرب خاصة ، وأن تكون الوظائف مغنما لا عبئا ثقيلا ، أو كما يعبر البعض تشريفاً لاتكليفاً . .

وقد انتهت هذه الأيام بيد أن عبرتها باقية ، وعلينا أن نختار للمناصب مدنية كانت أو عسكرية من يعبدون الله بتوليها ، ومن يتصبَّبون عرقا وهم يباشرون أداءها . . وأن ننظر إلى الجيش خاصة على أنه درعنا الواقية وسياج حياتنا الخاصة والعامة ، فنمنحه أثمن ما نملك من قوى مادية وأدبية .

* * *

كيف تمنح هذه الجائزة ؟

المسئولون عن جائزة نوبل يبحثون فى أرجاء العالم عن أكفأ رجل لنيل هذه الجائزة الرفيعة ، فى شتى الفروع العلمية والأدبية التى تقررت لها .

ولا يدور فى خلدهم أى بحث عن إيمان الرجل أو إلحاده إذا كان مبرِّزا من الناحية الفنية! ولذلك لم يترددوا فى منح جائزتهم للفيلسوف الوجودى «جان بول سارتر» مع أنه جرىء الكفر منكور السيرة . .

والمفاجأة التى وقعت أن «سارتر» رفضها بكبرياء لأنه يزدرى نوبل ومؤسسته ، ويحيا وفق قيم أخرى ليست موضع حديثنا . . !

وقد تتدخل معان ذات بال فى سوق الجائزة إلى قوم آخرين ، فقد نالتها الراهبة «تريزا» أكبر داعية للنصرانية فى الهند لأعمالها الاجتماعية الجليلة .

وأرى أنها جديرة بها ، ولاريب أنها وجّهت قيمتها المادية إلى أعمال البر التى تشرف عليها .

كما نال الجائزة «مناحم بيجن» أستاذ «اسحاق شامير» وكلا الرجلين يؤمن بأن اليهود ملاّك العالم وملوكه ، وسادة العرب وأصحاب الأرض التى يعيشون عليها ! !

وهى فلسفة تشبه فلسفة قطاع الطريق وهم يقومون بالسلب والنهب ، ويجتاحون حقوق الآخرين بما أتيح لهم من قوة . .

أما أنور السادات فله شأن آخر لانذكره هنا !

وقد نال الجائزة أخيرا الأستاذ « **نجيب محفوظ** » وهو قصاص كبير وروائى متمكن والرجل ليس دون من نالوها من قبل ، وقد يكون خيرا منهم ، ولكن لفت نظرى أن من بين الأعمال التى رشحته لنيلها رواية «أولاد حارتنا» التى نشرت فى الخمسينات بصحيفة الأهرام . . .

إن هذه الرواية هجوم على عقيدة الألوهية ، ورفض للوحى كله ، وإنكار ساخر لنبوات موسى وعيسى ومحمد ، ونزعة علمانية تجعل الدين أوهاما ومهازل . .

وأذكر أن الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة كتب تقريرا إضافيا عنها ، وأن الدكتور أحمد الشرباصى قام بالعمل نفسه كما أنى كتبت تقريرا عن الرواية .

والتقت هذه التقارير عند الأستاذ حسن صبرى الخولى الرقيب العام يومئذ ! وقد رجع إلى الرئيس عبد الناصر ثم صادر الرواية ومنع تداولها تسكينا لثورة المؤمنين . .

واليوم يتحدث البعض عن إبطال المصادرة و إعادة النشر !

وقد كنت أظن المؤلف ـ وهو فى العقد الثامن من عمره ـ وفى رحلة العودة إلى الله يحب ترك الرواية فى مرقدها ، طارحا ما فيها من أفكار .

فهل أخطأت الظن ؟ لا أدرى ، على أية حال نحن نقبل التحدى ! وستكون نتائجه مُرّة المذاق فى أفواه كثيرة . . .

إن الملاحدة فى بلادنا لاتنتهى لهم جراءة على الله ورسوله ، ولهم الويل مما يصفون .

* * *

الموارنة واليهود وجيش لبنان الجنوبى

الخيانة خلق مقبوح قد يتصف به بعض الناس فيكون موضع الزراية والإنكار ، لكن الشىء المستغرب أن يشيع هذا الخلق وتنمو جراثيمه فى كيان أمة نمو الخلايا السرطانية فى الجسم المعتل حتى تجهز عليه . .

ذكرت هذا وأنا أتابع أنباء ما يسمى بجيش لبنان الجنوبى ، وهو عصابات من المرتزقة والمرتدين والحاقدين على العروبة والإسلام ، جمعهم اليهود ليضربوا بهم العرب !

وذكرت أن خالد بن الوليد وهو يحرر العراق من حكم الفرس وجد بعض العرب يقاتل مع المجوس المستعمرين للعراق ! فقال لهم :

أ أنتم عرب ؟ فما تنقمون من العرب ؟ أو عجم ؟ فما تنقمون من العدل والإنصاف ؟ . .

وهذا الكلام نفسه يقال ـ بعد أربعة عشر قرنا ـ للموارنة الذين يظاهرون إسرائيل ، ويعينونها على تشرد العرب والتهام حقوقهم ! إن هؤلاء الناس نسوا حقوق النسب والجوار ، وقبل ذلك نسوا نداء الشرف والوفاء ، ومشوا وراء وساوس الاستعمار الذى يكيد للعرب والمسلمين ، ويبنى خططه كلها على ألا يكون للإسلام وجود . .

لقد جعل العثمانيون لجبل لبنان كيانا ذاتيا ، ثم جاء الفرنسيون وخلقوا لبنان الكبير بعد ما سلخوا من سوريا بعض ألويتها . .

والمهم أنهم قرروا أن تكون السيادة فى لبنان الجديد للموارنة وحدهم ، وأوعزوا لأغلب الطائفة أن تدحرج معالم الإسلام فى كل ميدان حتى تكون الكثرة الإسلامية قلة تائهة تافهة . .

وهذا سر القتال الدائر من بضع عشرة سنة بين مسلمى لبنان وغيرهم .

وصانعو هذا الوضع المحرج يقولون : إما أن يكون لبنان هكذا أو لا يكون !! فماذا نحن قائلون ؟

والقصة نفسها تتكرر فى السودان ، فإن ماركسيا من زنوج الجنوب ألف جيشا زعموا أنه من المسيحيين ! سمّاه جيش الشعب السودانى أعلن أنه يريد به التحرير !! تحرير مَنْ ؟ تحرير السودانيين من الإسلام وأحكامه وأهدافه وإقامة حكومة علمانية . . .

وقد لفت نظرنا أن الحبشة الشيوعية تمد الجيش الجديد بالسلاح ، وأن الإرساليات التبشرية مَن السويد فى الشمال ، إلى حوض البحر المتوسط فى الجنوب ، تمد الجيش الثائر بالمؤن وكل ما يعين على النصر !

لماذا ؟ ليتم الإجهاز على الإسلام والعروبة فى نصف السودان تمهيدا للقضاء عليهما فى السودان كله . .

وصانعا هذا الوضع المحرج يقولون : إما أن يكون السودان هكذا أو لا يكون . . .

إن المؤامرات قد افتضحت ضد الإسلام عنوانا وموضوعا ، عقيدة وشريعة وقد ظل المسلمون يتقهقرون حتى أصبحت ظهورهم إلى الجدران ، فإما قاوموا العدوان الوقح إلى آخر رمق ، وإما ذهبوا فى خبر كان . . .

ولنعلم أن الجيوش الخائنة فى لبنان أو فى السودان تتلقى الأوامر من جهات لا تكتم ضغائنها على يومنا وغدنا . .

* * *

مدرس ينشر الإلحاد بين تلامذته

هو مدرس فلسفة ، توهم لأمر ما أن حرفته تفرض عليه تبنى الإلحاد فكرا ونشرا ، ولما كان الشر لايستطيع أن يمشى مكشوف السوأة ، بل يتوارى غالبا فى رداء من الخير ، فإن صاحبنا اتخذ العلم شعارا يدس تحته مايريد ، ومن الممكن باسم المنطق العلمى أن يهاجم الدين وأركانه وأن يضلل الأغرار ويفتنهم !

قلت له : مالك وللعلم ؟ إنك تتحدث كأنك سبقت أنشتين فى اكتشاف نظرية النسبية ، أو شاركت نيوتن فى تقرير قوانين الجاذبية ! وتخصصك الذى تعيش فى نطاقه لا علاقة له بهذا أو بذاك . .

إن جمهرة المشتغلين بالعلم والفلك والأحياء والفيزياء والكيمياء . . الخ مؤمنون بأن للعالم ربا يشرف عليه ، وليس سيارة تنطلق بلا قائد .

وقد أحصى **العقاد** فى كتابه : «عقائد المفكرين» أساطين العلوم الكونية فإذا تسعة أعشارهم مؤمنون ، والعشر الباقى بين متردد وملحد !

وكان سير جمس جنز الفلكى الإنجليزى تملكه هزة عصبية وهو يتحدث عن عظمة خالق السماوات ، ومرصع فضائها بالنجوم ! وقرأت لأنشتين حديثا عن الله كأنه قصيدة عاطفية لمحب مشبوب المشاعر .

وليقرأ من يشاء كتاب العلامة «كريسى موريسون» الذى ترجم إلى العربية بعنوان : «العلم يدعو إلى الإيمان» والرجل رئيس أكاديمية العلوم فى الولايات المتحدة ، وحصيلته من العلوم تجعله قمة شامخة !

وتحضرنى قصة طريفة لهذا الكتاب ، فإن الصحفى **كامل الشناوى** نشر مقالا تحت عنوان : هل الرجال قوّامون على النساء ؟ ونشبت بينى وبينه مجادلة عاصفة ، عندما كان محررا بالجمهورية ! ثم قرأ الرجل كتاب «كريسى موريسون» ثم نشر مقالا

عنوانه : «وضعت يدى على الله !! » .

والعنوان عليه صبغة المجون ، ولا أدرى أمات الرجل مؤمنا أم كافرا ؟

المهم أن جمهرة أولئك الملاحدة يخطون سوادا فى بياض ، وليست بينهم وبين المعرفة رحم موصولة !

إنهم كما وصف القرآن الكريم : « يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ..» [1] .

وعندما خطبت فى أحد المؤتمرات الكبرى أناشد الحكام العودة إلى قواعد الإسلام وشرائعه رسمنى المصور الهزلى صلاح جاهين وقد سقطت عمامتى على الأرض بفعل قوانين الجاذبية (!) ، قلت : هذا مؤلف مواويل تافه الفكر والأدب يتمسح بالعلم وهو يهاجم الدين ! ما علاقته بالعلم والعلماء ؟

وفى هذا العام نشرت مجلة عربية تصدر فى باريس صورة هزلية تتناولنى بالغمز لأنى عبت رواية أولاد حارتنا ، واتهمت بواعث إحيائها ! والرسام الماجن يذكر اضطهاد العلماء الذين أثبتوا كروية الأرض ودورانها حول الشمس !

ما علاقة حقيقة جغرافية مقررة بمزاعم صحفى ينكر الألوهية والوحى ؟ ! وما علاقة الإفك بالعلم ؟ !

إن تطاول الصغار شىء لايطاق ، وقد رمقت ملاحدة العرب فى الأيام العجاف ، فلم أعجب لأظافرهم التى يخمشوننا بها قدر ما عجبت من كلامهم عن العلم ، العلم الأوروبى طبعا !

إن القرعاء تباهى بشعر بنت أختها ، فهل علمت القرعاء أن بنت أختها مؤدبة ؟ لم يفقدها شعرها الأدب .

* * *

(١) سورة الأنعام : ١١٢ .

اليد العاطلة لاتخدم رسالة..

فى موازنة بين أحوال أمتنا وأحوال الأمم الأخرى شعرت بأسى يكسو قلبى ، وبهزيمة أطأطىء لها رأسى ، وبتفريط فى جنب الإسلام ما أحسبنا ننجو من عقباه !

رأيت الحاكم فى أمم قد تكون وثنية يتولى السلطة حينا من الدهر ثم يتركها فإذا ثروته هى هى مازادت فلسا ، وربما نقصت ! على حين ترى العكس فى العالم الإسلامى ، ما يترك السلطة أحد إلا وله مال ممدود وجاه معدود . .

ورأيت العالم فى شئون الكون والحياة ، وفى شئون الوحى ورسالات الله يحيا - فى أوروبا وأمريكا وآسيا - مقبلا على علمه ينميه ويخدمه ويفرش له بصره وبصيرته وينفع الجماهير ماديا وأدبيا به ، على حين نرى نظراءه فى عالمنا الإسلامى يعيشون لأنفسهم ولايسافرون خارج حدودها !

ولم تبرح ذاكرتى صورة راهب بوذى وراهبة بوذية أشعل كلاهما النار فى نفسه وثبت مكانه لايجرى حتى أتت النار عليه كى يلفت النظر إلى قضية دينه الذى تحيف عليه الشيوعية !

ورأيت العامل فى أقطار شتى يفرغ وسعه فى إجادة ما فى يده ، أما عندنا فقلما يخرج العمل إلا ناقصا أو شائها ! أما السباق فى مضمار الكمال فقد استبعد من حياتنا ، وحل محله تزويق الظاهر وإحسان الطلاء . .

ورأيت الممرضة ترمق المرضى كما يرمق الحانوتى الجثث على أنها «الشغل» الذى تخصص له أو فرض عليه ! أما العاطفة الجياشة بالرقة والعناية فأمر آخر .

ورأيت الخادم تتعامل مع البيت الذى ترتزق منه بكراهية خفية وملل ملحوظ أما الخادم القادمة من شرق آسيا فهى راعية فى مال سيدها وهى مسئولة عن رعيتها . .!

ورأيت البائع والمشترى ، كل منهما يريد أن يأخذ أكثر ويعطى أقل ما يستطيع أداءه ، أما ضوابط العدالة والصدق فقصة خيالية !!

وعدت من هذه الموازنة الخاطفة إلى آيات الله أتلو منها ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾[1] ثم قلت : لماذا نطمع من هذا القانون الصارم ؟ .

إن الأمم تتقدم وتتأخر بعناصر من ذاتها . . والأمم التى تدفعها إلى الأوج تيارات هوائية مفاجئة ، لقد ارتقت وخوافيها ، ورغبتها فى التحليق ونفورها من الإسفاف . .

لابد من علم يستنفذ الطاقات ، وتتشابك فيه المواهب الإنسانية أولاها إلى أخراها ، أما المنى الحالمة فهى بضائع الحمقى !

* * *

(١) سورة النساء : ١٢٣ .



مدارس إسلامية كبيرة..

الثقافة الإسلامية بحر متلاطم الأمواج مترامى الأبعاد يقف بساحله من شاء لينال منه ما يشبع نهمته ويروى غلته !

هناك ميدان الفقه والتشريع ، وهناك ميدان الأصول وقواعد الإستدلال ، وهناك ميدان المرويات القولية والعملية وهناك ميدان التربية والتصوف والسلوك ، وهناك ميدان الاعتقاد ومذاهب المتكلمين ، وهناك ميدان الفلسفة والحكمة ومناشط العقل الإنسانى ، ثم هناك ميدان اللغة والأدب ومواريث الشعراء والأدباء . .

وقد لاحظت أن المستغرق فى أحد هذه الميادين غير مكترث بما فى الميادين الأخرى من حق وخير ، يكون فاشلا أو قاصرا فى الميدان الذى تفرغ له وحده .

إن آفاق العلم المختلفة ينير بعضها البعض الآخر ، ويعين على ضبط الأحكام والمواقف ! فالمحدِّث القصير الباع فى الفقه لايحسن فهم السُّنة .

والمفسرِّ الضعيف الاطلاع على الأدب لايستطيع تذوق البلاغة القرآنية وشرح أسرارها للطالبين . .

والمتفقه الذى وهت صلته بعلم الأصول ومدارسه المختلفة يظلم المذاهب الفقهية ويسيىء إلى الشريعة .

وقد رأيت أئمة العلم الدينى مهرة فى أغلب الميادين التى ذكرتها ، فأبو حامد الغزالى فقيه أصولى متكلم صوفى فيلسوف أديب ، وإن كانت بضاعته كاسدة فى المرويات !

وابن تيمية محدث فقيه أصولى أديب وإن كان نائيا عن الفلسفة والتصوف ، وعند التأمل فى علم الرجل نجده أحذق من أرسطو فى المنطق ومن أرسخ الناس قدما فى علم القلوب الذى هو أساس التصوف المقبول . .

وقد قرأت للشيخ محمد عبده أنه قرأ خمسة وعشرين تفسيرا وهو يعالج إحدى آيات الأحكام ! ثم تأملت فى تراثه وتراث تلميذه الشيخ الإمام محمد رشيد رضا ، فوجدتنى أمام قمة شامخة من قمم الفقه والأصول وعلوم العقيدة والملل والنحل .

ولاريب أن الاشتغال بالدعوة الإسلامية يتطلب ثروة عريضة من مدارس الثقافة الإسلامية الرحبة ، وبصرا حادا بآفاق الفكر الإنسانى على الإجمال . .

أقول ذلك لأنى رأيت دعاةً حصيلةُ أحدهم من العلم تعينه على فتح دكان فى إحدى الحارات ، ولكن غروره يزيّن له أن يدخل فى صراع مع شركات النفط ، أو فى نزاع مع المصارف الكبرى ! .

ورأيت من هؤلاء من يتناول أقدار الأئمة كما يتناول الطفل حُصيات يعبث بها . .

لقد ذكرت الحديث الشريف «رحم الله امرءا عرف قدر نفسه» . . !!

* * *

الإيذر: والشذوذ والبغاء

تتسع الدائرة التى ينتشر فيها مرض «الإيدز» وتزيد الأموال المرصدة لمحاربته وتنوء الدول الفقيرة - فى أوروبا وأمريكا - بمغارم هذه الحرب التى لاتبدو لها نهاية .

ويقول الدكتور «ليونارد ماتا» ممثل «كوستاريكا» فى أحد المؤتمرات الطبية : إن وزارات الصحة فى دول أمريكا الوسطى لاتستطيع تطويق هذا المرض ومنع انتشاره ! وشكا من أن المرض اللعين أصبح مُتَوَطِّناً لا مستوردا ! وذلك لعجز الشعوب عن مطاردة الشذوذ الجنسى ، والبغاء ، اللذين يمثلان بؤرتين أساسيتين لهذا الداء الخبيث ! ! .

ونحن نعلم أن الولايات المتحدة مهددة بهذا الوباء ، ومهتمة باستكشاف دواء له ، وقد بلغ من اكتراثها بمكافحته أنها سخرت إحدى مركباتها الفضائية لحمل جرثومة المرض فى خلية مصابة لتعرف ما يعروها فى طبقات الجو العليا ! فقد تجد وسيلة للتغلب عليها !!

وقد يسرنا أن يفلح العلماء فى اختراع ما يشفى من هذه العلة ، فنحن نرحم كل مصاب ونحاول أن نحمل الجرحى فى ميدان الاستقامة حتى نجد لهم المأمن والعافية ، داعين لمرضى الأرواح والأجسام أن يمنّ الله عليهم بالعافية حتى يعودوا إليه تائبين .

إن مرض الإيدز من أمراض الحضارة التى تَضَخَّم كيانها المادى ، وضمر كيانها الروحى ضمورا شديدا .

والبلاد الإسلامية أقل البلاد تعرضا لهذه المصيبة المثيرة للسخط والاشمئزاز ، وذلك لبقايا الإسلام فى جنباتها ، والنفور الشديد من جريمتى اللواط والزنى ، وهاتان

الجريمتان تجدان مرتعا خصبا فى أقطار الغرب حيث عجز أهل الكتاب بإمكاناتهم القليلة ومواريثهم الضعيفة أن يقاوموا نزوات الغرائز ، وانحرافاتها الشائنة . .

ونحن ـ معشر الدعاة ـ نشعر بقلق عندما نشعر بمطارق الغزو الثقافى المسعور تنهال على بلادنا ، تريد الإجهاز على بقايا الدين فى أرضنا واجتياح ما بقى من طهر لدينا !!

ولقد وقفت ضائق الصدر أمام عنوان فى صحيفة كبيرة جدا تتحدث عن مرض الإيدز فتقول : إنه مشكلة عالمية لها أبعادها المتعلقة بالحرية الفردية وسلامة المواطن واستقراره . . الخ .

أهذه أخطار المرض الخسيس ؟ أية حرية فردية يتحدث عنها الكاتب الماجن ؟ حرية العهر والتخنث وتحول الرجال إلى نساء ؟ ! !

إن الأقلام التى تنسى الله ، والدار الآخرة ، ومدارج الكمال الإنسانى آن لها أن تحتجب أو تنكسر ، فإن بقاءها ذريعة فناء ماحق لكل ما فى العالم من خير .

* * *

الساسة العاميون!
لماذا يخطبون ويرتجلون؟

مع صلتى الحميمة بالأدب العربى فقد بتّ أخشى على لسانى ولغتى من شيوع الأخطاء واضطراب الأساليب ، إننى أحترم لغة الوحى وأغار عليها ، وأشعر بالخجل الشديد عندما أخطىء فى إعراب أو أسيىء اختيار لفظ . .

وليس هذا خُلُقاً أنفرد به ، إنه خلق أولى الألباب الذين يحترمون أنفسهم وتراثهم ودينهم ، وقد روى أن رجلا قال لعبد الملك بن مروان : شِبْتَ يا أمير المؤمنين ! فقال : شيَّبنى صعود المنابر وتوقع اللحن !! .

إن الخليفة الكبير يحذر عثرات اللسان وسوء الأداء ، ويرى ذلك خللا فى مروءته وخدشا لمكانته ! .

ويظهر أن ذلك يوم كانت المناصب الكبرى إمامة مرموقة وقيادة هادية ! أما بعد أن أمست مغانم يستولى عليها الشطّار ، ويحرزها المغموصون فى علمهم وكفايتهم فقد أصبح الخطأ قانونا والصواب شذوذا . .

ومن بضع سنين أرسل طلاب إحدى الجامعات الأمريكية كتابا شديدة اللهجة إلى قائد حلف شمال الأطلسى يستنكرون أداءه المعتل للغة الإنجليزية ، ويطلبون منه إما السكوت أو صحة النطق ـ وكان القائد من كبار العسكريين الأمريكيين ـ وقد أعجبنى تصرف الطلاب ، ولم أعتذر عن الرجل بأنه ليس متخصصا فى اللغة .

إننا لا نكلفه بأن يكون أديبا ماهرا ، ولكننا نكلفه ونكلف غيره من أصحاب المناصب الكبرى أن يحسنوا التعبير عما يريدون ، وأن يتجاوزوا مرحلة الطفولة البيانية ، وإلا فليلتزموا بهذا الحديث الشريف « الصمت خير وقليل فاعله » . .

وكان الساسة القدامى يحضرون خطبهم تحضيرا متقنا حتى جاء الرئيس عبد الناصر ، فاعتقل سيبويه وحزبه ، وأعلن على الفصحى حربا شعواء ، وهو أول من كسر

الباء فى كلمة «بَدْء» وهى مفتوحة من نشأة اللغة إلى قيام الساعة وكسر الواو فى كلمة « وحدة » وهى مفتوحة أبدا وهبط باللغة العربية هبوطا شنيعا .

ولم نجد من حراس اللغة من يصنع معه صنع الطلاب الأمريكيين مع قائد الأطلسى ، بل وجدنا برنامجا فى التلفاز المصرى يتحدث عن خصائص البلاغة فى خطب عبد الناصر !! .

وقد سمعت متحدثين عربا فى إذاعات عالمية ومحلية يقلبون القاف همزة ، أو كافا ، والجيم دالا ، ويكسرون أوائل الألفاظ ، ويدوسون قواعد النحو والصرف وكأنهم فلاحون فى معرض فنان عالى الذوق ! . .

والغريب أنهم إذا تكلموا بالإنجليزية أو الفرنسية استقامت فى ألسنتهم وحسدهم الإنجليز والفرنسيس على فصاحتهم ! ما هذا البلاء ؟ ! !

يجب ألا نسكت على هذا العوج .

أكاد أشعر بأن الأمة التى تفقد لغتها كالفتاة التى تفقد عرضها !

هذا هو طريق الضياع المادى والأدبى والعلمى . .

وهذا ما ينشده الإستعمار الثقافى حتى تموت لغة الوحى ، ويضيع الدين كله ، وتذهب الدنيا معها .

* * *

غناء مرفوض..!

للغناء أثره فى تحريك المشاعر وإذكاء العواطف ، وإذا كان يثير الجمال فى الصحراء فكيف لا يثير الناس فى دروب الحياة ؟ لذلك ينبغى أن تكون الكلمات التى تُغنَّى منتقاة شريفة ، وأن ترفض كل المعانى الهابطة والتوجيهات المنحرفة . .

وفى سماعى لما يذاع من أغنيات وجدت كلمات جديرة بالمحو ، ما كان يليق أن تقال ، وأن تلحّن ، وأن تحيط بها الأنغام الجذابة ! ومع ذلك فقد تمهّد لها الطريق ، وبقيت سنين عددا تؤدى وظيفتها الخسيسة ! ولاتزال !

خذ مثلا قصيدة « كليوباترة » التى تصدح فيها الموسيقى بصوت محمد عبد الوهاب ، وهو يقول «ليلنا خمر . .» والتى تصف وجه الحبيب بأنه «أسمر الجبهة كالخمرة فى النور المذاب » .

إن ليالى السكارى تتبعها حتما أصْبَاحُ الهزيمة والعار ! وعندما يكون ليل العرب خمراً فماذا ينتظرون من حكم الله فيهم ، والعدو يحيط بهم ؟ ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾[1] ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴾[2] .

ونحن نطلب إما وقف إذاعة هذه القصيدة ، وإما تغيير للكلمات النَّابِيَة التى تضمّنتها ، والتغيير سهل وأنا على استعداد للقيام به إذا طُلِبَ ذلك منى ، وسيبقى بعد ذلك اللحن والأداء على حالهما . .

لقد مُنعت إذاعة أغنية «الفنّ» وهى من روائع عبد الوهاب لأنها تحدثت عن فاروق باحترام ! تقول :

الفن من شرّفه غير الفاروق ورعاه ؟

وكذلك أُلغيت أغنية «إلام الخلف» ؟ لأنها قالت للملك فاروق :

فيا فاروق أدركها جراحا أبتْ إلا على يدك التئاما !!

---

(١) الشعراء : ٢٠٤ . (٢) الصافات : ١٧٧ .

فهل احترام الدين والشرف والتزام التربية الزاكية والسيرة الناضرة أخفت كفة من ذكر فاروق بخير ؟ ! !

وندع هذا المثل لنوع آخر من الإسفاف المحقور ! أى أثر يتركه عبد الحليم حافظ فى النفوس عندما يغنى « قدر أحمق الخطى . . » ؟ ! !

هل القدر الأعلى أحمق الخطى ؟

أعرف الشاعر الذى ألف هذا اللغو ! إنه فى ميزان المروءات والرجولات صفر ! وأعرف كذلك أصحاب الحناجر الرقيقة ، إنهم لايخشعون لله إذا ألقوا قصائد دينية ، وربما لايكفرون إذا قالوا كلمات ساقطة إنهم كالقصب الذى ينفخ الهواء فيه فيخرج رخيما أو سقيما ، ولاقلب هناك ولا فكر ! ولكننا نخاف على الأجيال الناشئة عندما تسمع هذا الإسفاف ، ولذلك نطالب بإراحة الناس من سماعه ! .

* * *

آثار ضعف اليقين..!

لكل مجتمع محترم دعائمه التى يقوم عليها ويُعرف بها ويتحرك منها ، والويل لمجتمع تمشى فيه العقائد على استحياء ، وتهيم فى جوّ من القلق والتوجّس ، وتظهر فيه الفضائل والعبادات كئيبة غريبة كأنها تلتمس المأوى فلا تجده .

إن الاستعمار الثقافى خلق فى العالم العربىّ حالة من اللا إيمان واللا فكر أشاعت الميوعة والبلبلة فى أرجاء واسعة .

تشخيصها الطبى إن الإيمان موجود ، ولكن أحاطت به مضادّات وأحجبة تشبه المواد العازلة التى تحيط بقوى الكهرباء فتبطل عملها . .

ونشأت عن ذلك فوضى أخلاقية واجتماعية جعلت المسلمين يتحركون فى مواضعهم لا يخطون إلى الأمام خطوة ، وربما تحركوا ثم عادوا من حيث بدءوا ! .

وقد استغل أعداؤهم هذا الوضع استغلالا سيئا ، فهناك مدارس عربية الطلاب أجنبية الإدارة جُمعت منها تبرعات سخية سارت فى سراديب خفية حتى وصلت إلى «جون جارانج » قائد الثورة فى جنوب السودان !

وهناك مدارس أخرى كرهت الاستشهاد بآيات الكتاب وأحاديث الرسول فى قواعد اللغة والبلاغة فعُدّلت البرامج من أجل سواد عيونها .

وهناك مسارح وسينمات عرضت فيها روايات تعرض التاريخ الإسلامى على إنه إرهاب وعنف ، وتهديد بالسيف ! ويخرج المشاهدون وهم تائهون زائغون . .

وهناك رؤساء يقول أحدهم بصلف : أنا لا أتحدث فى الدين ، ولا أحب سماع حديث فيه !

وهناك محاكمات تصون حق الحياة لباعة الموت من تجار المسكرات والمخدرات ، وهى فى الوقت نفسه تقتل المتهمين بالتطرف الدينى فى عرض الطريق وفى وهج الشمس !!

وبعد ذلك كله ، هناك إسرائيل التى تصرخ بأعلى صوتها معلنة انتمائها إلى العهد القديم والتلمود ، وتقدس السبت وتستعد لبناء الهيكل بعد هدم المسجد الأقصى . . ثم العرب الذين يستحيون من الانتماء الإسلامى ، ويخفون ملامحهم وراء قناع العروبة العلمانية ! .

وهناك إنجلترا أو دول غرب أوروبا التى تعلن جهرة تأييدها لإهانة الإسلام ، وسب نبيه العظيم ، والعرب الذين يتظاهرون بالصمم ولا تتمعر وجوههم لما حدث . .

أما كان فى الإمكان عمل شيىء جادّ لوقف هذا السفه ؟ ! .

إن المنافقين الذين ظهرت لهم عصابات فى صدر الإسلام ثم اختفت بعد ما باءت باللعنة عادوا كرة أخرى ينشرون الدخان فى آفاقنا ، ويظاهرون الأعداء على تعويق مسيرتنا وإطفاء نهضتنا . .

إن دولة إسرائيل تهاجمنا دون عوائق ، أما نحن المدافعين عن دار الإسلام فإننا نجد مختبئين فى حجرات الدار ودواوينها يَدُلُّون علينا ويوهنون قوانا ، ويتربصون بنا الدوائر !

فحتى متى يبقى هذا «الطابور» الخامس من سماسرة الغزو الثقافى الخائن ؟ .

* * *

تحدى النبوة الخاتمة سفاهة قديمة !

كان صوت المؤذن يترامى إلىّ من بعد ، ولكن حفظى للكلمات وإلْفى للأنغام جعلانى أتابعه وأردِّدُ فى خفوت ما يقول ! بعد تكبير الله وتوحيده شهدت لمحمد بالرسالة ! بعد إعظام الله وإسقاط أى شريك له أقررت بالنبوة للإنسان الجليل الذى قرر هذه الحقيقة وحماها وبذل دونها نفسه وماله ، ولم يسترح ساعة حتى بلغ بها الآفاق وملأ بها أرجاء الدنيا . .

إن محمدا عليه الصلاة والسلام كان أشد حارس للحقيقة الأولى فى الوجود ، وقد عمر بها ولا يزال مساحات من الأمكنة والأزمنة لم يستطعها أحد من قبل .

ولا يزال الدين العام الخالد يكافح جاهليات هائلة تكره التوحيد ولازلت أرى بنفسى أناسا تنقلب سحنتهم عندما يسمعون الأذان ، وتعرف فى وجوههم المنكر .

إننى أردد كلمات المؤذن فى كل وقت وكأنى أقول له : أؤيدك برغم أنوف الكذبة والمكذبين ! .

وفى أعصار متطاولة تنتهى إلى زماننا هذا يوجد حاقدون على محمد ، فى مواريثهم بقايا من الشرك وفى مسالكهم بقايا من الرجس يؤثرون العمى على أن يَرَوْا امتـــداداً لدين محمد .

وهم يستطيلون فى عرض النبىّ الخاتم ويتلمسون له العيوب ، والغريب أنهم لم يدرسوا سيرته ، ولم يستبينوا رسالته ، إنهم ورثة أحقاد وحسب ! .

وقد عجبت لدول أوروبا وأمريكا وهى تحتفى بشتائم يوجهها شخص مسعور إلى أمير الأنبياء ومجدد هداياتهم ، ومذكر العالم كله بمعالم الفطرة وأمجاد العقل ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور .

إن الضغائن الصليبية الأولى توهجت شعلتها ، ورأت لغير سبب أن تشجع سَبَّ محمد وأسرته وأتباعه بأساطير شيطانية ! لمـاذا ؟ لا لشيىء إلا لأننا ضعاف ، هُنَّا على الله وعلى أنفسنا فكان هذا الهوان وراء النزق ضدنا والسكوت على ما يؤذينا . .

ولاشك أن تصرفات بعض المسلمين من وراء هذا العدوان الممتدّ .

أعرف أن من علمائنا الأقدمين من قال : إن توبة الزنادقة لاتقبل ! وهم إنما أصدروا هذه الفتوى لأنهم يتهمون الزنادقة بالكذب والغش ، وأن توبتهم غير صحيحة ، ولذلك لايصدّقون فى إعلانها !! .

بيد أن أحوال العالم تغيرت ، ومن الممكن العودة إلى الأصل المجمع عليه وهو أن التوبة تمحو كل شيء !! ولا مساغ للتشبث بفتوى لا تجرُّ علينا إلا العنت ، وفى أيام يطمع فى النيل منا الذباب والكلاب .

إننى أنظر بأسف إلى قصة مغموص شتم نبينا فرحبت بصوته أوروبا وأمريكا ، كان من الممكن أن يموت هذا الكويفر التافه مكانه لو كنا نحسن إدارة المعارك ، ولكنا جعلنا له شأنا عالميا بطريقة مدهشة .

ونفّس الصليبيون عن أحقادهم فى هدوء ! وتحركت الجماهير فى الهند وباكستان هائجة .

وسكت العرب ، ولست أدرى سر سكوتهم ، أعن حكمة أم عن بلادة ؟ ؟ .

وقيل عنا : إننا لانعرف الحرية ولانقدر حقوق الإنسان !! يا عجبا إن آباءنا هم الذين ابتدعوا الحرية الدينية على وجه الأرض فكيف نتهم بالنقيض ؟ .

وددت لو اجتمع المؤتمر الإسلاميّ ليقول لمّن يستبيحون محمدا : بعض الأدب وبعض الحياء .

أَسْكِتوا سفهاءكم ليستطيع عقلاؤنا الكلام .

* * *

الخلاف الفقهى..!

استغرب البعض رفضى الشديد لأحكام قررها ابن حزم ، واستهجانى لأدلتها ! .

وقالوا : إنك روّجت لآرائه فى قضايا شتى تتصل بقول شهادة المرأة فى كل شيىء ، وفى استحباب حضورها الجماعات ، وفى توليها أغلب المناصب ، وفى سماع غنائها مادام شريف الغرض . . الخ فكيف نوفق بين حاليك ؟ .

قلت : موقف أولى الألباب مع ابن حزم وغيره هو وزن الأدلة ، واستبانة ما فيها من ضعف أو قوة ! . . إننا ينبغى أن ننظر إلى ما قيل لا إلى مَنْ قال ، وليس أحدٌ أولى بالحق من أحد . . !

وأحبُّ أن أؤكد حقيقة نفسيّة لدىّ : أننى أحترم أئمة الفقه الكبار احتراما عميقاً ، وأحترم المدارس التى نشأت حولهم أو نشأت مستقلة عنهم مادامت تعتمد على كتاب الله وسنة رسوله !

وأرى أن فنون الجمال العلمى أكثر من فنون الجمال البدنىّ .

هناك جمال العقل اللمّاح عن بُعد وهناك جمال الفكر المتروّى العميق وهناك جمال الذاكرة المحيطة المستوعبة ، وهناك جمال الذكاء المكتشف المحلّق ، وهناك جمال الأداء المترسّل البليغ ، وأنا أعشق فى أئمتنا ومجتهدينا أنواع هذا الجمال ، وأتتبعها فى مذاهبهم . .

وأعلم بعد ذلك أن الاجتهاد تحكمه ملابسات مثيرة ووجهات نظر كثيرة ، وأن الشخصية الممتدة غير المنكمشة ، عقلية النص غير عقلية الفحوى والصارم غير السمح . . الخ .

وثم أمر آخر أحب أن أذكره وأكرره ! أن علامة الخطأ ـ فى شئون الحياة ـ ما يعقبه

من مشقة أو ضرر ، وأن علامة ما يصحبه أو يلحقه من نفع خاص أو عام مصداق قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾[1] .

لذلك روّجت للمذهب القائل بأن طلاق البدعة لايقع مثلا فهو أصْون للأسرة وأجدى على المجتمع ، ولا مجال هنا للاستطراد . .

وعندما أقرأ لابن حزم فى المحلّى أشعر بعبقرية الأثر والاستيعاب والإحاطة الرائعة بأحوال الرواة والمرويات ، وأقدر للرجل الكبير هذه المكانة ! .

وقد أقرأ له لأعرف أقوال غيره فهو يوردها بأمانة ، ثم يناقشها بأسلوبه الذى لايخلو من العنف والتهكّم .

فإذا بلغ الأمر مرتبة الاستنتاج والترجيح لم أر حرج فى تركه يمضى وحده ، وأمضى أنا حيث أرى الدليل أقوى والمصلحة أرجى ! .

ومع أنى أخذت إجازتى العلمية من الأزهر على أنى حنفى المذهب ، ومع إجلالى لأبى حنيفة فقد رفضت مذهبه أن القرشية لايتزوجها إلا قرشى وأن المصرى أو اليمنى ليس لها بكفء ، هذا عندى باطل ، وإن أيده الحنابلة !! ومالك أولى بالحق منهما . . .

على أن مخالفتى لاتجعلنى أكثر من طالب علم ينظر إلى أئمته الكبار باحترام وحبّ وتقدير .

* * *

(١) الرعد : ١٧ .

ما أظن أولئك عربا ولا مسلمين !

كلما سمعت بأنباء الإنتفاضة الفلسطينية ، ومصارع الفتيان والفتيات فيها ضاق صدرى وأظلمت الدنيا فى عينى ! إن اليهود يعربدون دون وجل ، ويلقون بقذائف الموت من لا يملكون إلا رمى الأحجار ! وأمسى للثعالب زئير الأسود ، وتناقلت أرجاء العالم وعيد بنى إسرائيل وهم يرغون ويزبدون ، وينذرون بعظائم الأمور . .!

ولم لا والعالم كله ينظر ببرود إلى ما يقع ؟ والعرب أنفسهم يكتفون بالكلام الأجوف والتعليق البارد ؟ !

إنه لاتوجد خطط جماعية بين العرب لمواجهة هذا العدوان المستمر !

لابد من معونات مالية لدعم المحرومين فى هذه الجبهة الحافلة بالمآسى ، لابد من غضب عام يجتاح العالم العربى والإسلامىّ كلما هدم بيت وبات أهله فى العراء ، وكلما قتلت طفلة أو هلك يافع برصاص المعتدين !

إن ترك الثائرين فى فلسطين يلقون مصيرهم وحدهم جريمة لها عواقبها فى الدنيا والآخرة ، والذين يقفون اليوم متفرجين سيكونون صرعى الغد القريب أو البعيد ! فالرحى الدائرة لن تتركهم أبدا .

المتطرفون فى الأرض المحتلة يقولون : سنقيم دولة يهودا إلى جانب دولة إسرائيل ، وظاهر أن الأرض المقدسة عند اليهود المعتدلين والمتطرفين جميعا محور لدائرة سوف تنداح على مر الزمان لتبلغ الخطوط التى رسمها العهد القديم ، أى من الفرات إلى النيل !

فكيف يفكر العرب أمام هذا الطوفان الدينى القادم عليهم من وراء الحدود ؟ !

إن عدداً كبيراً منهم لايزداد عن الإسلام إلا بعدا ، ولايزيده الخطر الداهم إلا غفلة ، مع أن التنادى بالإيمان ضرورة حياة أمام هذا العدوان ! .

فماذا فعلوا بعد أن اتخذوا هذا القرآن مهجورا ؟ هل أصبحوا عربا لهم خلائق العرب

فى الجاهلية الأولى ؟ يحمون الذمار ويطلبون الثأر ، ويحظرون على أنفسهم المتع حتى يقهروا عدوهم وينتصفوا لأنفسهم ؟ كلا لقد أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم فلا إلى الإسلام انتسبوا ، ولا إلى العروبة كان انتماؤهم وعملهم ! .

قرأت لأحد صعاليك العرب فى الجاهلية أبياتا يتوعّد فيها قَتَلَة قريبٍ له يقول فيها :

إن بالشِّعْب الذى دون سلْع
لقتيلًا ، دمه ما يُطَلّ

خلف العبء ، علىّ ، وولّى
أنا بالعبء له مستَقل

ووراء الثأر منى ابن أخت
قصيعٌ ، عُقْدَتُهُ ما تُحَلّ

فلما أدرك ثأره أباح لنفسه الاستمتاع واللذة وشرب الخمر ! قال « تأبط شرا » يصف حالته تلك :

حلّت الخمر وكانت حراما
وبلأىٍ ما ألمّت تحلّ !!

إننى أهدى خلق هذا الصعلوك إلى العلمانيين من قادة العرب لعلّهم يرتفعون إلى مستواه .

* * *

أديب مظلوم ...!

هذه قطعة من أدب النفس أذكرها لما فيها من صفاء وسمو ! قال كاتبها : «كان لى أخ هو أعظم الناس فى عينى ، وكان رأسُ ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه !

كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لايجد ! ولا يُكثر إذا وجد . .

وكان خارجا من سلطان لسانه فلا يتكلم بما لايعلم ، ولايمارى فيما علم . . !

وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يتقدم أبدا إلا على ثقة بمنفعة !

وكان أكثر دهره صامتا ، فإذا قال بزَّ القائلين !

وكان يُرى ضعيفاً مستضعفا ! فإذا جَدَّ الجدُّ فهو الليث عاديا !

وكان لايد له فى دعوى ولايشارك فى مِراء ، ولايدلى بحجة حتى يرى قاضيا فَهماً وشهودا عدولا .

وكان لاَ يلوم أحدا فيما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما عذره ؟

وكان لايشكو وجعه إلا عند من يرجو عنده البرء !

ولايستشير صاحيا إلا أن يرجو منه النصيحة !

وكان لايتبرم ولا يتسخَّط ولايتشهَّى ولاينتقم من العدوّ ، ولا يغفل عن الولىّ ، ولايخصّ نفسه بشىء دون إخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته » .

أقرأت هذه الصفات ورأيت معالم الاكتمال البشرىّ فيها ؟ إن كاتبها هو عبد الله بن المقفع ، وإنما نقلتُها كى أميط اللثام عن بعض المآسى فى تاريخنا الأدبى . .

فإن ذلك الأديب المربِّى الواعى المصوِّر بقلمه آفاق الكمال البشرى قتل متهما بأنه مجوسى ملحد !!

وما أشك أنه ضحية مؤامرات سياسية أو حزازات شخصية .

فأنّى لوثنىٍّ مُخَرِّف أن يرسم سمات العظمة الخلقية على النحو الذى رأيت ؟

ومصارع العظماء فى التاريخ الإنسانى كثيرة ، وهى إن دلّت على شىء فعلى هوان الدنيا عند الله ، وعلى أن سراءها وضراءها لايعنيان شيئا ذا بال . .

وقد قتل اليهود أنبياء الله ، وقدّم رأس يحيى بن زكريا هدية لامرأة لعوب طلبته !

وعندما قرأت الخبر قلت : إن الله سبحانه وصف يحيى بأنه سيد ! فهل يعامل السادة بهذه الخساسة ؟ ما أحقر الدنيا ، وفى الوقت نفسه ما أعظم الآخرة .

إن عوضا ضخما هناك ينتظر المصابين والمظلومين! عوضا ينسى كل ما وقع من أسى وهضم ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[1]

* * *

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ .

أمريكا المتخلفة..

لم يقع أدنى تغيير فى الخط الذى تلتزمه القوى المعادية للإسلام ، بل لعل الأيام لاتزيدها إلا تعصيبا وقسوة .

فها قد مرت أربعة عشر عاما على الثورة المندلعة فى لبنان ، ويوشك الدمار أن يشمل بيروت شرقا وغربا ، ومع ذلك فأوروبا ـ خصوصا فرنسا ـ مصرة على أن يكون الموارنة سادة لبنان !

إنهم أقل من خمس السكان ومع ذلك فهم أهل القيادة والسيادة لأنهم منحرفون عن العروبة والإسلام يرنون بأبصارهم وبصائرهم إلى أوروبا وحدها .

كان من الممكن أن يتزعم لبنان عربى علمانى بعيد عن الدين كله ، وقد يعجب ذلك روسيا بيد أنه لن يعجب الغرب الذى تبنى المنطقة كلها على النحو الذى يروقه . .

وما يقع فى السودان قريب مما يقع فى لبنان فالخطة المرسومة من خمسين سنة إبعاد أو إضعاف التيار الإسلامى فى أفريقية السوداء ، ومنع العروبة من التسلل جنوبا حتى تنفرد البعثات التبشيرية بوسط القارة وتقضى فيه على كل وجود للإسلام . . !

ومركز السودان خطير فهو همزة الوصل بين شمال القارة وجنوبها . ولن يشفع للحكم العربى فى شمال السودان وجود الصادق المهدى ! الواسع العقل المتخرج من أعرق جامعات إنجلترا .

من يدرى ؟ ربما نزعه عرق إلى جده الكبير ، ربما ارتبط بالواقع الإسلامى فى الشمال !

أولى منه بالتأييد زنجى يسارى يمقت العرب والمسلمين ، ويسلخ السودان كله من تراثه وعقائده ، ولايهم أن يكون النصارى عشر السكان !

وفى فلسطين رضى القتيل ولم يرض القاتل! وقبل العرب جزءا من حقهم يلعقون داخله جراحهم وينجون من التيه الذى بعثرهم فى كل بلد . .

لكن بنى إسرائيل رفضوا ، ومن ورائهم القوى المعادية للإسلام .

إن الرؤى الدينية المسيطرة على القوم أن إسرائيل من الفرات إلى النيل .

فليرض العرب أو ليسخطوا فلا اكتراث برضاهم ولا بسخطهم ، وسوف يمضى الصلف اليهودى فى طريقه لايلوى على شيىء !

لكن هذه الحروب الظاهرة الفاجرة توازيها حرب أخرى أظهر وأفجر يقوم بها كتاب عرب داخل الأمة العربية نفسها ، هذا دكتور ، وهذا مستشار ، وهذا فنان ، وهذا أديب ، وهذا مفكر ، وهذا وهذا .

الجميع يكتبون للقراء الذاهلين أن الإسلام دين لا دولة وأنه ما يجوز أن يقوم باسمه حكم ، وما يجوز أن تنشأ له سلطة وما يجوز أن يتألف حوله حزب .

فى ألمانيا وإيطاليا أحزاب دينية لأنها دول متخلفة !

وفى الولايات المتحدة حضر حلف اليمين الدستورية للرئيس بوش أكبر رجل دين فى أمريكا !

ومنذ أيام كان الرئيس السابق كارتر يطمئن على سير الأمور فى جنوب السودان . . هؤلاء جميعا من دول متخلفة !

إن الدول العربية الراقية هى التى تدير ظهرها للإسلام وحده ، وترسل سماسرة الغزو الثقافى ينبحون قافلة الإسلام وترى أحدهم بين الحين والحين يوجه إليهم طعنة غادرة أو سافرة .

* * *

صدق النية يطفىء آثار الخلاف

الخلاف طبيعة البشر ، وبين آراء الناس وأهوائهم مسافات تتقارب وتتباعد ! وقلما يقع الوفاق التام بين الأفراد والأحزاب ، ولست أتشاءم عندما أرى اجتهادا يغاير اجتهادا ، أو حكما يغاير حكما ، وإنما أتشاءم عندما أستبين بواعث الخلاف ، وبرى فيها ما يسوء . .

وذلك لأن الخلاف العلمىّ النزيه لا حرج فيه ولا خوف منه ، إنما يقع الحرج والخوف عندما يكون سبب الخلاف شهوة خفية أو رغبة مجنونة فى مأرب من مآرب الدنيا ! .

إن تقوى الله تميت كثيرا من أسباب الشقاق ، وتجعل المرء إن كان مخطئا يتراجع عن خطئه ، وإن كان مصيبا لايتحدى بما عنده أو يطلب به إذلال معارضيه .

وقد نظرت إلى أئمتنا الأوائل فرأيت نماذج للخصومة العلمية الشريفة ، فلا إعجاب بالرأى ولا إدلال على المعارض ولاتتبع للسقطات . . وإنما تقرير لوجهة النظر يخدم الحق بالدليل مع نشدان لوجه الله ونفع الأمة . .

المصيبة تكمن فى الاختلاف على المغانم . . والتهارش على إحراز ما يستطاع من هذه العاجلة ، والتوسل إلى الدنيا بالدين ، وسوق النصوص الكريمة ستارا على الرغائب الدفينة ، كما قال أبو العلا :

وكم من فـقـيـه خـابط فى ضـلالة !
وحـجّـتـه فـيـهـا الكتـاب المنزّل !

وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام يحذّر من هذا الخلاف ، ويكشف عواقبه على حاضر الأمة ومستقبلها ، فعن العرباض بن سارية قال :

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب . .

فقلنا : يا رسول الله إن هذه لموعظة مودّع فقال : « **لقد تركتكم على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها ، فلا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ! ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ » . . !**

إن قواعد الدين وشعائره العظمى وأسباب انتصار الإسلام وتمكينه ليست موضع خلاف ونصوصها قطعية الثبوت والدلالة حتى لاتبقى لأحد معذرة . .

أما ما كان ظنى الثبوت أو الدلالة ، فإن تشعُّب الآراء فيه لايقلق مادامت النيات صادقة ومادامت الوجهة هى الله .

وأمامنا فى هذا العصر أمم عظمى تملك البر والبحر ننظر إلى أبنائها فنجدهم متفقين على أصول ! ونجدهم أحزابا فى شئون فرعية هينة .

فهل ضارهم اختلاف الفروع مع إلتقاء كلمتهم على مبادىء واحدة ؟ ألا نحسن الإفادة من الماضى والحاضر ؟

* * *

من خصائص الحضارة الحديثة..

لو أن الحضارة الحديثة بقيت على الأصول التى عرفت بها من خمسة قرون لأفادت العالم كثيرا واستحقت التقدير والثناء ! لأنها من الناحية العقلية احترمت منطق الاستقراء والتجربة والملاحظة .

وأنشأت ضمانات قوية للوصول إلى الصواب والابتعاد عن الخطأ ، ثم نقلت مقرراتها العلمية إلى عالم الصناعة فطفرت بالدنيا كلها طفرة بعيدة المدى . .

أما من الناحية الاجتماعية فقد رفضت الوثنيات السياسية والكهانات الدينية واعتبرت الحكام أجراء لدى الشعوب وأن المناصب العامة أمانات مسئولة ، ومشت فى هذا الدرب حتى أقرّت أخيرا مواثيق حقوق الإنسان وهيئة الأمم ومجلس الأمن . . الخ .

وانتهت الحرب الضارية بين العلم والدين لمصلحة الإنسانية ، والواقع أن الوحى الإلهى النازل على موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام لايمكن أن يجور على الفطرة أو يرجح جنسا على جنس أو يسمح لطائفة من الناس أن تقول : نحن أبناء الله وأحباؤه . .

ولم يكن «راسبوتين» متحدثا باسم السماء عندما أبيح دمه واستحق الإزدراء . .!

ولكن الذين انهزموا فى الحرب التى نشبت بين الدين والعلم فى أوروبا عادوا للعمل مرة أخرى بعد ما غيّروا إشاراتهم وأصلحوا هيئاتهم !

فهل غيروا أنفسهم وأصلحوا أفئدتهم ؟ !

إننى أقرأ بغضب وألم أن الشيوعيين اليهود والعرب يطلبون معايشة سلمية ! ولكن الكثرة الكبرى من بنى إسرائيل تريد ـ وفق نصوص التوراة ـ أن تملك فلسطين كلها . وألا يقوم للعرب كيان ، فليذهبوا إلى حيث ألقت أو يبقوا خدما فى أرض ليست لهم !

والتدين الفاسد له خصائص مأثورة : القسوة والعناد وحرب الإبادة والضنّ على الآخرين بأى شيىء﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ ... ﴾[1] .

الخيانة والغدر وغرائز أخرى هابطة سيطرت على عصابات من المتدينين ، وجعلت للإستعمار الأوروبى والأمريكى وجهاً شديد الدمامة !

وأضعفت الخصائص الإنسانية فى الحضارة الحديثة ، وزيّنت لها إبادة الهنود الحمر فى أمريكا واستراليا ، كما زينت لها استئناف الحروب الصليبية ضد العالم الإسلامى ، واستحيت ضغائن قديمة كان يمكن أن تتلاشى ! وليس ينتظر من التدين الفاسد إلا هذا الحصاد . .

والعرب اليوم يقفون أمام أحقاد القرون ، ويقال لهم : لا بقاء لكم معنا .

فإن لم تقبلوا فراغ الأرض منكم رحّلناكم إلى المقابر .! ! .

وينظر العرب إلى الهيئات العالمية ، وإلى ساسة الدول الكبرى فماذا يجدون ؟

يجدون من يقول لهم : اليهود أصحاب الحق فى الأرض المقدسة وفق نصوص العهد القديم .

وسنبحث لكم عن مكان إلى جوارهم إذا شاءو ا !

ولا يزال عدد كبير من قادة العرب يزعمون لقومهم أنه لا صلة للدين بهذا النوع !!

لماذا ؟ حتى لا يفكروا فى الإسلام .

* * *

(١) سورة المائدة : ١٣ .

العلاقة القائمة بين الملتين وأتباعهما

فى أثناء الحربين العالميتين الأخيرتين وفى أعقابهما قامت دولة إسرائيل .

كانت فى أحشاء السياسة الدولية جنينا نشأ من سفاح ثم نَمَّتْه الخلافات والخيانات الفاشية بين العرب والمسلمين .

وما كاد يولد حتى أصبح ماردا يتحكم ، أو أصبح شرطى المنطقة لدى الإستعمار العالمى ، يضرب به من شاء متى شاء !

وساسة الغرب قبل هذه الحروب وبعدها لم تَخْفَ لهم ضغينة على الإسلام .

لقد قرروا الإجهاز على الخلافة المعتلَّة وأجهزوا عليها ، وقرروا تقليب الأمور على عقائد الإسلام وشرائعه ، فلم يتركوا محفلا رسميا ولا شعبياً ، عالميا أو محليا ، إلا ودفعوه إلى تلك الغاية .

وساسة الغرب ـ كما طالعت تاريخ حياتهم ـ مؤمنون بأديانهم ، أوفياء لها يستوحون ماضيها ومستقبلها وهم يتعاملون مع الساسة العرب . .

اليهود منهم يجهرون بأن التوراة حقّ وأن وعودها لا بد من إنجازها !

والصليبيون يرون أن قيام إسرائيل تمهيد لقيام مملكة المسيح وإشراق مده الإلهى بعد عودته الظافرة . .

أما القادة العرب فما كانوا يدرون شيئا . . !

كثير من الساسة العرب لاينتمى للإسلام إلا كارها ، وقلما يعظم له شعائر أو يحيى له مآثر !

وقد كنت ألحظ أن مفاوضات الهدنة بين العرب واليهود تدور وقت صلاة الجمعة ! ما صلاة الجمعة ؟ لاضرورة للحرص عليها ! على حين يعظم اليهود سبتهم ، ويقاتلون من يَعدو عليه ! .

قليل من الساسة العرب من يحافظ على صلواته اليومية ، ويباشر أعماله بيد متوضئة وقلب منيب ! .

أما علاقات الحكام بالشعوب فإننى أذكر الحديث الشريف عن عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ألا أخبركم بخيار أمرائكم وشرارهم ؟ خيارهم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتدعون لهم ويدعون لكم !

وشرار أمرائكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » .

إننى أقرأ هذا الحديث ثم يخيل إلىّ أن تبادل الحب بين الشعوب والحكام هناك فى أوروبا وغيرها ، وأن تبادل اللعنات يقع فى بلاد تزوَّر فيها الانتخابات وتداس الجماهير ، وتقتحم المساجد . .

إن الأمر جدّ ! والعرب مقبلون على حرب إنقاذ أو حرب إبادة .

فإن إسرائيل قررت جعل كلمة العربىّ التائه بدل كلمة اليهودى التائه وهى تصارح بأنه لا دولة للعرب . . . ولا ظهير لنا فى محنتنا الكبيرة إلا التشبث بالإسلام والمقاتلة دون مسجده الأقصى . . !

يقول «كيسنجر» فى مذكراته : لقد ساندنا إسرائيل طيلة حرب العبور بدوافع تاريخية عديدة وأدبية واستراتيجية وكدنا نعرض بلادنا لخطر الحرب مع الإتحاد السوفييتى ونحن نعانى من فضيحة «ووترجيت» .

إن العلاقة بين الصهيونية والصليبية كشفت عنها المؤلفة اليهودية «توخمان» فى كتابها «التوراة والسيف» وقد شرع بعض كتابنا الأيقاظ يميط اللثام عن أطراف المؤامرة ويحذر قومه عواقب الرقود . . ! !

* * *

ما انتشر الباطل إلا فى غياب الحق..

عرفت نفراً من الملاحدة معرفة عارضة عابرة ! حاورتهم حوارا سريعا كنت فيه على حذر وكانوا فيه على غرور ! لم ألمح فى عقولهم بريق ذكاء و إنما لمحت فى نفوسهم ظلال كبرياء . .

وبعد أخذ ورد سريعين تركتهم لأشم هواء نقيا ، فإنى أنفر من النتن العقلى كما ينفر المرء السوىّ من روائح الجيف .

وآخر ما قلته لأحدهم : أتظن عملية التمثيل «الكلورفيلى» تتم بين الشعاع والنبات بعد عقد وقَّعَهُ كلا العنصرين بمحض إرادته .

إن النبات يأخذ الكربون ، والهواء يأخذ الأوكسجين ، وكلاهما مسخَّر لا إرادة له .

أتظن أن القمر والأرض اتفقا على أن تبعد الأرض ظلها ليلة النصف حتى يستطيع القمر استقبال ضوء الشمس بوجهه كله فيكون بدرا ؟ ! إن كلا الكوكبين مسخر فى مساره لايدرى ما يفعل به .

أتظن أن الحيوان المنوى الذى يحمل خصائص الجنس ومعالم الوراثة من الأقربين والأبعدين يستقر فى بويضة المرأة وهو يعلم أنه يبدأ مشروعا لتكوين إنسان عادىّ أو عبقرىّ ؟ !

إنه أقل من ذلك وأتفه ! إنه جزء من خطة رائعة وضعها غيره !

تدرى من واضعها ؟ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1] .

(١) الحشر : ٢٤ .

أعجبنى قول العارف :

«ياعجبا كلّ العجب للشاكّ فى قدرة الله وهو يرى خلقه ! وياعجبا كل العجب للمكذب بنشور الموتى وهو يموت كل ليلة ويحيا ! وياعجبا كل العجب للمصدّق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ! وياعجبا كل العجب للمختال الفخور وإنما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو بين ذلك لايدرى ما يُفعل به » !

ليس لشيىء فى الكون وجود من ذاته ، وإنما وجوده منحة من قيوم السموات والأرض ، تستوى فى ذلك العناصر الجامدة ، والحشرات الزاحفة والدواب الغادية الرائحة والبشر والجن والملائكة .

إن الإيجاد عمل رفيع المستوى ، أترى أجهزة القمر الصناعى ؟ إنها قد تملأ عشرين قُفَّة ، وإطلاق القمر فى الفضاء يحتاج إلى عشرات العلماء والعمال !

فما ظنك بإطلاق الأكوان فى مدارها ؟ الهيمنة على شروقها وغروبها ؟ كيف يتم ذلك تلقائيا ؟ !

إن الإلحاد جنون !

ولأمر ما دارت آيات القرآن الكريم على تحريك العقل كى يعرف ربه ، ويسبح بحمده .

والفتنة الكبرى أن أهل القرآن أناموا عقولهم وعاشوا بلا وعى ، فكانت غيبوبتهم الفكرية من وراء انتشار الإلحاد وسطوة الملحدين .

* * *

الأمراض النفسية

العبودية الحقة لله أن تنقِّب فى نفسك فلا تجد عوجا إلا قوَّمته ، ولا سيئة إلا محوتها ولا علة مزمنة إلا طلبت لها الشفاء على اختلاف الليل والنهار فلا تموت إلا وأنت برىء منها أو مجاهد لها . .

إن الرضا عن النفس شيمة الصغار ، والغفلة عنها مع اليقظة لأخطاء الآخرين طريق الخسار ! .

وقد وجدت بعض الجماعات الدينية لا تفتأ تحصى مثالب الآخرين وهى فى الوقت نفسه ذاهلة عن عيوبها حتى لتكاد تزعم العصمة ! . .

والاعتزاز بالحق شىء والرضا عن النفس شىء آخر ! الاعتزاز بالحق شعور بفضل الله ، وعظمة ما منح من توفيق ، ورغبة فى نشر هذا الحق حتى لايحرم منه أحد ، وأسى للزائفين عنه والمحرومين منه . . .

أما الرضا عن النفس فهو استكبار بالحق على مَنْ جهلوه ورغبة مجنونة فى الإجهاز عليهم والشماتة فيهم مع ذهول عن العيوب الكامنة والشهوات المصاحبة للأعمال . .

تأمل معى هذا الحوار : « قال رجل لآخر : إني أحبك فى الله ! فقال له الآخر : لو علمت منى ما أعلمه من نفسى لأبغضتنى فى الله ! !

فقال له صاحبه : لو علمت منك ما تعلمه من نفسك لكان لى فيما أعلمه أنا من نفسى شغل . . » .

إن المؤمن العاقل يشغله عيبه عن عيوب الناس ويعلم أنه امرؤ فقير إلى المغفرة العليا ، وإذا كان لديه فضل عليهم فهذا يحسب عليه لا له .

فإن العلم الزائد يتطلب جهدا أكبر لا تطاولا على الخلق وتربُّصاً بهم وفى الحديث **« قال رجل : والله لايغفر الله لفلان ! فقال الله : من ذا الذى يتألى علىّ أن لا أغفر لفلان ؟ فإنى قد غفرت له وأحبطت عملك »** .

أذكر أن شابا لقينى غاضبا أو معاتبا يقول : إنك تجلس بين طلاب حليقى اللحى وطالبات متبرجات ويراك الناس مبتسما لا غضبان وما يسمع منك أمر ولا نهى . أفلا يعذر من كرهك وذمك وأنت على هذه الحال ؟ !

قلت : ما أظن العبوس من لوازم الدعاة ، وأنا أشرح أولا أبجديات الإسلام فى العقائد والأخلاق .

وإذا صح البذْر أتى الثمر فى أوانه ! ويوم يعرف الناس ربهم ويرتبطون به على مبدأ السمع والطاعة فإن ما تطلب وفوق ما تطلب سوف يتحقق . . !

أما قضية ذمّى فلا أدرى ما أقول فيها ؟

غير أنى أحمد الله الذى أسبغ الأستار فلم يمكنكم منى ! .

إنكم تشتهون أن يفتضح الخلق لترضوا أنفسكم وهذا الاشتهاء داء أخبث من المعاصى التى تعيبونها على الناس .

يابنىّ أخشى أن تكونوا شرا من غيركم بهذه الطوايا الكالحة !

إن عاصيا كسير القلب أشرف من واعظ يتطاول على العباد .

* * *

هجوم ذكى متتابع ودفاع أخرق !!

بعد مرور عشر سنين من القرن الخامس عشر للهجرة رأيت أن ألقى نظرة على الصحوة الإسلامية لأستبين حالها ، فلاحظت أن العالم الإسلامى يلاقى تحديات تكاد تغلب قواه المحدودة ومن هنا فإن صحوته توقفت فى بعض الميادين ، وتتأرجح بين الثبات والتقهقر فى البعض الآخر . .

وهناك فوضى علمية وخلقية واجتماعية تثير الكآبة فى نفوس المراقبين . .

أما فى المعسكر الآخر فالوضع يخالف ما لدينا كل المخالفة ، اليهود ماضون فى طريق غايته هدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان ، وهم يتقدمون خطوة خطوة ، ولم أرهم تراجعوا يوما .

والنظام الشيوعى فى أفغانستان يرسخ أقدامه ، ويريد سلخ البلد المحروب من دار الإسلام .

وكل قلة إسلامية على ظهر الأرض تقاوم المغيرين ببأس شديد ، وتكاد تفقد الأمل ! وبعضها مات ونسى قبره كمسلمى كمبوديا وتايلاند وعشرات الملايين فى الإتحاد السوفييتى وعشرات الملايين فى الدول الناطقة بالإنجليزية أو الناطقة بالفرنسية .

وزعماء «العالم الحرّ» لاينسون أبدا انتماءهم الدينى ، وذاك شيىء لايلامون عليه ! وإنما يتجه إليهم الملام عندما يتحول ذلك إلى إهانة للإسلام وازدراء لأمته !

إنه بعد استضافة جامعة اكسفورد للمرتد الهندى سلمان رشدى ، استضافه «مستركنك» زعيم حزب العمال وأقامت هيئة الإذاعة البريطانية ما وصف بأنه حفل تكريم للمرتد المحقور . .

وفى الوقت نفسه أذن وزير الثقافة الفرنسى لشركة نشر كبرى أن تطبع رواية آيات شيطانية لتنتشر فى فرنسا وغيرها من الدويلات التابعة .

ويوالى «مستر كارتر» زياراته لأفريقية الوسطى ، والحبشة وجنوب السودان متعهدا البعثات التبشيرية وحالاً مشاكلها وممهدا أمامها الطريق .

أما ساسة العالم الإسلامى فإن القوميات التى يخدمونها ـ وأولاها القومية العربية ـ تؤثر العنوان العلمانىّ على غيره ، وتسمع الصيحات الإسلامية باستنكار ، والغريب أن اللغة العربية فى ظل هذه القومية تضمحلّ وتترنح ، فلا ترى فى الشارع العربى ، ولا فى مجال المصطلحات الحديثة ، ولا فى ميادين العلوم والآداب . . ولاعجب فاللغة تزدهر مع الحسّ الدينى ، وهذا الحس يطارد بدهاء ، وإلحاح .

على حين تنجح فرنسا فى مدّ إذاعتها الذكية إلى غرب العالم العربى وشرقه وهى مشكورة ! ثم يسمع رأيها فى موارنة لبنان باحترام شديد . . !!

والجماهير الإسلامية تحيا فى واد آخر ، تزعم أنها تريد خدمة الإسلام ، وهى لاتحسن صنع الرغيف الذى تأكله ، أو السلاح الذى تحمى به شرفها !!

ولها فى تناول تعاليم الإسلام مسلك مدهش . .

فالإيمان بضع وسبعون شعبة ، فيها الأعلى وفيها الأدنى ، فيها الأصل وفيها الفرع ، والأولويات تختلف عند التطبيق يقينا .

وإذا أنت أمام صيّاح متهدج الصوت يريد رفع السقف قبل إقامة الجدران ، أو إقامة الشريعة قبل إرساء العقيدة !! ولايكاد يطاع لفقيه أمر !!

إن الصحوة الإسلامية فى موقف حرج ، ومن الكذب القول بأنه مقنط ، ولكن على أولى الألباب تدارك الموقف ، وتصحيح المسار .

***

أرباح وخسائر

حراس الإسلام نائمون ، وداره مهددة من النوافذ والأبواب ، والهجوم يتجه إلى الأطراف والقلب معا ، والهاجمون تراودهم الأمانىّ أنهم هذه المرة منتصرون ، وأن حظهم سيكون أفضل من حظوظ آبائهم الأقدمين .

بل إن الصليبية الحديثة وقتت للقضاء على الإسلام أجلا فى أفريقية وأجلا آخر فى جنوب آسيا ، والخطة المعلنة ألا ينقضى هذا القرن العشرون حتى ترفرف راياتها على أقطار فيحاء ، ينسحب الإسلام منها أبدا . .

أما فى صميم الدار ، والعواصم القديمة فالغزو الثقافى يعمل دائباً على توهين الإيمان وإضعاف الأخلاق ، وإشاعة الإلحاد وبث الفساد وتعليق الشباب بالدنايا والجراءة على شرب المسكرات والمخدرات .

والويل لأمة تضيِّع الصلوات وتتبع الشهوات ، إنها تحيا يومها شبحا وتلقى غدها وهى رفات ! .

وأما الأطراف الممتدة فى وسط أفريقية وغربها وشواطىء الهادى والهندى فقد استغلت البعثات التبشيرية أزمات الجفاف المتلاحقة ، ومصائب الجوع والمرض والضياع ، وشرعت تعمل عملها فى سرقة العقائد .

وقد أعلنت أن المسيحيين زادوا ١٣٪ هذه السنة وتوشك أن تتحقق الأحلام فى السنين القادمة .

وأنا أعلم أن ملاجىء الأطفال استقبلت الألوف من يتامى الحروب والفتن التى نشبت هنا وهناك ، ومع أنهم أولاد مسلمون بالنسب والوراثة ، فقد مُهِّدت لهم حياة جديدة لا صلة لها بما كان ! .

والمسئولية تقع على رأس الأمة الإسلامية التى لاتدرى ما يصنع بها ولا ما يبيت لها . .

إننى أرفع عقيرتى محذرا من الغارات السرية والعلنية التى نتعرض لها فى كل ميدان والتى تسربت تحت أكثر من عنوان . .

يجب أن يحيا الإنتماء الإسلامى ويقوى ويعود سيرته الأولى ، وأن نوقظ الجامعة الإسلامية من سباتها لتتحرك بمشاعر الأخوة المتماسكة المتراصّة . .

وقد ذكرت فى حديث سبق أننى عندما زرت أوغندا قال لى رجل أشيب ـ وهو يعتب ـ لماذا جاء آباؤكم إلينا بالإسلام إذا كنتم أنتم تتركوننا ، ولا تهتمون بأمورنا . .؟

وقد تعاون معهد الفكر الإسلامى بأمريكا مع الجامعة الإسلامية بالجزائر على إرسال بعثة صغيرة إلى وسط القارة المهجورة ـ أفريقية ـ فاستقبلت استقبال الفاتحين ، وهرعت الجموع إليها مستبشرة ، وكأنهم يقولون : أين أنتم؟ إننا إليكم بالأشواق ! .

علينا أن نتحرك لنواجه زحوفا مادية وأدبية تريد القضاء علينا ولا تستحى من المصارحة بأن الإسلام ينبغى أن يلقى ضربة قاتلة مع نهاية هذا القرن .

علينا أن نشكل من أجهزة الدعوة كلها خطوط دفاع جديدة ترد البلاء المقبل .

* * *

دراسة واجبة لغارات محمومة!

إذا لم يدرس الإسلاميون الميدان الذى يعملون فيه ، والقوى التى تخاصمهم فإن مستقبل الصحوة الإسلامية تكتنفه المخاوف !

هناك أبجديات لنجاح الدعوات تكاد تكون مختفية بيننا على حين تتوفر فى صفوف الآخرين على حد معجب . . فحكماء صهيون يقودون الشعب اليهودى فى السر والعلن قيادة حكيمة تجمع بين العلم والإخلاص ، وتجعل مؤتمراتهم المحلية والعالمية خطوات رتيبة فى الحفاظ على مستقبل القوم . .

ومجلس الكنائس العالمى إلى جانب أجهزة الفاتيكان خلايا مائجة بالنشاط البشرىّ الدءوب لنصرة الصليبية وتوسيع دائرتها وتوهين ما يعترضها من عقبات . . القيادة تأمر ، والجماهير تنفذ ، ولا مكان لغبىٍّ يشير أو لشاذ يشغب . .

أما الجبهة الإسلامية على امتداد المحيطات الثلاث ، فليس هناك ما يجمعها أو يفكر فى حمايتها أو يهتم برسالتها . .

ولأترك المجال العالمى إلى المجالات المحلية اليتيمة ! إن أمتنا غنيّة بأولي الألباب ولكنى لا أعرف أمة تضع السدود أمام عقلائها كالأمة الإسلامية ، الرأى فيها لمن يملك الكلام لا لمن يبصر الحق !! والغلبة لمن يملك العصا لا لمن يسوق الدليل ، والسفهاء يطاردون العباقرة حتى يخلو منهم الطريق ! !

وأنا مع أبى الطيب المتنبى فى بغضه للجاهل المتعاقل ، والقاصر المتطاول وقوله فى حكام المسلمين على عصره :

فى كل أرض وطئـتـهـا أمم ... ترعى بعـبـد كـأنـهـا غنم

وفى ميدان التدين خاصة استغرب أن يتصدَّر للفتوى من لا فقه له ، وأن يتقدم

للرياسة من لا ثقافة له ، وأن يتطوّع بالرأى فى شئون العامة من لا يُؤْمَن على إدارة دكان ! !

وفى تاريخنا القريب والبعيد وجدت من هؤلاء من يطعن الأئمة ويناوش القمم ، فقد روى ابن مردوية أن رجلا من الخوارج نظر إلى سعد بن أبى وقاص وقال : « هذا من أئمة الكفر !

فقال له سعد كذبت أنا قاتلت أئمة الكفر ! فإذا وغد آخر يظاهر زميله يقول عن سعد : هذا من الأخسرين أعمالاً ! !

فقال سعد : كذبت ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه » .

وسعد بن أبى وقاص هو القائد الذى قوض دولة الفرس ، وكانت نصف الدنيا ، وانتصر فى معركة القادسية التى محت تاريخا وأثبتت تاريخا ، وقد نهض البطل بأعباء القيادة وهو مريض يرسل بأوامره من على فراشه للفرق المشتبكة مع عمالقة الأرض ، فما غلبه الألم على فكر أدال الله للمسلمين ، واكتسحوا الميدان .

ومع ذلك كله ، فإن فتى غرّه أن قرأ شيئاً من القرآن ، أو نظر فى بعض كتب السُّنة ، أو صلى ركعتين فى جوف الليل أو فى أوله يحسب أن ذلك يمنحه الجراءة على تصغير الكبار وتكبير الصغار ! ! .

إننى أنصح العاملين فى ميدان الصحوة الإسلامية ، أن يزدادوا علما ، وأن يزدادوا تواضعا لله وللناس ، وأن يعطوا كل ذى فضل فضله ، وأن يريدوا الله بأعمالهم ، وأن يدركوا حقيقة قد تغيب عن كثيرين ، إن من يَسْرِقُ مكانة ليست له شر من سُرَّاق البضائع والأموال .

* * *

حلفاء إسرائيل أيقاظ..!

يقترف اليهود فى فلسطين جرائم لامثيل لها فى كل دول الأرض ! إنهم ينسفون بيوت العرب المجاهدين - أو المتهمين بالجهاد - فتتحول هذه البيوت إلى أرض فضاء ، كأن لم تغن بالأمس ، ويتوارثها أحفاد عن أجداد . .

والعالم يعرف ذلك معرفة اليقين ، والأمريكيون خاصة يرون بأعينهم ما يفعل حلفاؤهم ، ومع ذلك فالعرب إرهابيون واليهود ناس طيبون !

وقد قتل اليهود من أمد قريب «كونت برنادوت» ممثل الأمم المتحدة ، وذهب دمه هدرا ! وقتلوا «لورد موين» الوزير البريطانى فلم يغضب له مواطنوه ! وقاد «اسحاق شامير» عصابة من أشد العصابات سفكا وفتكا ، ومع ذلك فإن الأمريكيين يعمون عن ذلك كله ولا هم لهم إلا اتهام « ياسر عرفات » بالإرهاب ، لأنه يمثل المقاومة الفلسطينية !

ومنذ بدأت الإنتفاضة الفلسطينية ضد الإستعمار الصهيونى ومئات القتلى وآلاف الجرحى يتساقطون صرعى خصوصا الشباب فى مقتبل العمر ، بعد الأطفال والصبية ، والأمريكيون الذين يقولون عن أنفسهم : إنهم شعب مؤمن ! لايلقون بالا لهذه التضحيات ولاتهتز لها ضمائرهم !

أى إيمان هذا الذى يزعمون ؟ ثم كان ما فضح تعصبهم وضغائنهم على العرب ، كان القرار الطائش بمنع عرفات من التحدث إلى هيئة الأمم فى مقرها بأمريكا .

والقرار وليد قلب غلّفته القسوة وحيف أطغاه الهوى ! فهل يحق بعد ذلك للشعب الأمريكى أن يقول : نحن شعب يؤمن بالله ؟ هل الله عندكم يأمر بالفحشاء والمنكر ؟ هل الله عندكم يأمر بتجنيد كل القوى ضد شعب صغير يريد أن يحيا آمنا مسالما حتى يبيد أو يستذل ؟ « بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ »[1] لكنى لا ألوم

---

(١) سورة البقرة : ٩٣ .

الذئب الطامع فى القطيع ! إنما ألوم العرب المسترسلين الغافلين ، وأقول لهم : ما حولكم قطعانا فى عالم يصح فيه المثل القديم «من لم يتذأب أكلته الذئاب» .

إن الأمريكيين افترسوا الهنود الحمر ثم ورثوا أرضهم قسرا ، وهم يريدون تكرار المأساة نفسها حتى يرث اليهود أرض العرب فى حرب إبادة من أوضع الحروب التى وعاها تاريخ العالم . .

إن الذين ينتظرون عدالة بشرية أو نزاهة أخلاقية عند أولئك المتعصبين الحاقدين إنما يؤملون فى سراب خادع . . !

على العرب أن يصلحوا ذات بينهم وأن يُسوُّوا صفهم وأن يكافحوا بكل ما فى أيديهم ! ولأن يموتوا شرفاء وهم يقاومون الاستعمار الهاجم أفضل من قبول سلام يفرضه الجزارون فيه شبه حياة اليوم والموت المجهز غدا . .

* * *

نكبات المتشبثين بالحق

لعلّى أخفّ أهل الإيمان عذابا مع أنى اعتقلت وأهنت على عهد فاروق وعهد عبد الناصر ! إن الله رحم ضعفى وحمل عنى ، فى الوقت الذى كان فيه المئات والألوف يتعرضون لعذاب تشيب منه النواصى ! زهقت فيه أرواح كثيرة ، وخرجت منه جماهير بعاهات وذكريات رهيبة . . !

إن دعاة الإسلام وأنصاره لقوا فى نصف القرن الأخير معاناة تقشعر منها الجلود ، وقد ترك ذلك فى نفسى جنوحا إلى كراهية الظلم ، ومحبة الحرية وتجاوبا مع كل صيحة تقدر حقوق الإنسان وتصون كرامته . .

وأعرف أن طوائف كبيرة من الناس تعرضت للاضطهاد والفتنة بسبب مذاهبهم وعقائدهم ، وقد كشفت الأيام الأخيرة عن حمامات الدم التى طاحت فيها ملايين على عهد « ستالين » فى روسيا ، وعن المذابح الجماعية التى تمت فى أثناء الثورة الثقافية بالصين على عهد الزعيم «المحبوب» ماو !

الحق أن الإستبداد السياسى طاعون يأكل الأخضر واليابس ، ويهلك الحرث والنسل ، وأن أحرار العالم يجب أن يتعاونوا ويتساندوا ليقضوا على هذا الوباء إذا ظهرت له جرثومة فى قطر من الأقطار .

إننى أحب حرية الرأى - وهى غير حرية الهوى - فحرية الرأى من خصائص العقل الإنسانى ، أما حرية الهوى فارتكاس حيوانى يهوى بقيمة الإنسان ويذهب بعقله . .

ومع أن العقيدة الدينية أغلى شىء فى الوجود ، فإنه لم يقع قط أن أحدا من أنبياء الله أكره أحد على دين . .

إن هؤلاء المرسلين الكبار كانوا يقاومون من ضنّ على غيره بحرية الإيمان كما صور ذلك القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ .. ﴾[1]

(١) إبراهيم : ١٣ : ١٤ .

ويبدو أن التاريخ يعيد نفسه فى أقطار شتى ، فالسكارى بخمرة القوة يقولون للمؤمنين الضعفاء : لا مكان لكم بيننا مادمتم متمسكين بالله ووحيه !! .

وعقبى هذا العراك معروفة وإن فدحت المغارم وتتابع الشهداء . . ! لكن كلمة استوقفتنى طويلا وأنا أرقب عراك المبادىء فى دنيا الناس ! فإن كاتبا ماركسيا قال لأحد الإسلاميين : تريدون العودة إلى محاكم التفتيش؟ فضحكت ساخرا وأنا أقول : قد تكون العودة إلى عهد « ماوتسى تونج » أو « ستالين » رسل الحرية فى الأرض ، وغارسى الجنة الخضراء فى ثراها العريض !! .

إن محاكم التفتيش أيها الأحمق دون ما صنعتم بالناس عندما انتصرتم وتسلمتم زمام السلطة ! فكيف يجرؤ أحدكم على مخاطبة المعذبين فى الأرض بهذا اللغو ؟ .

إن حملة الإسلام يكافحون وسط أنواء هائلة ، ولاينشدون إلا حرية الكلمة فكيف يتهمهم أتباع « ماو » ، و « شامير » ، وغيرهما بأنهم أعداء الحرية ؟ إن الحرية الواعية أثمن هدايا السماء إلى الأرض .

* * *

المخدوعون برنين الكلمات !

يرى بعض المعلقين السياسيين أن أمريكا تحتضن «إسرائيل» وتحميها لأنها خطّها الأمامى فى مواجهة الروس ، وقاعدتها فى الدفاع والهجوم إذا ما وقعت حرب عالمية ثالثة !

وهذا الكلام لايصوّر الحقيقة أو لعله يصوّر جانبا تافها منها ! أما الحقيقة الدميمة التى يراد إسدال حجاب عليها فهى أن الامبراطورية الأمريكية تكره العرب بدوافع صليبية وصهيونية ومن ثم فهى تحيف عليهم ، وتشوه مواقفهم ، وتظاهر عليهم كل عدوان !

وهى تتلقى هذه المواريث الشريرة من إمبراطوريتى إنجلترا وفرنسا السابقين اللتين خاصمتا الإسلام بضراوة ! وأنزلتا بالعالم الإسلامى كله ضروب الهوان . .

وإذا كان المسلمون الآن موزعين على عشرات الدول ، وإذا كانت ريحهم ذاهبة ، وعصاهم مكسورة فمن أثر هذه السياسات المتعصبة الكنود !

هل لسيرة عيسى عليه الصلاة والسلام مدخل فى هذه المواريث ؟ كلا .

فعيسى إنسان مهذب جليل يؤثر الرحمةعلى العقوبة ويقدم العفو على القصاص ، ويقيم العلاقات بين البشر على أساس السماحة والفضل ! فما الذى يقع الآن ويؤيده الأمريكيون المؤمنون ؟ ! ! .

إن الفلسطينى البائس يسمع التهمة الكاذبة توجه إليه ، ثم يسمع الحكم القاسى يصدر عليه ، فإذا بيته يهدم وأهله فى العراء ! وإذا هو حبيس السجن أو طريد وراء الحدود ! !

فى أى قطر من أقطار العالم تهدم مئات البُيوت على هذا النحو المتوحش ؟ ولماذا يسكت الأمريكيون المؤمنون على هذه المسالك ؟ ويعينون أصحابها ؟

ويقول اليهود : هذه الأرض وهبها الله لأبينا إبراهيم من أربعين قرنا ! فلنسلّم جدلا

بهذه الفرية ! إن إبراهيم أنجب إسماعيل واسحاق ، واسحاق أنجب إسرائيل «يعقوب» فلماذا يحرم الإبن من الصلب حقه فى الميراث ؟ ! ويؤول الميراث كله إلى الحفيد ؟

وكيف يجيىء أفاقون من بولندا وروسيا وكندا وغيرها ليقولوا نحن بنوا إسرائيل نريد حقنا فى التركة ؟ بل يقولون : هذه التركة كلها لنا ! أما العرب أولاد إسماعيل فليس لهم شىء .

إن المحتال الأمريكى «كاهانا» ـ وهو فى الوقت نفسه ـ إسرائيلى ـ ينادى بطرد العرب وتشريدهم بعيداً عن أرضهم ! .

والواقع أن هذه خبيئة المستعمرين اليهود للأرض العربية ، يطرح بها البعض ، ويداريها آخرون يتربصون الأيام لإظهارها . . والأمريكيون المؤمنون يعلمون هذا ويبتسمون !

إن لأمريكا أصدقاء من العرب يترفعون بها عن هذا الإسفاف ، ويصدقون ما يشاع عن استمساكها بحقوق الإنسان وكرامات الشعوب ، ويطالبوننا بإحسان الظن وارتقاب الخير . . !

ونحن نقول لأولئك الطيبين ﴿ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[1] .

* * *

(١) سورة هود : ١٢١ : ١٢٢ .

هذا ديننا

رأيته واجما تكسو وجهه مسحة حزن بعد أن قرأ نتائج الإنتخابات التى جرت أخيرا بين اليهود ! قال : إن بنى إسرائيل رفضوا السلام ، وقرروا المضىّ فى حرب العرب ، والمستقبل مليىء بالنذر ، فنظرت إليه ضائقا راثيا وقلت : أنت كغيرك من الناس تعيشون فى وهم كبير ، وما أدرى كيف يتمّ إخراجكم منه لتعرفوا الواقع هنا وهناك .

ثم قلت غاضبا : إننى أخاف على مستقبل فلسطين من العرب أكثر مما أخاف اليهود ! أكنتم تحسبون أن حزب العمل الإسرائيلى يقدم لكم القدس عاصمة لدولة فلسطين ؟ ! بعد مؤتمر دولى تُتبادل فيه الابتسامات ؟ هذا هو الغباء بعينه !

قال : ماذا تعنى ؟

قلت : ألفتُ نظرك إلى ثلاثة أمور تعرف منها الجواب الأمر الأول : لقد تمت الانتخابات فى إسرائيل وعلم الناس فى المشارق والمغارب بنتائجها ، ما شكّ أحد قط فى صدق هذه النتائج ، ما اتجهت إصبع الاتهام إلى حاكم أو محكوم ، كانت نزيهة أمينة ١٠٠٪ تصوّر رغبات الناس فيمن يريدون توليته أو تنحيته ! أفكذلك تكون الانتخابات فى أغلب الدول العربية ؟ إن التزوير عملة متداولة .

وحيث ينتشر تستخفى فضائل الصدق والشرف والثناء .

والنصر لايحالف هذه البيئات . .

وهناك أمر ثان جدير بالتأمل ، لقدكسبت الأحزاب الدينية نحو عشرين مقعدا ، والأحزاب اليهودية كلها تقوم على مقررات التوراة فى تخطيط أرض الميعاد فهى موصولة بالدين دون ريب ، أما ما يسمى بالأحزاب الدينية فهى جماعات المتطرفين والمغالين والمتشدّدين .

إن الأحزاب الكبيرة شرعت تسترضى هؤلاء وتتألف قلوبهم وتتلمس الحيل لجرّهم إليها . .

أما فى العالم العربى حيث يوصم المتدينون بالتطرّف ، فإن السياط تهوى على الأجسام واللطمات والركلات تتناولهم ظهراً لبطن ، بل لقد اخترعت لهم أساليب من التعذيب لاتخطر ببال .

إن المعتدل هناك يقود المتطرف أما العرب فبأسهم بينهم شديد ! .

والأمر الثالث الذى أختم به هو التفاوت الواسع بين الأسلحة ، إن اليهود اختاروا سنة الإنتفاضة ليطلقوا قمرهم الصناعى .

وكأنهم يقولون للعرب : فتيانكم داخل فلسطين لايزالون يحاربوننا بالحجارة ، مايملكون غيرها ، وأنتم معشر العرب حيث كنتم تشترون أسلحتكم من أصدقائنا ، وتستوردون العلم من الخارج فلا ينشأ بين ظهرانيكم . شتان بيننا وبينكم . . !

من أجل ذلك قلت إننى أخاف العرب على فلسطين أكثر مما أخاف اليهود ! بل إننى أخاف العرب على دينهم ودنياهم جميعا .

إن هناك تفاوتا اجتماعياً وسياسياً وحضارياً يجب أن يختفى على عجل ، ولن يتحقق ما نصبو إليه حتى يستمسك العرب بالدين الذين شرفوا به أولا ، ولن يشرفوا بغيره أبدا .

* * *

الغنى من العافية....

أكره الضيق والقلة ، وأحب السعة والوفرة ، إلا أن يكون ذلك من مصدر مريب أو من ناحية مشبوهة ، فعندئذ أقرر الصوم ، وألوذ بالفرار ، وعلى لساني قول القاضي الجرجاني رحمه الله :

يقولون : هذا مَوْرد قلت : قد أرى ولكن نفس الحر تحمل الظما . .!

أما المورد السائغ العذب فلا معنى للبعد عنه أو الزهد فيه ، وهو عندي شعاع من حسنة الدنيا التي ندعو الله بها ، أو من زينة الحياة التي هي حق عباد الله المؤمنين به . .

وأذكر أن أحد الصحابة كان يدعو بهذا الدعاء : اللهم أعطني كثيرا فإن القليل لايكفيني . .

ومن المهم أن يأتي هذا الكثير مما أباح الله ، وألا يكون عائقا عن أداء الحقوق وفهم طبيعة الحياة المؤقتة التي نحياها . . .

أعني إيثار الدار الآخرة في مواقف الموازنة والاختيار التي تعرض للناس في اختيارهم الطويل هنا . .

وأعرف أن طبائع الناس تختلف ، فقد سئل غاندي : لماذا تركب الدرجة الثالثة في القطار ؟

قال : لأنه لاتوجد درجة رابعة ! ! وظن أن ذلك الموقف الخشن تفرضه زعامة غاندي لشعب بائس أذله الإستعمار الإنجليزي ، ودحرجه إلى درك بعيد !

والناس يحسبون الدين رضا بالدنيّة ، أو ركونا إلى البأساء والضراء ، وانصرافا متعمدا عن مباهج الحياة . .

وهذا خطأ إلا أن يفرض الجهاد على الأمة التحمل والشظف ، فهنا توجب الرجولة أن نتحمل ونصابر ونقبل الواقع دون ضجر !

أعجبنى قول ابن الجوزى : « مازال جماعة من المتزهدين يزرون على كثير من العلماء إذا انبسطوا فى مباحات ، والذى يحملهم على هذا هو الجهل فلو كان عندهم فضل علم ما عابوهم ، وهذا لأن الطباع لاتتساوى ، فرب شخص يصلح على خشونة العيش ، وآخر لايصلح على ذلك ، ولايجوز لأحد أن يحمل غيره على ما يطيقه هو ، إن لنا ضابطا هو الشرع ، فيه الرخصة وفيه العزيمة ، فلا ينبغى أن يلام من حصر نفسه فى هذا الضابط ، ورب رخصة كانت أفضل من عزائم ، لتأثير نفعها ، وحسن عاقبتها » أ . هـ .

وكلام ابن الجوزى فى تربية النفس ، وإحسان رقابتها يشبه قول البوصيرى فى الموضوع نفسه :

وأخس الدسائس من جوع ومن   فرب مخمصة شر من التخم

إن الإسلام لايعلن حربا على الجسم ، وإنما يستعين بقواه على إقامة الفرائض ، وترك المحرمات ، ولايعلن حربا على الدنيا ، وإنما يجعلها معبرا لما بعدها ! وأى حرج فى أن يكون الجسر متينا أمينا ؟

إن المعتلّين بدنا وروحا لايجوز أن يعرقلوا النشاط الإنسانى باسم الدين فالدين صحة عقلية ونفسية قبل كل شىء .

* * *

القيمة الذاتية للإنسان الخامل..

من خمسين سنة وأنا أرقب العلاقة بين العمل والعمال ، وبين العمال والملاك ، وبين أولئك جميعا ورجال الحكم وتنقلت بين أقطار مستقلّة ومحتلّة ، فوجدت هذه العلاقة تتردد بين الفعل ورد الفعل ، وقلما يضبطها فقه إسلامى راشد أو خلق إنسانى نبيل .

شاهدت الفلاح عندنا ـ من نصف قرن ـ يمضى عقد الإيجار فيوقع على بياض تاركا للمالك أن يضع من الشروط ما يشاء ، وغالبا ما كان يزرع القمح ويأكل الطين ، أو يزرع القطن ويحيا شبه عريان ! .

والغريب أنه كان غزير الإنتاج يملأ الوادى سمنا وعسلا . .

ثم حدثت ثورة قلبت هذه الأوضاع ، فإذا الفلاح يملك الأرض فلا يجيد استغلالها ، وإذا هو يشارك فى المجالس التشريعية العليا ، وله ولسائر العمال أكثر من نصف الأصوات !

وما حدث فى مصر يشبه ما حدث فى الجزائر حذوك النعل بالنعل ! فإن الفلاح هناك كان تحت هيمنة المستعمر الفرنسى يجعل البلاد تصدِّر القمح إلى أوروبا ، فلما استقلت الجزائر أصبحت تستورد القمح من الخارج !

لاريب أن هذه نتائج تستدعى التفكير العميق ، وعندى أن القفز من الفعل إلى رد الفعل يرجع إلى جهالة الثوار وجراءتهم على الإصلاح بنقل نماذج شيوعية أو شبه شيوعية إلى أرض ترفضها كما يرفض البدن الأعضاء البديلة .

إن المزارع الجماعية فشلت فى روسيا فكيف تنجح فى الجزائر ؟ والعمال الذين يصلحهم الإنصاف المعقول كيف يتحوّلون إلى مُشرِّعين يزاحمون أهل الذكر وأصحاب الاختصاص ولهم نسبة ترجّح كفتهم فى كل نزاع ؟

إن ردود الأفعال الجامحة قد تكون أبعد عن الصواب من الأخطاء القديمة !

ومن ثم أمرٌ مهم ، إن الله يمنع بركته ممن يعرفون الحق ويجحدونه ، وإذا كان الشيوعيون الحمر فى روسيا والصين لا بصر لهم بالإسلام فهم يخبطون فى مسالكهم الاجتماعية خبط عشواء فما عذْر الثائرين المسلمين إذا كنا قد أريناهم من الإسلام ما يكفى ويشفى فهجروه عامدين ؟

من أجل ذلك لم أعجب عندما افتقرت جماهير العرب إلى القمح واللبن وصنوف الضرورات الأخرى فمدُّوا أيديهم إلى أمريكا وأوروبا مقترضين أو مُسْتَجْدين . . !

وكثير ما ساءلت نفسى : هل نحن شهداءُ على الناس ؟ كان أسلافنا كذلك يوم قال الله فيهم : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]

أما الآن فبم نشهد على الناس ؟ هل بلّغنا الغافلين وعلّمنا الجاهلين ؟ إننا يوم نزعم للأوروبيين والأمريكيين أننا شهداء عليهم فسيقولون لنا : اخسؤوا فأيديكم السفلى وأيدينا العليا ، إننا نطعمكم من جوع ، وإنكم تتعلمون منا ما يرفع مستواكم البشرى !

وهذا الجواب هو أحقُّ ما يؤوَّب به من نام عن مواريثه الرفيعة وعاش على ظهر الأرض يحسب فى ميزان العمل عُشْرَ إنسان أو تُسْعَ إنسان ولا يملك إلا الإدعاء والمكابرة . .

* * *

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

الردة الحديثة..

الارتداد دميم الوجه مقبوح السريرة ، ونحن قد نصم بالارتداد مسلك فرد انقلب علي وجهه ، وهذا حق ! ولكن الخسران الأعظم هو ارتداد أنظمة تيمن على السياسة والثقافة ، وتحرِّك المجتمع والدولة . . !

وقد لاحظنا أن هذا الارتداد العام يتسم بقسوة القلب وظلام الفكر وقلة الإنتاج ، وأن الأمم فى ظلّه تتقهقر حضاريا ، وتنتشر فى كيانها الجراثيم الفتاكة ، وتضعف فى الداخل والخارج .

ثم تلقى بعد فشلها فى الحياة الدنيا ما ينتظرها من عقاب فى الآخرى مصداق قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾[1] .

ولنذكر أن المسلمين فى حياة رسولهم العظيم فقدوا بضع مئات من الشهداء وهم يقاومون الوثنية وينشرون التوحيد ، أما فى مقاومة الارتداد الذى حدث فى أعقاب انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى فإن الخسائر زادت أضعافا ، ولم يقمع الصديق رضي الله عنه فتنة المرتدين إلا بعد مسيرة طويلة من مواكب الشهداء . . . ذهبوا إلى الله راضين مرضيين بعد أن ثبتوا أعلام الحق وصانوا بيضة التوحيد !

والأنظمة المرتدة فى العالم الإسلامى تتبع خطى مسيلمة فى إراقة الدماء ، وغباء الرأى ، وشؤم المسلك ، إن قتل الألف كقتل الواحد ، وقتل الواحد كقتل ذبابة ! وقد رأيت مقاتل الإسلاميين فى أقاطر شتى ، فوجدتها أضعاف ما قتل الإستعمار العالمى فى طغيانه الممتدّ ، وأضعاف ما قتل الصهاينة من عرب فلسطين ! .

إن الأنظمة العلمانية المنسلخة عن الإسلام لاتتقى الله فى معاملة الغير أو فى معاملة من ينكر عليها ارتدادها ويريد أن يستبقى الأمة على دينها .

(١) سورة البقرة : ٢١٧ .

وقد نشأت عن ذلك أوضاع نفسيّة هامدة وأوضاع اقتصادية فاشلة .

طالعت تقريرا للبنك الدولى عن الإنتاج الأفريقى فرأيت العجب من قلة تسرف على نفسها وكثرة متماوتة فى مكانها ، وإنتاج لنصف مليار من السكان لايساوى إنتاج أصغر الدول فى أوروبا . .

قلت : ما أشبه هذه البلاد بأغلب البلاد فى عالمنا العربى الذى يأكل كثيرا ويعمل قليلا ويغتال قويه ضعيفه وينسى الجميع ربّهم . .

إن التزاحم على اقتسام نهر الفرات شديد بين تركيا وسوريا والعراق ، وما أحسب أحدا خطر بباله قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ .[1]

وما النيل يغيض أحيانا ويفيض حينا لعلّ ورّاده يذكرون من أجراه ويتقون الله ! فهل من مدّكر ؟ .

إن للأنظمة المرتدة حسابا آخر غير حساب الأنظمة الكافرة ! إنه حساب أقسى وأنكى فليس من يعلم كمن يجهل .

لعل من معالم هذا الحساب هو الفشل فى الدنيا قبل الخزى فى الآخرة . .

ترى ماذا قدم جبابرة العرب الذين زعموا أنهم فينا عباقرة ؟ ! ماذا قدموا لأمتهم الضائعة ؟ وتَدَلُّلُ إسرائيل ، وتذللنا نحن فى المحافل الدولية ، والكساد والبطالة والحيرة ! ! .

ماذا لو عادوا إلى الإسلام ؟ وتابوا عن فتنة الجماهير المكروبة ؟ .

* * *

(١) سورة الملك : ٣٠ .

نصيحة خالصة..

رأيته مشمرا عن ساعد الجد ، متجها إلى المسجد ليلقى درسا ضد مذهب الأشاعرة ! فقلت له : على رسلك ، هناك ما هو أهم وأجدى تستطيع أن تقوم به وتنال من الله أجرا كبيرا عليه !

قال : ماذا تعنى ؟ لاشىء أهم مما عزمت عليه !

قلت : يا أخى هناك الآيات المحكمات اللاتى هن أم الكتاب ، إنها بحاجة إلى الفهم الحسن ، والخدمة الجيدة والحماية الواسعة والقوى المتساندة لأن إهمالها ظاهر والهجوم عليها متتابع !

قال : محاربة البدع أهم !

قلت له : إن بدعا كثيرة سوف تختفى من الحياة عندما نتعاون على إقامة السنة وتوسيع دائرتها وتبصير الناس بها ! والنصوص المحكمة التى هى أساس الدين وقوام حياته مهددة تحتاج إلى الناصر الصادق ، فدعك الآن مما تتفاوت فيه الأنظار ويشتجر فيه الخلاف ، ولنتعاون على بناء ما تصدع من الأركان ! وأطمئنك إلى أننى لا أتعصب لأشعرى أو ماتريدى ، إننى زاهد فى إحياء أفكار ماتت ، وراغب فى التجميع على الكتاب والسُّنة وحسب ! لكن الرجل لم يفهمنى ، ولم يرد أن يفهمنى ، وذهب إلى المسجد فأشعل معركة لم تنطفىء نارها بعد ، وما أظن أنها تنطفىء عن قريب !

إذا كانت المساحة العقلية مائة ذراع عند امرىء مّا فما معنى أن تستغرق الخلافيات تسعين ذراعا منها ؟ ماذا يبقى لأركان الدين وعزائم الإيمان وميادين الإصلاح بعد ذلك ؟ لكن بعض الناس مساعر فتنة لأن رغبتهم فى الهدم أسبق من رغبتهم فى البناء وولعهم بالجدل أهم من العمل الصامت ، وما أحسبهم يرؤن وجه الله وسط هذه الغيوم !! .

إن أولى الألباب فى عصرنا هذا يشعرون بأن الأمة الإسلامية متخلفة عن غيرها فى أمرين خطيرين : أولهما فى شئون الدنيا التى خطت فيها الحضارة الحديثة أشواطا فسيحة ، ومانزال نحن نحبو على أوائل الطريق .

والثانى فى معانى الخير والمعروف والعدالة التى تأسست لها جماعات قوية تعمل تحت عناوين إنسانية عامة وتشد إليها الأنظار بما تقدم من عون مزعوم للمحتاجين وأنصاف للمظلومين على حين خلت هذه الساحات منا ، ولم يرتفع لنا علم بها !! .

لماذا لم يتجه أهل الحماس الدينى إلى هذه المجالات كى يدعموا رسالتهم وينصروا ربهم ؟!

إن المسلمين جمهرة العالم الثالث ، وعلى أم رؤوسهم يقع غبن كبير ، وقلما يرى لهم أثر فى الإقتصاد العالمى ، أو مستقبل البشرية على هذا الكوكب المنحوس !

فإلى متى يبقى العقل الدينى مشغولا بخلافاته التاريخية ، مشلولا عن عمل شىء ليومه الحاضر ؟! .

* * *

الفهـــــرس

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة



يسر دار نهضة مصر أن تقدم الشكر الجزيل لفضيلة الشيخ الأستاذ محمد الغزالى الذى تفضل بالموافقةعلى طبع تراثه الفكرى طيلة الستين عاماً التى خدم فيها الدعوة الإسلامية والفكر الإنسانى بأقدر المؤلفات وأعمقها غزارة .

وننوه القارئ المسلم إلى أننا قد أخرجنا للمكتبة الإسلامية من زاده البالغ سبع وخمسين كتاباً .

١ ـ هموم داعية .
٢ ـ جدد حياتك .
٣ ـ سر تأخر العرب والمسلمين .
٤ ـ مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية .
٥ ـ دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين .
٦ ـ الحق المر «خمسة أجزاء» .
٧ ـ من هنا نعلم .
٨ ـ الإسلام والأوضاع الاقتصادية .
٩ ـ مع الله . . دراسة فى الدعوة . .
١٠ ـ نظرات فى القرآن .
١١ ـ معركة المصحف فى العالم الإسلامى .
١٢ ـ خلق المسلم .
١٣ ـ الإسلام المفترى عليه .
١٤ ـ التعصب والتسامح .
١٥ ـ فى موكب الدعوة .
١٦ ـ الإسلام والطاقات المعطلة .
١٧ ـ كيف نتعامل مع القرآن .
١٨ ـ كنوز من السنة .


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر



همسة فى أذن كل مؤمن:

قال الشيخ الكبير / محمد الغزالى :

«أكره أصحاب الغلظة والشراسة ، ولو كان أحدهم تاجرا واحتجت إلى سلعة عنده ما ذهبت إلى دكانه . لكن البلية العظمى أن يكون إمام صلاة أو خطيب جمعة أو مشتغلا بالدعوة .إنه يكون فتنة متحركة متجددة يصعب فيها العزاء .

إذا لم يكن الدين خُلُقا دميثا ووجها طليقا وروحا سمحة وجوارا رحبة ، وسيرة جذابة فماذا يكون ؟! ...

... بعض الوعاظ يتكلم فكأنه وحده المعصوم والناس من دونه هم الخطاءون !.

إن القلب القاسى والغرور الغالب هما أدل شىء على غضب الله ، والبعد عن صراطه المستقيم .. ومن السهل أن يرتدى الإنسان لباس الطاعات الظاهرة على كيان ملوث وباطن معيب .

لو أن إنسانا عرف معايبى فسترها عن الناس وقصد إلىّ ليكشف لى أخطائى ، ويرجع بى إلى ربى لشكرته ودعوت له .

إننى أخاف على نفسى وعلى الناس صيّاحا فضّاحا سفّاحا يرتقب الغلطة ليثب على صاحبها وثبة الذئب على الشاه ، فهو فى ظاهره غيور على الحق وفى باطنه وحش لم تقلم التقوى أظافره ولم يغسل الإيمان عاره ولا أوضاره . » .

إن دار نهضة مصر تواصل رسالتها وتهدى القارئ الجزء الثالث من خواطر الشيخ/ الغزالى الذى يكشف فيه عن تقلبات العالم الإسلامى ...

الناشـــر

